

مجلة شهرية ثقافية جامعة

تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٦٨ - أغسطس/آب ١٩٨١

المراسلات:

التحرير والإدارة:
ص. ب ٣٢٢٤
الدوحة - قطر
العنوان البرقي:
مجلة - الدوحة
التلكس:
[illegible]

التلفونات:
رئيس التحرير: ٣٢١٣٢٠
مدير التحرير: ٣٢١٩٦١
التحرير: ٣٢١٣٣٥
الفني والإداري: ٣٢٧٨٢٨
جميع المراسلات:
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار:

قطر ٣ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلساً
الإمارات العربية ٣ دراهم
عمان ٣٠٠ بيسة
الكويت ٢٥ فلساً
السعودية ٣ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلساً
اليمن الديمقراطية ٦٥ فلساً
العراق ٢٥٠ فلساً
المملكة الأردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢ قرش
مصر ١٥٠ مليماً
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم:
ما يعادل [illegible]

الاشتراكات:

داخل قطر ٤٨ ريالاً قطرياً
الدول العربية ٥٤ ريالاً قطرياً
في باقي دول العالم ٦٠ ريالاً قطرياً
للدوائر الحكومية والشركات:
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
الدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١٠٦ ريالات قطرية

الإعلانات:

يتفق بشأنها مع مسؤول الإعلانات

● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة

الحرب العلمية

بين مداد العلماء ودماء الشهداء

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

ربما تأخر ردنا العسكرى على العدو لأسباب عديدة ، ولكن الرد الفورى الذى هو فى الوقت ذاته الرد الحضارى البعيد الأمد ، وهو فى مقدورنا جميعاً ، فيتمثل فى قرار كل مواطن عربي ، وكل شاب عربي ، وكل معهد عربي ، وكل حكومة عربية ، بالاقبال المتواصل المنتظم على علوم التقنية «التكنولوجيا» المتقدمة ، وخاصة فرعها النووي ، كل حسب موقعه ، واختصاصه ومجاله بحيث تصبح الأمة العربية كلها مدرسة استيعاب حاشد لعلوم العصر وعلى رأسها المعرفة النووية نظرية وتطبيقاً .

قد يسجل التاريخ يوما ما ان اسرائيل قد خدمت الحركة العلمية العربية من حيث لا تريد ، بل بعكس ما كانت تريد .. فبضرب اسرائيل للمفاعل النووى العراقي ، أصبحت الحركة العلمية فى الوطن العربي ، وتيارها ودعاتها ورجالها العاملون بمثابة جبهة امامية رئيسية فى صراع البقاء المفروض على هذه الامة ..

اصبح المخترع والعالم والباحث العربى فدائيا معرضاً لكل ما يتعرض له الفدائى من مخاطر ..

واصبح البحث العلمي فى تكنولوجية العصر وعلمه النووى ، عملية فدائية ، وجهاداً واستشهاداً فى مستوى الحرب القتالية .. واستحق العلماء العرب لأول مرة منذ زمان بعيد المأثور النبوى الكريم فى مقارنة مداد العلماء بدماء الشهداء .. وهذا مؤشر تاريخي ، عميق الدلالة ، نرجو الا يخفى مغزاه بالنسبة لجميع اهل العلم فى الوطن العربى وهم الذين ينتظرون منذ زمن الفرصة التاريخية السانحة لاقتحام امتهم مسيرة العلم فى هذا العصر .

فلربما تأخر ردنا العسكرى على العدو لأسباب عديدة ؛ ولكن الرد الفورى ، الذى هو فى الوقت ذاته الرد الحضارى البعيد الأمد ، وهو فى مقدورنا جميعا ، يتمثل فى قرار كل مواطن عربي ، وكل شاب عربي ، وكل معهد عربي ، وكل حكومة عربية ، بالاقبال المتواصل المنتظم على علوم التقنية «التكنولوجيا» المتقدمة ، وخاصة فرعها النووى ، كل حسب موقعه واختصاصه ومجاله ، بحيث تصبح الأمة العربية كلها مدرسة استيعاب حاشد لعلوم العصر وعلى رأسها المعرفة النووية نظرية وتطبيقا .

هل ذلك صعب او مستحيل ؟ .

إن البحر العميق يتكون من قطرات صغيرة . وعلينا ان نتعلم كيف نجمع القطرات الصغيرة لنخلق منها بحراً ، وكيف نجمع الروافد الجانبية لنصبها فى نهر دافق ..

واسرائيل تستطيع ان تنفرد بمفاعل عربى نووى واحد أو اثنين ، وتستطيع أن تعرقل اتفاقية نووية معينة بين قطر عربي ودولة اجنبية متقدمة . ولكن ماذا تستطيع ان تفعل لو اصبح عدد المفاعلات النووية فى العالم العربى مقارباً لعدد ما فيه من دور للتسلية .. أو لعدد ما فيه من محلات لتفصيل الأزياء أو لبيع اشرطة الفيديو ؟!

يبدو ذلك اقرب الى الحلم ؟

نعم .. إذا استمر المسلك العربي العام على ماهو عليه .. ولكن إذا اضاف الاعتداء الاسرائيلي الجديد الماً جديداً مصحوباً بالوعي الى الامنا القديمة واحياها واستثارها .. فقد يكون بامكاننا ان نجعل ما هو « اقرب الى الحلم » .. « اقرب الى الحقيقة » .

لنتأمل فى امكانية « التحولات » التالية فى حياتنا وتفكيرنا

١ ـ أن يتحول القراء العرب من التركيز على قراءة القصص والشعر الى التركيز على قراءة العلم والتكنولوجيا والذرة .

٢ ـ أن يتحول الطلبة الجامعيون العرب من التخصصات النظرية والأدبية الى التخصصات التقنية الأساسية .

٣ ـ أن يتحول الباحثون العرب من كتابة الادبيات الجمالية المجردة ، والموضوعات البعيدة عن ضرورات المرحلة وواقع الأمة ، الى البحث فيما له صلة حميمة بصراعنا الحضاري واهمية العلم التقني في حياتنا وكيفية استيعابه .

٤ ـ أن يكون في مجلاتنا الثقافية وجرائدنا اليومية باب ، بل ابواب ثابتة عن العلم والذرة وتطبيقاتها بدل ابواب التسلية المبتذلة ..

٥ ـ أن تتحول برامج التليفزيون والاذاعة من مسلسلات الأوهام والأحلام الى مسلسلات من نوع جديد عن فعل العلم في حياة الشعوب وكيفية معايشته ومعاناته ..

٦ ـ أن تقلل مجلات الأطفال عندنا ـ وهذه قبل غيرها ـ من الاحتفال بشخصيات جحا والسوبرمان والكاوبوي ، وان تتجه لتقديم شخصيات روائية علمية محترمة امام الطفل العربي لينشأ وفي طموحه أن يصبح عالماً في مختبر ، لا مغامراً في الأدغـــال ..

٧ ـ ثم يبقى على الجامعات العربية ، المتزايدة عدداً في الوطن العربي ، أن تتحول بعض الشيء من الاهتمام بالأقسام النظرية والأدبية والكلامية ، لتضيف قسماً إجبارياً يكون هو محور الاهتمام ويختص بالبحث العلمي التطبيقي المتقدم من أولياته الى مستوياته العليا .

... مثل هذه الخطوات والمقترحات هل نعجز ايضاً عن الأخذ بها ؟ وهل في تنفيذها استحالة لو توفر العزم والوعي ؟

إن الانتصارات الكبرى والتحولات العظيمة في حياة الامم لا تأتي بقرارات فجائية ، مهما كانت جريئة وحازمة .. ان الانتصارات والتحولات تأتي تعبيراً عن تراكم تاريخي طويل لعمل الأمة في كافة مجالات الحياة الصغيرة والمتواضعة ـ أو التي تبدو كذلك ـ وما ينقصنا نحن العرب دائماً هو هذا النوع من العمل اليومي المنظم ، الطويل الامد ، الذي يمكن ان يتراكم في وقته الصحيح ليأتي بانتصار كبير .

المهم أن يصبح هذا العمل تقليداً في حياة الأمة ، وتياراً مستمراً متنامياً في تطورها .. لا مجرد فورة عابرة كفوراتنا العربية الأخرى ..

الذين تألموا للعمل الاسرائيلي ، وتألموا اكثر لعدم ردنا الفوري عليه ، ادعوهم للتفكير في مثل هذه الخطوات في حياتنا اليومية . وهي خطوات تبدو متواضعة ووئيدة ، وتحتاج كي تثمر الى وقت طويل ؛ ولكنا لو اقدمنا عليها وحولناها الى تيار فاعل مثمر في حياتنا ، لاقترب موعد ردنا العسكري الحاسم على ضرب المفاعل ، بل على اغتصاب فلسطين .

غير انه يتحتم علينا ان ندرك جيداً بانه لا مجال للرد المباشر على العدو ، بدون هذه المسيرة العلمية الطويلة .. أولا

فهذا هو قانون الحضارة وحتمية التاريخ ولابد مما ليس منه بد .

بعد ذلك نستطيع أن نزرع في الوطن العربي ، بإرادتنا نحن وبقدرتنا نحن ، الاف المفاعلات النووية من الموصل في الشمال الى الخرطوم في الجنوب ، ومن الدار البيضاء في الغرب الى الدوحة في الشرق .. ولو تحول جميع الاسرائيليين الى طيارين حربيين لما استطاعوا قصفها كلها ولهلكوا قبل بلوغها مجتمعة .

هذه هي الصورة الشمولية للتحدي وللصراع ..

والعرب يرون ذلك جيداً .. ولكنهم ـ للأسف ـ لا يسيرون في طريق الفعل الواجب ، المحتم الطويل الصعب .. ويتلهون بالحلول السهلة العاجلة التي لا توصل إلا الى كوارث جديدة .. وهذا هو موضع المنـــا الاكبر .. اكثر من اي عدوان اسرائيلي .

ولقد قلت في البداية ان التاريخ قد يسجل بان اسرائيل خدمت الحركة العلمية العربية من حيث لا تريد .. ولكن أخشى ما أخشاه ان يضيف التاريخ ايضاً بأن العرب ضيعوا مرة أخرى على انفسهم فرصة الرد وفرصة الاستفادة من التحدي ..

ما أصعب التفاؤل .. وما أحوجنا إليـــه !

● ● ●

هامش .. من صميم الموضوع

مشكلة افغانستان عمرها اقل من سنتين .. ومشكلة فلسطين عمرها اكثر من ثلاثين سنة .. ورغم ذلك ، فان أوربا سارعت بتقديم مبادرة سياسية شاملة لحل الازمة الأفغانية ، وسارع اللورد كارينجتون الرئيس الحالي للمجموعة الأوربية بالذهاب الى موسكو لبحث الموضوع مع القيادة السوفياتية وكسب موافقتها رغم انتقادها للمبادرة !

هذا بينما تتعثر المبادرة الأوربية بشان القضية الفلسطينية رغم الالحاح العربي على دول أوربا ، ورغم المصالح الكبيرة التي تجنيها أوربا من تعاملها مع العرب ..

فلماذا مبادرة أوربية عاجلة هناك لم يطلبها احد .. ومبادرة أوربية .. مسترخية .. متباطئة هنا رغم الحاح الطلب ؟؟

السبب الحقيقي الذي يجب أن ندركه .. وننفذ الى صميمه هو أن أزمة افغانستان تقف وراءها القوة السوفياتية الضاربة والمهددة بشكل حقيقي لمصالح الغرب .. بينما قضية فلسطين وأزمة الشرق الأوسط تفتقد دفع القوة العربية الضاربة والمهددة .. لذلك فهي تنتظر منذ ثلاثين عاماً .. وقد تنتظر ثلاثين عاماً أخرى .

والباقي تفاصيل .. وهو هامش اقتضاه الموضوع . ولن نتخلص من هذه الهوامش المحدقة بقضيتنا إذا لم ننفذ الى موضوعها الصميم .. أعني موضوع بناء القوة الذاتية العربية في شتى مجالات الفاعلية الحضارية ، قبل كل شيء .

الوحدة الثنائية ... دون أقفال

بقلم : عبد الله جفري

وحدى .. اجرب مفاتيح مسرة فى اقفال ملل ، وفراغ ، وفرقة !

ترتمى وحدتى على ايام تبدو كطبلة جوفاء .. قدرتها فى الرجع فقط !

وحدى مع الأيام .. انادى بدوافع «فدوى طوقان» ــ يا رعاها الله ــ وانسى باصرار ماذا فعلت «فدوى» بعد شكوتها هذه .. هل احالت وحدتها الى مغنم غذى الاحساس الفنى فى فكرها ، ووجدانها .. ام ان وحدتها اثرت فى انطباعها ، ولونت شعورها بظلال قاتمة كزوايا لوحات «فان جوخ» ؟!

ان يعانى الانسان ــ الوحدة ــ كمعاش يجذب ثوانيه ، فهذا تصوير اليم لحياة فارغة رحلت عنها البهجة ، فبقى هذا الانسان يجتر فى وحدته الماضى ، ولوحات الحياة الغنية بالمعانى والصور !

ان يرتضى الانسان ــ الوحدة ــ كمستقر ، و «قفلة» لرحلة طويلة اتعبت النفس ، والتنفس .. فهذا قد امتلأ بالانهزام ، والخمول واللااهتمام بحوافز الحياة من حوله ، حتى لو انحصرت الحوافز فى انشداه «رمش» !؟

لكن .. هناك «وحدة» تذيب العزلة ، وتفتت السأم ، وتغطى على تثاؤبات تأتى عفوية احيانا لمجرد رغبة من الانسان ان يفتح فمه .. تلك هى «الوحدة الثنائية» .

هذه الوحدة الثنائية تطلبها وحققها



فدوى طوقان

ديستوفسكي

المرحوم عباس محمود العقاد على صورتين ، وبمعنيين .. فكانت الصورة الأولى تبرز حياة «العقاد» القارىء الذى يتلمس مفاتيح الذهن من خلال سطور ما يقرأ ويتأمل .. إنه ينفرد ــ بوحدة ــ لا أحد يشاركه فضاء الغرفة .. ينهل من الكتب ، ويعرف جديداً ، ويتوصل الى افكار وخواطر يكتبها .. لتصبح اليوم مراجع فى الجامعات وفى المكتبات ، وغذاء فكر لكل متلهف على معرفة . كانت .. «وحدة» تطلبها بدون قسر ، وإنما برغبة والتصاق . وكانت الصورة الثانية تبرز احاسيس «العقاد» الفنان . الشاعر المتأمل .. الذى عاش حياته ــ من انطباع الناس ــ وحيداً .. رفض رفقة الأنثى ، ومشاركتها له داخل بيت واحد ! .

وهذا انطباع خاطىء .. لأن «العقاد» الفحل كان يحيا مع الأنثى بوجدانه كله

.. لم يكرهها كما تخيل البعض حينما استمدوا برهانهم من لوحة «الحشرة» التى كان يثبتها فوق سريره فقالوا انه أراد بها الأنثى !.

لم يحب الأنثى احد كالعقاد .. حتى وقد قاربت حياته على الانطفاء . لقد احب «سارة» بجنون ، واحب «هند» ــ وهو اسم مستعار لمى زيادة ــ بحرص ، وارغمته هى أن يحبها بعقل ، فضاعت منه هند .. ليضيع منها مستغرقا مع «سارة» التى كانت تعمل لقلبه كل يوم حمام شمس ، وحينما اختفت «سارة» بانجذاب «العقاد» الى وحدته الثنائية الأولى ــ وحدته مع عقله وافكاره ــ ماتت «هند» واستغرق «العقاد» فى صورته الأولى ، وبقيت الأنثى فى تضاعيفه هى الوجه الآخر فى وحدته . اما احساسه فكان هو الوجه الأول ! ...



عباس محمود العقاد



مي زيادة

ومات «العقاد» بوحدته الثنائية .. دون عزلة دون أقفال ملل !

● ●

إن الثقافة ومواصلة التعلم لا يجعلانك تعيش وحدك انت تعيش مـع الافكار الجديدة .. مع الصور الحية ، وتسمع ما تحب من برامج فى الاذاعة .. لأنك فى وحدة ثنائية مع هذه المعطيات ، وهذا لا يجعلك وحدك .. إنه مفتاح أبواب الثقافة ، وقد قال كاتب عربى عبارة من زمن ليس بالطويل : «ان قمة المجتمع الروحية هى الثقافة .. لأن الفكر انعكاس طبيعى للوضع الاجتماعى .. لكنه ليس انعكاساً منعزلا عن قاعدته المادية ، وإنما هناك تفاعل تاثيرى متبادل» .. هنا يتضح التفاعل فى الوحدة الثنائية : انت مع عقلك ، وخواطرك . انت مع احاسيسك ودواعى انجذاب الخفق بين اضلعك نحو من تعشق ، لا تود له أن يرحل عنك ، أو تتركه !

واقسى وحدة بحق .. هى تلك التى يعانيها الأديب ، أو المفكر ، أو الرسام ، أو الموسيقى ، أى الفنان ، وذلك عندما يفقد الرغبة فى فتح كتاب ليقرأ ، أو فى لمس أوتار عوده ، أو الته الموسيقية الخاصة به .. يصبح فعلا من الذين يقاسون الوحدة التى يطل منها شبح العزلة والملل والفراغ ، وقد كان الأديب النمساوى «سالنجر» يشعر بالملل .. يبصر نفسه وحيداً حقا هو ، وكتابه ، أو هو وقرطاسه .. لأنه لم ير حبيبته اياما .. يختفى عنها ليضع فصلا فى كتابه الجديد ، ثم يأخذ كتابه ، وقرطاسه ، ويسعى اليها .. يقرأ على مسامعها ما كتب ، وما قرأ ، فيستعذبه ، ويتأوه بعد ذلك ، وهى تقول له :

ـ ها .. الآن لسنا وحدنا !

ـ ويجيب قائلا : ابدأ .. الآن نحن وحدنا ، والدنيا تزفنا !!

لهذا اختلفت مع «أنيس منصور» عندما قرأت له مرة رأياً فى «وحدة» الانسان .. وهو يتحدث عن «سالنجر» بالذات .. فقد قال أنيس :

ـ «إن سالنجر فقد لذة العزلة ، ومتعة الكوخ .. لأن الانسان وحده يموت» !

هذا صحيح .. الانسان وحده يموت . لكن من قال ان فى العزلة لذة .. اذا كان المقصود «بالعزلة» هو الحصر ؟! .. أما «سالنجر» فقد كان يذهب الى الكوخ ومعه الكتاب ، أو القرطاس .. إنه فى وحدة ثنائية ، وهو عندما يختفى هناك .. يكون معه ايضا طيف الانسانة التى لا تفارقه ، وإلا لمات فعلا ! ... إنه مع مراته الذاتية والفكرية . مع من يحب .. تتواجد المتعة فى فكره ، وتتدفق فى نفسه .. لهذا فقد أبدع حين كتب ، وحلق حين صور خلجاته ! .

ثم يتعاقب رأي قرأته لنفس الكاتب العربى المتحدث عن قمة المجتمع الروحية ، وفى هذا الرأى ما جعلنى احملق مذهولا ، وانا اقرأ النص :

ـ «شخصية الأديب سيكولوجيا .. هى شخصية سيكوباتية ـ أى انه والمجرم سواء !! ـ والفرق بينهما ان المجرم ينحرف الى أسفل .. بينما الأديب ينحرف الى اعلى» !

وبعد التامل .. توصلت الى أن المجرم يبقى وحده عندما يتغلغل الشر فيه .. بمعنى انه يقاسى العزلة ، والطرد من المجتمع ، والامتهان لمكانته .. فهو يعيش عزلة قاتلة خانقة .. اما الأديب فهو لا يستطيع العيش وحده .. إنه ينزع الى مخالطة الناس ليستقي صوره ، وخواطره ، أو هو يركن الى «أحد» الناس .. وفيه يتمثل حياته ، وسيرته ، وفرحه وإرهاصاته .. بعكس المجرم الذى يبقى منفرداً .. تخونه حتى نفسه احيانا .. ليس معه إلا تسلط الشر فيه ، ونزعاته ، ورغباته ، وهذه أشياء تدفع الى مزيد من العزلة ، وتنفر المجتمع ، والناس من معاشرته ، والاقتراب منه !! ..

كازانوفا ـ مثلا ـ كان استعداده للجريمة والشر يتفوق عنده على نزعة الطيبة ، والخير ، والحب .. حتى حكايات حبه الطويلة ، والمتسلسلة كان الدافع فيها رغبته فى التسلط والامتلاك ، وعنعنات «المادة» فيه كرجل قوى بذكائه الخارق ، وخبثه ، وحينما شعر انه وحده فكر فى اسلوب ماكر شرير .. كان المجتمع يهابه .. لا يقدره ، وهذا وحده كفيل بقذفه الى عزلة مضنية ، وقال كازانوفا عن نفسه فى كتاب اسمه «قصة حياتى» :

ـ «كنت غبياً حتى الثامنة عشرة ، ثم اسلمتنى جدتى لسيدة تعمل ساحرة» .. وتعاقبت حياته بعد ذلك ، وأصل التنشئة قام على بنيان منهزم ، ودجلي ، وخرافي قام على عزلة .. اسلمته لوحدة

الوحدة الثنائية .. دون اقفال

احمد رامي



ام كلثوم



فحاول ان يتخلص منها بمغامراته مع النساء ، والمرأة هى العامل الوحيد الذى ينقذك من الوحدة ، وهى السبب المباشر – احيانا – الذى يسلمك الى وحدة لا تشفى بعدها ابدا !

●●

وفى الحب .. تقلق «الوحدة» حينما تنوء الشطوط ، وتقلع الأشرعة وتجف الخلجان .. تبقى لحظتها كأنك تمتلك جزيرة نائية فى وسط بحر متلاطم .. عنيف الأمواج ! ..

ما اقساها هذه الوحدة ، بينك وبين غواليك مسافات مادية .. تحجب عنك الرؤية ، ولكى لا تموت بذلك .. فانت تتملى الرؤى ... تستعذب الرجع .. تنبض بالأمل ، لكنك احيانا تبدو مثل «الفتى اليوشا» بطل رواية – الاخوة كرامازوف – لديستويفسكى .. عندما جلس وحيداً بعد رحيل حبه : «كان يفكر فى قصيدة يقولها .. يرسلها الى الراحل ، لكنه لا يعرف مضمونها» ! .. السبب ان شجنه ، وألم النوى وشدة الصدى للايام الحلوة الغائبة .. كل ذلك جعله – غير وحيد – بل مذهول .. مزدحم الضلوع .. بين جوانحه خفق متواصل عنيف كذلك الذى اعترى «احمد رامى» لحظة سماعه كلمات شعره .. بصوت «أم كلثوم» بالذات ، لأول مرة ، وهى تصدح كأنها تخاطبه :

كان فجــراً باســما فى مقلتيــا
يوم اشرقت مــن الغيــب عليــا
انســت روحــى الى طلعتــه
واجتلــت زهـر الهـوى غضا نديا

كانت وحدة اليمة احس بها رامى انذاك .. لكن الذى أبقاه حياً بعد ذلك ان «أم كلثوم» لم تنسه ، وكانت تناديه دائماً : يا ... رامى بمعنى : يا أيها الذى رميت !! ...

إننا – احيانا – نرمى شعورنا ، ووجدنا ، وفرقتنا داخل «وحدة» يخيل الينا انها اقفال ضاعت مفاتيحها ، لكن ... نحن عندما نقرا ، ونتعلم نحس ان حياتنا ترتبط بهذا العالم المتحرك وأن ايامنا لم تنفصم ، وتنأى عن الجديد فى حياة الناس !

ونحن حينما نحب ، ونخلص فى المنح .. تطل على فسحة عريضة .. نرى فى وسطها كل الوجوه سحنة واحدة .. هى ملامح من احببنا . بسمته . إيماءته . اخضلال النظرة ! .. فسحة عريضة .. سهول مترامية لا تضم سوى اثنين .. مزروعة بالكلمات .. بالهمسات .. بالنظرات ، وهذه الاطلالة هى التى تذيب شعور الوحدة . تجعلك ممتلئا .. ثرا .. تتوق دائما ولا تصاب بالملل !!

●●

بعد هذا ...

يعود الصدى متعاطفا مع نداء «فدوى طوقان» : وحدى مع الأيام ! ..

لأن فدوى شاعرة .. فوحدتها هذه وحدة ثنائية .. هى ومحسوساتها ، لهذا عاشت – بالاستمرار – شاعرة ، واختارت البقاء فوق ارضها بين احقاد اليهود ، وقالت نداء لديوان شعرها : اعطنا حبا !!

ولأن فدوى ضاع منها « المنادى » – بفتح الدال – .. بقيت شاعرة ايضا .. تصدح وتتألم ، لكنها ليست فى وحدة ! ..انها اصدرت ديوانها « الباب المغلق » .. غير ان الشاعر الفنان عامة محال ان يكون وراء باب مغلق .. وراء الوحدة المنفردة ، وفدوى لم تمت حسا .. انها تحيا بالالم ، وفى هذا شحذ ، ومعاناة ، واصرار على الحياة !

لأن «فدوى» شاعرة .. **فهذا اقتناع عندى ان اقفال الملل التى اجرب عليها مفاتيح مسرة .. هى اقفال مؤقتة .. اقفال** بعاد ستنتصر عليها اطلالة الفسحة العريضة !!

ومن كان منكم بلا «وحدة ثنائية» فهو لا يحيا !!

عبد الله جفرى

عَالَمٌ يبحث عن قدوة

إبراهيـم السـمان

الحياة فى معظم مراحلها بحث عن (القدوة) .

والقدوة تفرزها التربية فى الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع .. ولما كانت التربية هي بناء الضمير ، فان القدوة يمكن ان تصبح ضمير المجتمع الذى يقيس به الانسان رؤاه ومثله ومفاهيمه عن الحـق ..

ولعل من اكبر مشاكل الشباب واحد اهم اسباب ضياعهم غياب القدوة الصالحة القريبة منهم فهم يسيرون فى طريق مهزوز المعالم تفتقر للقدوة التى تتمثل فيها الصورة الصالحة فكراً وعملا ..

والانسان يبدا تعامله مع القدوة منذ الصغر على طريقين : الطريق النظرى في عالم الكتب والتربية والتعليم ، والطريق العملي في عالم الحياة والممارسات الفعلية . وهما ، مع الاسف ، طريقان مختلفان متناقضان ، فى الوقت الذي يجب أن يتم فيه الواحد منهما الآخر . لان ممارسات الانسان الحياتية هى الترجمة العملية للأفكار والمبادىء النظرية التى تلقاها على مقاعد الدرس .. ولكن الحقيقة ليست كذلك . فاول ما يصدم الانسان تلك المواجهة بين الواقع الاجتماعي وواقعه الفكرى المثالي . فهو يخرج الى الحياة بهوية واحدة ابرز معالمها الصدق والأمانة والنزاهة والعدالة فاذا به يفاجا بانتهاء تلك الهوية المدرسية او الجامعية التى لم تعد تصلح حتى لدخول دور السينما بأسعار مخفضة . لذلك يسارع باستبدالها بعشرات الهويات والبطاقات لمواجهة الافكار ، والأمزجة والأساليب المعمول بها فى عالم الواقع ، والتى تسير بمقاييس تختلف عن تلك التى عرفها وعاشها مع الفلاسفة والعلماء والمفكرين فى كتبهم المحفوظة (فقط للاستذكار) فى المكتبات ، بغية الحصول على الشهادات والدرجات العلمية .

ولقد لعبت الثقافات والسياسات في ربع القرن الماضى دورا خطيرا فى سوء تربية الضمير عندما استسلمت الثقافة فى كثير من الأحيان للسياسة ففجع الناس فى امانيهم .. ومثلهم وهم يسيرون خلف ما تمثل لهم من قدوات !!

ففى الخمسينات وأوائل الستينات انتشرت فى بعض المجتمعات (موضة) الأفكار والمبادىء . وكان على الواحد أن ينتقي (المبدأ) الذى يريده كما ينتقى ربطة العنق والبدلة .. والسيارة وإلا ضاعت مغانمه : مادياً ومعنوياً وفاته القطار ! .

ومازلت أذكر ذلك الرجل البسيط الذى جاء يستشيرني حينئذ بقوله « والآن .. بعد أن استقرت أوضاعي المادية فاشتريت بيتاً .. وسيارة .. وثلاجة .. وهاتفاً فى المنزل .. اريدك أن تدلني على (مبدأ) مناسب انتسب إليه ؟؟ » . وكان طبيعياً أن تصبح التجارة بالشعارات قدوة الكثيرين .. وكانت ومازالت ، عند البعض تجارة رائجة رابحة ، وقد بنى أصحابها أمجاداً مادية تحولت مع الأيام الى أمجاد معنوية ، ومعظم الناس يقدر الشخص بما يملك ! لان المال يغطي على كل ما يعتبره المجتمع عورات ومثالب !

ولقد شاركت فى ضياع القدوة فئة كبيرة من الناس هي الأكثرية الصامتة من المثقفين ، الذين كان التزامهم بأفكارهم وثقافتهم التزاما سلبيا صامتا .

وطلعت على العالم ثورة الاعلام حينئذ ، وهو وجه الفكر السياسي المعلن ، باصطلاحات وتعابير قلبت المفاهيم ، وهي بدع تقسيم الكلام وتصنيفه : فئة الكلام المعد للاستهلاك الداخلي .. والكلام المعد للتصدير الخارجي .. فاصبح المنطق رداء ذا وجهين !! .

وكان من نتائج ذلك كله انحسار مد الثقافة والفكر الحقيقي المنفتح ، فلم تفرز لنا تلك الحقبة الحاسمة الدقيقة مفكراً أو كاتباً أو شاعراً أو فيلسوفاً يكون امتدادا للذين سبقوه من قمم وقدوات الفكر والثقافة العربية الشامخة ..

ولم تقف الأمور عند هذا الحد ، فقد انقطعت صلاتنا بتاريخنا وتراثنا ، وانحصر دورنا فى الاستيراد والتقليد الفكرى والثقافي ، فاذا بنا مجتمعات نامية غير منتمية تحاول البحث عن هويتها فى المجتمعات التى اعتبرتها متقدمة ، دون أن تعلم أن هذه المجتمعات تبحث هي عن قدوة وإلا فكيف يمكن تفسير ظواهر الانحلال والفساد التى أخذت تغزوها بالرغم مما تحيط به نفسها من أقنعة الحضارة التكنولوجية !

عالم اليوم يعيش بلا قدوة ! فهل ترك الناس قدواتهم مع هوياتهم الحقيقية على مقاعد الدرس وفى سير الخلفاء والعلماء والفلاسفة والحكماء الذين جعلوا من الحياة فى خيال الشباب مثلا وقيما عليا فصدمهم الواقع .. واقع الحياة والناس ؟

ابراهيم السمان
عمـان ـ الأردن

الانسان

بين الجبر والاختيار

بقلم : خالد محمد خالد

صاحبكم الذى يتحدث اليكم من وراء هذه السطور ، واحد من الذين يربطهم بالانسان ولاء غير مجذوذ ولا محدود .

وكل ما في الناس من ضعف وجور وضياع لا يصرفني عن رؤية « الانسان » الكامن داخل ذواتهم وصفوفهم . والكادح الى الكمال كدحا فملاقيه ..

صحيح انني أحيانا اضيق ذرعا بنقائصنا ومروقنا ، ويتراءى لي مشهد الفيلسوف الأغريقى «ديوجينز» حين صاح من فوق هضبة عالية «أيها الناس» فلما سارعوا اليه واقبلوا عليه هز راسه اسفا وقال : «لم اناديكم .. إنما انادى الناس» .. !! بيد انى سرعان ما المح «الانسان» متربعا فوق عرشه العظيم ، حاملا مشعله المضيء وسط الظلام ؛ فتذهب من فورها تلك الحسرات اليائسة، وتتطاير غواشى اليأس امام عظمته السابقة ..

الانسان ـ ذلك الكائن السلس المعقد .. البسيط المركب .. الضئيل الجبار .. صانع الحركة الداهمة لكل عقبة .. جاعل المستحيل ممكنا .. !!

هذا الانسان ـ الذى هو خليفة الله فى الارض ـ .. القابض بيديه الماهرتين على شئون عالمه .. المتفوق الجسور .. بطل المازق دوما .. المتسلى بالاهوال أبدا .. الذى يبصر النظام الكامن فى الفوضى الماثلة .. والذى يقود مصايره الى مشارفها الواعدة ..

هذا «الجوهر» الكامن في بلايين البشر .. والموزع بينهم برشده وخصائصه ورؤاه .. هؤلاء البشر الذين بدورهم ظهر فيهم ، وانبثق منهم الانبياء والمرسلون الذين قلبوا وجوههم فى السماء فالهمتهم الهدى والفرقان .. والفلاسفة الذين يتساءلون فى جراة وبسالة : كيف ؟ ولماذا ؟ .. والفنانون الذين ترسم اناملهم الملهمة سر الوجود وذكاءه .. والعلماء الذين يخرجون خبء المجهول ، ويسر اليهم الكون بقوانينه .

هذا الانسان قضى حياته من العصر الحجرى حتى يومه هذا مسلحا بالتجربة والاختيار . ولم تظهر إلا اخيرا تلك التساؤلات الفلسفية : هل هو مجبر ام مختار !!

اما هو قبل ظهور تلك الفلسفات وخلال مسيرها ، فقد كان يعيش حياته وفق تجربته . وكان يرى الحياة امامه ملآى بالبدائل التى تفرض عليه ان يحدق فيها ويفاضل بينها ويختار منها .

إن الدين نفسه ، وهو اعمق الضرورات الاجتماعية فى حياة الانسان شاء الله له ان يكون فى بعض مراحله ثمرة تجربة الانسان وثمرة اختياره ..

وهذا تماما هو الذى حدث مع ابى الأنبياء «ابراهيم» عليه السلام فيما انبأنا به القرآن الكريم .

وسيدنا «ابراهيم» كما نعلم ، هو الأب الروحى للديانات الكبرى الثلاث : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام . لقد راى كوكبا يتلالا فى السماء ، فقال : «هذا ربى» فلما أفل ، قال لا احب الآفلين ..

وفى محاولة اخرى راى القمر بازغا ، فقال : «هذا ربى» فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من الضالين .. فلما راى الشمس بازغة ، قال : «هذا ربى هذا اكبر» فلما افلت ، قال يا قوم انى برىء مما تشركون .

ومضى «ابراهيم» خليل الرحمن يبحث عن دينه . بل يبحث عن الاله الحق .

وإنه ليتصور الاله كمالا مطلقا . ولقد ابتغى الكمال فى أقرب مظانه ، وهو القمر المضيء .. ثم فى الشمس المشرقة باعثة الدفء والطاقة والحياة . حتى اذا اكتشف ما يعتور النجم والقمر والشمس من نقص ولى وجهه شطر بحث جديد !! لم يكف عن بحثه واستشراقه ؛ لأن حاجة فى اعماق نفسه تلح عليه وتناديه .

وابراهيم فى عصره ، كان يمثل أعلى مناسيب الذكاء الانسانى . انظروا طريقته فى البحث عن ربه ..

انه مع كونه مخبتا عابدا اوابا ، فهو



الفيلسوف الاغريقي ديوجينز



الفيلسوف الصيني كونفوشيوس

يبحث بحث فيلسوف حر . يسائل الأنهار والبحار والزرع وقوى الخصب والنماء . حتى اذا لم يجد فى الأرض ما يمثل صورة الكمال الالهى يتجه الى السماء مركزا بصره على نجومها وقمرها وشمسها ، حتى اذا لم يتحقق فيها مثله الأعلى وتصوره المتسامى عن الله ينفض عقله وقلبه من المجسمات جميعا ، واستشرق السر الأكبر الكامن فى الحياة وفى الكون ، وراح يهتف وقد وجد يقينه : «إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما انا من المشركين»

من هذا الذى فطر السماوات والأرض ؟؟

ما صورته ؟ ما هويته ؟ أين مكانه ؟ كل ذلك لا يشغله الآن ، إنما يعنيه انه وجد الرب القدير الكامل الذى يملأ فراغ نفسه الطُلَعَة ، والذى يفسر وجوده ما فى هذا الكون العجيب من آيات باهرات !!

الم تكن هذه تجربة تركه الله يعانيها وحده قبل أن يواليه بعدئذ بوحيه ؟؟

واليس هذا اختيارا توصل اليه الخليل بجهده ؟؟ اجل .. ان ابراهيم عليه السلام يخوض تجربة البحث عن الله بملء عقله وفؤاده .. ثم يختار ما هداه اليه اقتناعه الرشيد .

هذا مثل ياخذ مكانه فى ذرى الأمثال التى يبرهن بها على هذه القضية .

وإن الذين ينتزعون الانسان من تجربته ويسلبونه حقه فى أن يختار ويرفض ، إنما يجردونه من كيانه كله ، ويحكمون عليه بالاعدام .. انهم يسلبونه أعظم خصائصه ومزاياه ، بل ويدمرون مراقي معراجه العقلي والروحي ..

ذلك ان الاختيار هو الذى يجعل الانسان انسانا ، وهو الذى يجعله ينهض أمام التحديات التى تستهدف كيانه .

والاختيار ليس العوبة يتلهى بها الانسان ، بل هو جوهر المعاناة التى يعانيها لكى يؤكد وجوده . بل لكى يبرر وجوده .. !!

وتحضرني هنا قصة طريفة . ربما تكون قد وقعت . وربما لا تكون،بيد أن مضمونها يتكرر فى صور لا تحصى ، ويمثل مأزق البشرية كلها .

تقول القصة : إن رجلا استاجر آخر لقطع بعض الأشجار . وعند الغروب دهش إذ وجده قد انجز فى يوم واحد ما كان يتطلب خمسة أيام .

وفى اليوم التالى كلفه ان يصف الأخشاب ويرصها ، فانجز الرجل عمله هذا فى وقت جد وجيز ..

وفى اليوم الثالث عهد اليه باكوام من البطاطس وكلفه أن يفرزها وقال له : أما الفاسدة فانبذها . ثم ضع الجيدة هنا ، والأقل جودة هناك .

وكانت دهشة الرجل كبيرة حين جاء آخر النهار فلم يجد الأجير قد انجز من العمل إلا اقله ..

وساله ماذا دهاك ، وأين القوة والسرعة التى قطعت بهما الأشجار والأخشاب ؟

فاجابه : «إن الصعوبة التى اجدها فى الاختيار بين الفاسد والجيد والأجود تكاد تقتلني» !!

ويقول «سانتايانا» الفيلسوف : «ليست الصعوبة الكبرى فى الحياة ان نختار بين الخير والشر ، بل بين الخير والخير» ... !! فالاختيار وحق الانسان فيه ، هما أصدق ما يميز الانسان عن غيره من كافة المخلوقات .

والله سبحانه حين يقول : «من اهتدى ، فانما يهتدى لنفسه ، ومن ضل ، فانما يضل عليها» ..

وحين يقول : «فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر» ..

وحين يقول لنبيه : «لست عليهم بمسيطر» ..

الانسـان
بين الجبر والاختيار

حين يقرر الله فى قرآنه هذه المبادىء، فهو يؤكد حق الانسان فى ان يختار ؛ لانه مسئول . ولا مسئولية بغير اختيار .

أما الآيات الأخرى التى قد تفيد الجبر مثل قوله تعالى : «من يهد الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادى له» ..

ومثل قوله تعالى : «وما تشاءون إلا ان يشاء الله» .. فمعناها كما يقول المعتزلة أننا نعمل بقدرة من الله ، لا باكراه منه .. أى ان الله سبحانه قد وفر وسخر لنا كل طاقات العمل ووسائله . ومن ثم فنحن نتصرف بقدرته . بيد انه فى نفس الوقت جعلنا مسئولين وحدنا عن اعمالنا ، الأمر الذى يتطلب بداهة أن نملك اختيارنا . إن الانسان لم يستحق ان يكون خليفـــة الله ، ولم يستحق ان يكون سيد عالمه إلا بشىء واحد ، هو قدرته على ان يفكر ويقتنع ويختار !! أما حين يتحول الى «قشة» فى مهب الرياح فانه يفقد من فوره كل قيمته .

ولكم كان «كونفشيوس» صادقا وهو يقول : «إذا لم يستطع الانسان ان يقول هذا رأيى : فانى لا أستطيع أن أسدى اليه نفعاً ، وإنى لا افتح باب الحق لمن لا يحرص على معرفته ، ولا اقدم العون لهذا الذى يعجز عن الافصاح عما فى نفسه» .. !!

فالذى لا يستطيع ان يقول : هذا رأيى .. انسان تخلى عن انسانيته وعطل مواهب الله عنده .

وليس بدعا ان نرى نظرية «الجبر» تسود فى العهود والمجتمعات التى كانت تحكم حكماً مطلقا مستبدا سواء فى المسيحية والاسلام لأن هذا الطراز من الحكم الغاشم لا يطيق أن ينهض بجواره ومن حواليه عمالقة يفكرون ويختارون ويريدون .. إنما يألف الأقزام ويجعل منهم سدنته وبطانته !!

ومبارك هذا الخطأ الذى يصاحب الاختيار .. فليس المهم أن يختار الانسان الصواب دوما .. إنما المهم أن يتشبث بحقه فى الاختيار أبدا ..

إن مسئوليته عن أن يختار بنفسه ولنفسه هى التى هيأت له زاداً هائلا من الثقافة والمعرفة والتقدم .

فهو لكى يختار لابد أن يعرف ، وأن يعرف كثيرا ، ويكتشف كافة البدائل التى تمكنه من الاختيار السديد .. وحين يخطىء فى اختياره فان تجربته تثرى حياته باحتمالات الصواب .

إن الكمال المطلق فى حياة البشر لا وجود له .. اما الموجود فعلا فهو الكمال الميسور .

والذين يريدون «معرفة» بغير خطأ .. و «عدلا» بغير ميل .. و «حرية» بغير اساءة .. و «فضيلة» بغير نزوة جد خاطئين !!

وكما أن احتمال الخطأ لا يبرر عدم الفعل ، فاحتماله أيضا لا يبرر سلب الحق . ومن حقوق الانسان المقدسة أن يرفض وأن يختار .. صحيح أن «الاختيار» محفوف بالمصاعب وبالمعاناة وهو يلقى على كاهل الانسان مسئولية اختياره ، وهى مسئولية فادحة لاريب .. ولكن ، كان ذلك كذلك : ليعلم الانسان أن الحياة جد لا هزل ، وأنها ليست منتدى يحتسى اللهو سماره .. بل هى عمل دائب لا يقر قراره .

ولقد يشقى الانسان باختياره ويتمنى لو ان هناك من يختار له ويعفيه من هذه المخاطرة البالغة الجسارة . بيد أن هذا هو قدره الهائل الذى عبر عنه القرآن الكريم بقوله :

«إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها وحملها الانسان» !!

وصدق الشاعر العربى حين يقول :

ذو العقـــل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالـــة فى الجهالة ينعـم

ولقد كوفىء الانسان على حمله الأمانة والمسئولية بأن جعل سيد مصيره وسيد كوكبه وعالمه ، وسيد نفسه ، وصانع رشدها وهداها .

ويمارس الانسان اختياره على المستوى الفردى والجماعى .. فالانسان كفرد متروك لاختياره . ليس هناك قوة تقسره على الضلال وهو يريد الهدى ، أو تحابيه بالهدى وهو يريد الضلال .. !!

والانسان كجماعة يختار لمصير البشرية التى ينتمى اليها ، بل تنتمى اليه .. وحين نطالع ثورات العلم ضد الجمود والعجز ، وثورات الأحرار ضد المستبدين والطغاة نبصر الانسان خلال ذلك وهو يمارس اختياره ، ونلمح البشرية وهى تصنع مستقبلها .

إن حق الرفض ، وحق الاختيار يشكلان حقا واحداً مقدساً يمارس الانسان به كل مقدرات حياته وشئون عالمه وهو ماثل فى اختياره السياسى متوله فى اختياره الأخلاقى .. وصحيح أن الانسان يجابه بظروف صعبة تنازعه حقه فى الاختيار ، ويمرق من صفوف البشرية أناس اختاروا الاستبداد منهجاً ويحاولون تطويعه لهذا المنهج الزائغ الضال .

بيد أن الانسان فى تاريخه المشرق كان – ولا يزال – يدفع قوى الشر امامه كالكرة .. وتثبت كتله البشرية أنها على حد تعبير جيفرسون «لم تولد بسروج على ظهورها» .. !!!

● ●

إننا فى هذه الكلمات العاجلة لا نطرح قضية الاختيار بوصفها مشكلة فلسفية أو دينية .

إنما نطرحها باعتبارها ضرورة انسانية عليها أن تحقق نفسها فى العالم الخارجى على أوسع نطاق . وباعتبارها حقيقة تاريخية تميز مسيرة الانسان وتؤكد حقه الكامل وربما المطلق فى الرفض وفى الاختيار .

وإن قصة الحياة الانسانية والتقدم الانسانى ، ستظل دائما قصة الاختيار الانسانى فى حريته الخالقة .

خالد محمد خالد

المتنبي والاعتزاز بالنفس

د. علي حسن تقي
البحرين

يبدأ جان جاك روسو اعترافاته بالكلمات التالية :

انني اقوم بعمل لم يكن له مثيل ابداً . وتحقيقه لن يجد شبيها . سأرى العالم رجلا بحقيقته الطبيعية وهذا الرجل هو انا .

انني لم اخلق كأي من الناس الذين رأيتهم .. وإذا لم اكن افضل منهم فبالأقل انا اختلف عنهم .

فلتقم القيامة متى تشاء ، سوف اتي وهذا الكتاب في يدي امام الله . ساقول بصوت مرتفع : انظر الى ما فعلته وما فكرت فيه وما كنت عليه . لقد قلت الحسن والسيء بنفس الصراحة الخ ....

عندما قرأت هذه الاعترافات لأول مرة تذكرت ابا الطيب المتنبي . الم يقل هو ايضا في بادىء حياته الشعرية :

أي محل ارتقي
أي عظيم اتقي
وكل ما قد خلق الله
وما لم يخلق
محتقر في همتي
كشعرة في مفرقي

أو في مناسبة اخرى :

ما مقامي بارض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود

لماذا هذا الاعتداد بالنفس وبالتميز عند بعض الشعراء والكتاب .

إن توماس مان في كتابه « غوته وتولستوي » يورد نفس الشعور عند هذين الكاتبين العظيمين . فتولستوي يقول انه وهو يافع كان يحس بالحاجة لأن يكون معروفاً ومحبوباً ـ بالحاجة لأن ينطق باسمه وان يرى الناس جميعاً يتأثرون بهذا القول وانهم يتجمعون حوله ويشكرونه على شيء ما .

إننا نعتقد ان الشعور بالعظمة عند الكتاب الفحول هو شيء أصيل ومبرر . فالكاتب الجيد يعرف نفسه تمام المعرفة . لقد قلنا في التفريق بين الشعراء الجيدين والشعراء السيئين ان الشاعر الجيد هو الشاعر الذي يعرف أنه شاعر جيد والشاعرالسيء هو الشاعر الذي لا يعرف انه شاعر سيء

إن الاعتداد بالنفس لا يعني الغرور أبداً . فهما خصلتان متضادان . الغرور مبني على فراغ أما الاعتداد بالنفس فمبني على قاعدة صلبة . المعتز بنفسه قد يكون أكثر الناس تواضعاً فهو إذ يعتز فانما يترفع عن الصغائر وعن الأخلاق الدونية العامة . لذلك فان تواضعه كاعتداده مبني على قاعدة متينة .

إن الشعراء الجيدين يتميزون بفردية خاصة وبحب للذات مثمرة لا حب الذات والفردية الوضيعة . تلك الذاتية انتبه اليها « نيتشه » عند تحدثه عن الارستقراطية . هذه الفردية هي الدافع الأساسي الذي يدعو بعض الكتاب الى كتابة مذكراتهم (اوتوبيوغرافي) . لذلك نجد ان كثيراً من الأدباء الفحول قد كتبوا مذكراتهم عندما أصبحت كتابة المذكرات نمطاً من انماط الادب بعد اعترافات جان جاك روسو .

اما الشعراء فان شعرهم هو مذكراتهم . ولو رجعنا الى المتنبي نجد ان شعره صورة صادقة لحياته . هذه الحياة التي أرادها عظيمة كنفسه وكريمة كاعتزازه وحكيمة كحكمته . لنقرأ شعر المتنبي من اوله الى اخره انه كله نتاج حياة مليئة بالتجارب وخلاصة لمواقف نفسية من كل ما يدور في الحياة والمجتمع .

لقد طمح المتنبي لان يكون رجلا مميزا ذا منصب محترم في مجتمعه لأنه اولا اهل لذلك ولأنه ثانيا افضل بكثير من الآخرين الذين تولوا قيادة الحكم والسلطة . لقد ظل طوال حياته يحدوه هذا الامل وتدفعه هذه الرغبة وحتى نهايته حتمتها رفعته وكبرياؤه وكرامته .

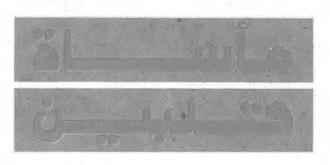
إننا نجد هذا الطموح عند كثير من الشعراء الحديثين في اوروبا . فغوته كان صديقا لنابليون ولو اراد لأصبح كما قال « توماس مان » اميراً في بلاط نابليون . ولامارتين قد جرب الحياة الراقية وتقلد المناصب العالية . اما تولستوي فان كونه من النبلاء قد وفر عليه هذا الصراع ولكنه طمح الى خلق ايديولوجية جديدة ونمط اجتماعي جديد .

لقد مات المتنبي بسبب نفسه الكريمة العزيزة ، تلك النفس التي قال عنها انها تتعب الأجسام . لقد ذهب الجسم ضحية للنفس . لقد مات المتنبي جسداً ولكنه لم يمت نفساً . على العكس ظلت هذه النفس حية وشامخة بعد ان سجلها في مذكراته الشعرية الجميلة .

إن مصير المتنبي هذا يذكرنا ايضا بشاعر واديب هو لرمنتوف الذي قضي عليه في مبارزة وكان سبب موته ايضا ادبه الرفيع وشموخ نفسه الأبيـة .

ولاختتام هذا المقال ليس لنا إلا أن نردد ما قاله ابو الطيب :

وإذا كانت النفوس كبارا
تعبت في مرامها الأجسـام .



بقلم : د. عبدالسلام العجيلي

فى إحدى ليالي كانون الثاني من عام ١٩٦٤ رقد فى غرفتين متقاربتين من احد مستشفيات مدينة جاكسون ، فى الولايات المتحدة الأمريكية ، مريضان كلاهما فى حالة سيئة ، كانا يسيران الى الموت بسرعة حثيثة . وحول هذين المريضين كانت مجموعة من الأطباء الجراحين تترقب منتظرة ان تبلغ حالتهما من السوء درجة ينقطع فيها الأمل من حياتهما ، حتى يستطيع أعضاء هذه المجموعة أن يجروا عليهما أول عملية من نوعها فى تاريخ الطب . تلك العملية هي عملية نقل القلب من انسان الى انسان ، بغية انقاذ حياة واحد من هذين الانسانين .

المريض الاول شيخ فى الثامنة والستين من عمره مصاب بارتفاع الضغط وبانسدادات متعددة فى الشرايين ، وبغنغرينا فى الساق اليسرى تستوجب بتر هذه الساق . قلب هذا المريض من الوهن بحيث تبين من الفحوص الدقيقة المجراة له انه لن يعيش أكثر من ساعات قليلة .. « إلا » إذا أمكن استبدال قلبه بقلب آخر ، فتي وقوي !

المريض الثاني شاب فتي فى سبيله الى الموت الأكيد لأنه مصاب بعلة دماغية لا أمل فى الشفاء منها . لا يوجد ما يحول بينه وبين مصيره المحتم المقبل بسرعة حتى «إلا» هذه التى وجدت فى حالة المريض الأول . وقد قبل اهل هذا المريض أن يتنازلوا عن قلب ولدهم ، فى اللحظة التى يتبين فيها أن موت الولد قد أصبح محققا ومشهودا .. لينزع ذلك القلب من جسد صاحبه ويزرع فى صدر المريض الأول .

ولكن كيف يمكن نقل القلب من جسد انسان وزرعه فى جسد انسان آخر ؟

كانت مجموعة الأطباء الجراحين التى التفت حول سريري المريضين الداخلين فى النزع قد قامت ، منذ عام ١٩٥٦ ، بدراسات وتجارب وعمليات متعددة فى نقل القلوب من حيوانات الى مثيلاتها . أجرت عمليات نقل القلب على الكلاب أولا ثم على العجول التى تبين أن قلوبها أقرب ما تكون شبها بالقلوب الانسانية . حتى إذا وجدت انها أحاطت بكل المشاكل التكنيكية فى هذه الجراحة الدقيقة ، وانها اكتسبت القدرة على اجرائها بكل نجاح ، وذلك فى خلال أعوام ثمانية من الجهد والتجربة ، رأت بأن الوقت قد حان لتتعرض الى تطبيق هذه العملية على أسمى المخلوقات فى السلم الحيواني .. على الانسان .

ولكن نقل القلب البشري ليس مجرد عملية ، ومشاكله ليست مشاكل التكنيك الجراحي التى تعرض عند نقل القلوب الحيوانية ، فحسب . قلب الانسان له مكانته التى لا تعلوها مكانة فى التكوين الجسدي ، مثلما له قيمته السامية فى الاعتبار المعنوي . لذا فان التدخل على هذا العضو النفيس معناه الخوض فى اعتبارات متعددة على الصعيد الاخلاقي والفلسفي الى جانب معاناة المشاكل الجراحية الصرفة ، بل وحتى قبل معاناة هذه المشاكل .

الموت الذى لا يأتي

من الاعتبارات التى كان الأطباء والجراحون المتهيئون لعملية نقل القلب شديدي الاحساس بها فى تلك الليلة ، انتظارهم بصبر فارغ أن يعجل الموت الى المريض الثاني ، المريض المعطي ، الذى طال أمد نزعه أكثر مما كانوا يأملون . لقد ضايقهم أن تطول حياة مريضهم هذا وهم كأطباء مفروض فيهم أن يتضايقوا إذا عجل الموت الى مرضاهم ...

المريض الاول ، وهو المريض « الآخذ »

فى العملية المنتظرة ، كان قد دخل فى مرحلة النزع الحقيقي التى لا يمكن الانتظار بعدها ، فنقل عندها الى قاعة العمليات . شق صدره بسرعة عن قلبه المهترىء ، قلب دقاته معجلة ، مضطربة ، فى المرحلة الأخيرة قبل لحظة التوقف النهائى . وادخل فى هذا القلب المائت انبوبـان من المطاط : واحد لتلقى الدم القادم الى القلب من الجسم ، والثانى لتلقى الدم المندفع الى الجسم من القلب. ثم ربط هذان الأنبوبـان الى قلب ميكانيكي ، وهو مضخة ماصة دافعة تؤمن ورود الدم من الجسد ثم عودته اليه

حينئذ توقف قلب المريض الأول تماماً ، وإن ظل جسمه حياً . فقد كان دمه جائلا فى جسمه كما كانت كافة اعضائه ، باستثناء القلب ، تعمل عمل الأعضاء الحية . إلا ان هذا الوضـع ما كان ممكنا ان يدوم ، فالجسم الانساني لابد له من قلب انساني ، لا قلب ميكانيكي صناعي ، لكي تستمر حياته . وهذا القلب الانساني هو ما كان الجراحون يتهيأون لنقله من صدر المريض الثاني ، المعطى ، الذى كان راقدا فى الغرفة المجاورة ينتظر الموت وينتظره معه الجراحون ...

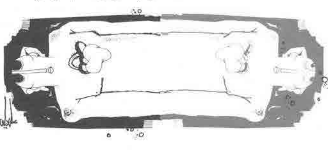
غير ان هذا المريض الأخير ظل حياً ... لم يكن يريد ان يموت ، كأنه لا يريد ان يهب قلبه لجاره . انه ينازع ، ولكنه حي .

وهنا وجد الأطباء انفسهم أمام مشكلة جديدة تمثل فى اختيار دقيق وحرج عليهم ان يقوموا به . كان عليهم اما ان يوقفوا دورة القلب الصناعي التى لا يمكن ان تستمر أبدا فيموت مريضهم الأول ، نافضين أيديهم من الأمر ، وإما ان يجربوا تجربة جديدة أكثر جراة من تلك التى تهيأوا لها ولكنها اكبر مسؤولية وأدق عواقب ، من وجهات النظر الانسانية والفلسفية والاخلاقية . تلك التجربة هى استبدال قلب المريض الأول، لا بقلب بشرى ، بل بقلب حيوان !

اقتراع سري

وفى الواقع كان هناك ، تحت تصرف الجراحين ، قردان من القرود الشمبانزى صالحان لمحاولة هذه التجربة ، وقد أعدا للاحتمال الذى قد يطرأ فى مثل هذه الظروف . فهل تجرى هذه المحاولة ؟ وإذا أجريت وتمت بنجاح ، فاية قضية مشكلة ستنفتح بها لأول مرة فى التاريخ البشرى : انسان يعيش بقلب شمبانزى؟

فى الدقائق الحرجة التى فى اثنائها كان جسم المريض الأول يحيا بدم تسيره مضخة ميكانيكية ، دار نقاش مثير بين الأعضاء الرئيسيين فى مجموعة الأطباء المشرفين على العملية ، عرض فيه كل منهم وجهة نظره فى الأمر . ثم جرى التصويت بالاقتراع السرى ، فكان هناك أربعة أصوات فى جانب اجراء العملية بقلب شمبانزى . امام صوت واحد ضدها



وهكذا شرع الجراحون فى عملية نقل قلب الشمبانزى الى صدر الانسان .

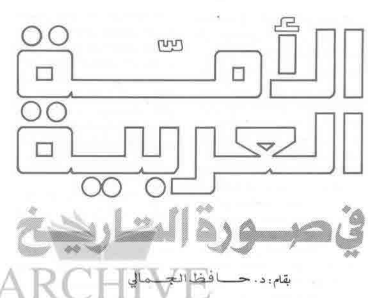
وليس هنا مكان وصف عملية ذلك النقل التى تمت بنجاح . فبعد أن ظل جسد المريض الآخذ يعمل ساعة من الزمن بقلب ميكانيكي ، عاد دمه فجرى فى القلب الشمبانزى بعد أن تم وضع هذا القلب فى الصدر الانساني . واخذ القلب ينبض نبضان قلب طبيعي سليم ، متلقياً الدم من اوردة المريض الأول مرسلا إياه فى شرايين هذا المريض .

خلع الجراحون قفازاتهم المطاطية والقوا أرديتهم المعقمة واخذوا يتطلعون بعين الرضا الى نتيجة عمليتهم الخطيرة التى نجحت نجاحا تاما من الناحية التكنيكية . شيء واحد كان يعوق نجاح هذه العملية من كل الوجوه . ذلك ان قلب الشمبانزى كان صغيرا بالنسبة للقلب البشرى ولحاجة جسم الرجل الذى أصبح قلباً له من الدوران الدموى . زاد الأطباء ، بالتنبيه الكهربائي ، سرعة القلب حتى تعيض سرعة الدوران عن نقص حجم الدم الذى يضخه القلب الصغير . ولكن هذا أيضاً أمر لا يمكن أن يستمر أبداً .

لو كان القلب المنقول هو قلب المريض الثاني ، الذى كان لا يزال حياً فى الغرفة المجاورة ، لما كان لهذا العائق وجود ! وكان لابد أن يقتنع الجميع بأن القلب الجديد ، على الرغم من النجاح فى نقله وتثبيته ، عاجز عن أن يكون قلباً صالحاً للانسان الذى نقل اليه .

وتوقف قلب الشمبانزى عن النبضان فمات المريض الأول .

وفى اليوم التالي ، حين فارقت الحياة تماماً هذا المريض ، وحين لم تعد تجدى اية محاولة لزرع قلب انساني فى جسده مات المريض الثاني !



الأمّة العربية في صورة التاريخ

بقلم : د. حافظ الجمالي

● إن القلق الذي يعانيه المواطن العربي أينما كان يعني شيئاً شديد الأهمية

● هل كان العربي سعيداً على المستوى الشخصي بائساً على المستوى القومي ؟

يعيش عرب هذه الأيام ، في ارضهم التاريخية ، المعروفة لهم وبهم منذ عهد الفتوحات الاموية والسابقة للاموية، وإذا استثنينا بلاد فارس ، فان الرقعة الجغرافية لأمتنا ظلت على مدى قرون طويلة ، هي ، هي ، تقريباً . ولئن جلونا عن الأندلس وصقلية ، وجنوبي ايطاليا ، وكريت ، وبعض الجزر الأخرى ، بعد احتلال طويل او قصير ، فلاريب ، مع ذلك ان اكثر اراضينا ظلت كما كانت في الماضي ، عربية الحسب والنسب .

وابنما كان العربي على هذه الأرض الفسيحة جداً ، ذات السبعة الاف كم طولا ، والاربعة الاف عرضاً فانه يعيش حياته التي تصبح ، بمقدار ما تنقضي ، تاريخاً عاماً بمقدار ما هو شخصي .. إلا انه يضم بطبيعة الحال ، ذلك الجزء الآخر من التاريخ الذي عاشه اجداده من قبل ، ولم يعشه هو ، وتتكون له في نفسه صورة ملونة جداً ، بالتاكيد ، إلا انها الوان تتكرر باستمرار على طول هذا التاريخ . وعندئذ يتساءل العربي : احقاً يصور التاريخ حقيقة الأمة ، اية أمة لا على التعيين ، لا الأمة العربية وحدها ؟ واذا لم تصور الامة نفسها في تاريخها ، كما يصور الانسان نفسه في سلوكه ، ففيم تصور نفسها اذن ؟

أقول هذا وفي ذهني هذه الصورة التي تتجلى فيها الآن ، امتنا العربية ، والتي يعرف الصادي والغادي ان دولها اكثر من حاجتها ، وانها اشد انقساماً على نفسها ، حتى ليتمنى لها اعداؤها انفسهم ، الانقسام الاقل ، والوحدة الأكبر ، وان بعض ردود افعالها – ولاسيما في المواقف الحرجة جداً – لا تخلو من الغرابة ، وانها تجابه اخطاراً يكاد تاريخ العالم كله ، يتساءل عما اذا كانت قد وجدت فيه امة غيرها ، جابهت مثل اخطارها ، في الماضي ، او في الحاضر . ترى أيمكن لهذا الواقع التاريخي المهلهل ، الممتد عبر مئات السنين ، أن يعتبر صورة حقيقية لهذه الأمة ، لا صورة مضافة ، أو مزيفة ، او خارجية قسرية ؟ فاذا اعتبر هذا الواقع التاريخي صورة حقيقية ، لا مزيفة ، فماذا يبقى للعربي غير ان ييأس من حياته ووجوده ، ويفارق كل طموح، ويغرق نفسه في استسلام كامل لقدره . ويعزف عن كل مطالبة بالأفضل والأحسن ؟

غير ان القلق الذي يعانيه المواطن العربي ، حيثما كان ، يعني شيئاً هاماً ، هو انه لا يرضى عن واقعه ، وانه يرى في امته القدرة على تغيير هذا الواقع . ولولا ذلك لما كان لقلقه معنى : إن الطالب البليد في المدرسة ، لا يملك الطموح الى الذكاء ولا الى التفوق . ولكن الأذكياء وحدهم هم الذين يشعرون بهذا القلق ، ويظلون باستمرار قليلي الرضى عما يحققونه لأنفسهم من ارتقاء ، طامحين الى الافضل والاجمل . ذلك أن طموحهم

مدعوم بمادة عقلية ، فيها ما يجعل هذا الطموح مشروعاً .

إلا ان العربي ـ الذكى حقا ـ يفاجا دوماً بما حوله : يفاجا بغريب يحتل بعض ارضه ، ويستوطنها لحسابه ، ويهجر اهلها الأولين ، ويفاجا بانه يملك اسلحة كثيرة للقضاء عليه ، ولكنها لا تستخدم . أوليس عجيباً ، على سبيل المثال ، ان يكون فى يدى هذا السلاح او ذاك ، ثم لا اشهره دفاعاً عن وجودى ، عندما افاجا بخطر القضاء عليه ، حتى ولو كنت اعرف سلفاً انه لا يجبّ عنى الخطر ؟ بل اليس الاعجب من هذا الا يخطر فى بالى إلا عدم اشهار هذا السلاح ابداً ؟ أوليس الاعجب والاعجب ايضاً ، ان يكون فى وسع هذا السلاح ان يقتل عدوى ، قبل ان يقتلنى ، او يقتله وحده دون ان يقتلنى ، ثم لا افكر مطلقاً فى استخدامه . ومرة اخرى ، هل هذا كله فعلا ، هو حقيقة الامة العربية . ولئن كانت هذه الحقيقة ، فلم لا تزيد هذه الامة إلا تململا وقلقاً وطموحاً الى وجود اخر غير هذا الوجود المتواضع جداً ؟ ولم قامت الثورة الوهابية فى منتصف القرن الثامن عشر ، لتتلوها ثورة محمد علي باشا فى مصر ، ثم ثورة المهدى فى السودان (بين عامى ١٨٨٠ ـ ١٨٨٥) ثم الثورة العربية عام ١٩١٦ .. بل لم تلاحقت هذه الثورات ، وتزامنت او تتابعت على طول الأرض العربية ، منذ ان ضعفت الخلافة العثمانية عن تمثيل امجاد الأمة العربية ، نيابة عنها ؟

لئن كان ما يقع منذ استقلال الدول العربية ، من احداث ، فيها الانجازات الرائعة احياناً ، إلا ان فيها البائس ، والمشؤوم ، والمحزن ، هو الذى يصور حقيقة هذه الأمة ، فلابد من الاعتقاد إذن أن حظنا سيء جداً ، وأن ثرواتنا العقلية ليست كما نتمنى . ذلك ان المحزن من وقائع حياتنا ، اكبر بكثير من المفرح . ولكن المشكلة الاكبر هي ان



خريطة الوطن العربي

احزان ايامنا هذه جزء من سلسلة طويلة من الاحزان ، يكاد من يقرا التاريخ العربي ، لا يقع إلا على مثلها ، منذ اكثر من الف سنة . واكاد اتحدى كتب التاريخ جميعاً ـ ما الف منها قديماً ، وما الف نقلا عنها ، ليقال انه حديث ـ إن كانت تخلو صفحة من صفحاتها ، من هذا الذى تحزن له القلوب ، وتغص به الحلوق . باستثناء فترة صغيرة لا تكاد تمتد الى اكثر من قرن واحد ، وبعد انتشار الدين الاسلامي . وحتى هذه الفترة الأولى نفسها ، لم تكن تخلو من المنغصات ، ولو ان مسراتها كانت تغلب على احزانها . فهل يصح القول إذن : إن الأمة العربيةلا تصور خلال الف سنة من تاريخها ، إلا شيئاً اخر ، غريباً عنها مستورداً من الخارج ، مفروضاً ، غصباً ، فلا علاقة له بها ، ولا علاقة لها به ؟ .

مع البديرى الحلاق

وبين ايدينا ، منذ سنوات غير قليلة ، كتاب البديرى الحلاق الذى نشر بعنوان (حوادث دمشق اليومية بين عامي ١٧٤١ ـ ١٧٦٢) . وكما هو واضح ، فان الرجل بسيط ساذج ، نسبياً ، بل وعامي ايضا . وقد كتب مذكراته هذه بلغة ملاى بالاخطاء ، فلم يجد الناشر بداً من إصلاحها (وليته لم يفعل) ، او هكذا حسب . ومع ذلك فان اهمية هذا الكتاب عظيمة : رجل حلاق ، كمهنة ، عادى جداً ، يعيش فى دمشق ، ويسمع اخبار ما يجرى فيها ، فيسجله كما تناقله الناس ، او كما شهده هو بنفسه احياناً . والاخبار فيه مختلفة : امطار السماء ، برد الشتاء او اعتداله ، اسعار الحاجات ، الغلال او الرخص ، ندرة المواد او كثرتها ، خلافات الوالي مع الدفتردار ، فرق الجند مع بعضها ، او الولاة بين بعضهم ، وما يصاب الناس خلال ذلك من اذى . لكن من يقرا هذا الكتاب لا يسعه إلا الرثاء لمن عاشوا فى تلك الأيام . مساكين هم حقاً . افبمثل هذا البؤس كانوا يعيشون ؟ وحتى الحج الى بيت الله ... لا ريب انه كان مغامرة كبيرة ، ملاي بالمهالك ، والنجاة وحدها ، فيه ، سعادة كبيرة . والآن هل عاش شعبنا ، فى ايام البديرى وحدها ، في مثل هذه التعاسة ؟ اولا يكشف لنا التاريخ ، متى قراناه ، ومن المشرق الى المغرب ، عن ان اكثر ايامنا كانت



بديريـة ؟ لاشك ان البديرى كتب مذكراته بمحض المصادفة ، خلال السنوات ١٧٤١ ـ ١٧٦٢ . ولكن من يخطر فى باله لحظة أن الشقاء لم يبدأ إلا علم ١٧٤١ ، ثم انتهى عام ١٧٦٢ ، فسكت البديرى ، وتوقفت مذكراته ، لأنه مغرم بالحديث عن الشقاء ، فلما عم الهناء الدنيا ، وملأ قلوب الناس ، واصبح المجد لله فى العلى ، والمسرة فى الأرض ، لم يعد هنالك مجال لمثل احاديثه ؟

وها نحن نعيش الآن ، ويعيش معنا الكثيرون ، ونسافر بحكم الروابط الاخوية ، التى تشد الأقطار العربية بعضها الى بعض ، او بحكم تبادل الخبرات ، أو ضرورة المشاركة فى المؤتمرات . وتطلعنا الأسفار على أحوال كل بلد عربي آخر ، مما اصبح متاحاً للكثيرين فى هذه الأيام . وكثيرا ما سالت الناس فى بلدى عن افراحهم القومية ، اى الأفراح التى يسعد بها الناس جميعاً ، وفى وقت واحد ، وبالدرجة نفسها ، مثل الفرح بتاميم قناة السويس عام ١٩٥٦م ، او الفرح بالوحدة السورية ـ المصريـة عام ١٩٥٨م ، او الفرح باستقلال الجزائر عام ١٩٦٢م . اما الجواب من الكبار ، فلا يكاد يتجاوز هذه الأفراح التى ضربتها على سبيل المثال . واما الشباب حتى العشرين من العمر ، فانهم لم يعثروا فى ذاكرتهم ، على اية فرحة قومية . اما عن الأحزان فحدث ولا حرج. فكل يوم نستفيق فى صباحه ، واسرائيل موجودة ، هو حزن قومي ، لا لمجرد وجودها ، بل لانه يذكرنا بضعفنا او عجزنا « غير المعقول » عن مقاومتها.

إن اسرائيل ليست موجودة لانها قوية جداً ، بل لأننا لا نريد أن نستخدم اسلحتنا المشروعة فى مقاومتها . ومن يدرى ، فقد يوجد من يهددنا بالقضاء علينا قضاء تاما ، إذا نحن استخدمناها. وهكذا تعيش اسرائيل دوماً بحماية خارجية ، وتقلم اظافرنا دوماً ، على يد الامبرياليات الكبرى والصغرى ، وهنا ايضاً اتساءل : لئن كانت الأجيال التى تعيش الآن غارقة فى مثل هذا البؤس النفسي ، فلا تذكر انها فرحت أية فرحة قومية حقيقية ، خلال حياتها ، افلا يمكن التعميم على الموتى ، والقول : إنهم ، هم ايضاً لو سئلوا هذا السؤال ، وهم احياء فى ايامهم ، لما وجدوا جواباً اخر؟ او لم يجب البديرى عنهم ، وبلسانهم جميعاً . وهو يكتب احداث دمشق فى ايامه . سواء اكانوا يعيشون فى دمشق، او فى القاهرة ، او القيروان ، او قرطبة او غرناطة ؟ المشكلة إذن ليست إن جزءاً من الشعب العربي ، فى الشرق ، أو فى الغرب ، لم يعان إلا الآلام القومية فى حياته ، بل المشكلة ، هي ان كل الشعـب العربي ، وخلال القسم الاكبر من تاريخه ، لم يعان إلا من النكسات القومية والوطنية ، بسبب من العدوانات الخارجية ، كما لم يعان ، عند انقطاع هذه ، إلا من ظلم نفسه لنفسه .

البؤس القومي والشخصي

والآن هل يمكن القول : إن العربى كان فرحاً على المستوى الشخصي ، وبائساً على المستوى القومي ، او انه كان يعانى البؤس فى الحالين ، ولا يذوق طعم الفرح فى اى منهما ؟ وهل كان من الممكن ان يكون فرحاً شخصياً ، دون يطل فرحه الشخصي ، على الفرح القومي ؟ اوليس العكس صحيحاً ايضاً ؟ لاشك انه لا ينبغى الذهاب بعيداً ، فى هذه المعادلة ، والاخذ بمبدأ توازى الفرحين : الشخصي والقومي . إذ أن الفئات المدعوة للدفاع عن الوطن فى كل المعارك ، هى اكثرية الشعب ، الفقيرة دوماً ، او المسحوقة ، أو البروليتاريا الداخلية ، بلغة توينبى . وما اكثر ما تبرهن هذه على استعدادها للتضحية فى سبيل الوطن الذى لا يملك فيه إلا القليل جداً . إلا انها تشعر على كل حال انها لوطنها ، ووطنها لها ، لا يحكمه اجنبى ، ولا غريب ، ولا مماليك . أما الوطن العربى ، فقلما عرف حكماً آخر ، منذ عهد المعتصم ، غير حكم المماليك ، الغرباء أصلا ، وعرقاً ، ولغة ، وثقافة ، عن جملة الأمة . وطبيعى أن يستبد هؤلاء بالسلطة كلها وان يقفوا من الشعب ، ما يشبه وقفة مسرور من جعفر البرمكى . وهكذا تغيض حيوية الشعب ، ويتضاءل انتاجه ، ويزداد فقره ، وتقل حماسته فى الدفاع عن الأرض . بل لابد ان تغيض . وبالتالى لابد من هنا أن يتوازى البؤس الشخصي ، مع البـؤس القومى .

• • •

ومنذ عدة سنوات ، جاءنى استاذ سابق لى ، او لعلنى انا الذى زرته فى بيته . وهو الدكتور جميل صليبا ، الذى احتل مناصب جد رفيعة فى وزارة التربية السورية ، وجامعة دمشق ، والأونسكو . وحدثنى فيما حدثنى انه عثر على صحيفة كان له فيها مقال ، وجد الى جانبه مقالا لي ، فى نفس الصفحة ، بدا له ، للمرة الثانية ، غريب العنوان بعض الشىء ، إذ هو بعنوان «العفو عن الشعب» . وخلاصته أن ما قاساه فى الماضى من انقسامات مذهبية فى الشكل ، سياسية فى الحقيقة ، ومن هجمات صليبية ، ومغولية ورومية بيزنطية ، وحروب داخلية بين ولاة او ملوك الدويلات التى

تجزات فيها الدولة العباسية فى المشرق او فى المغرب ، وما نقاسيه من هجمات صهيونية ، واستعمارية ، وصراعات حادة بين دويلاتنا الكثيرة ، وما يتبعها من هموم ، قد تكون كبيرة حقاً ، داخل كل دولة ... كل ذلك جدير بان يوحى الينا باننا ارتكبنا الف جريمة سيزيفية وأن زوس ، كبير الهة اليونان ، حكم علينا كما حكم عليه ، بان نحمل ابد الدهر صخرة ضخمة من ادنى الوادى او صخوراً لا حصر لها ، تعود فتتدحرج الى الوادى من جديد ، متى وصلنا بها الى القمة المعينة لها . وحقا فان من الصعب ان نجد شعباً غربيا او شرقيا ، لم نتعرض لاذاه العنيف جداً ، ولانزال.

التاريخ وصورة الامة

غير انى اعود الى السؤال الأساسى ، واقول : هل يجوز أن يعتبر التاريخ صورة للأمة التى يصنعها (او تصنعه) ؟ فاذا كان الأمر كذلك ، فلماذا اختلفت هذه الصورة يوما ما ، لدى ظهور الرسالة الاسلامية ، وبعدها بزمن غير قليل ، وكانت رائعة زاهية ، يومئذ ،

لتعود بعد ذلك فتصبح حزينة ، جريحة ؟ اويمكن للكفاءات الواحدة ، ان تنتج اكبر الخير لمدة قصيرة ، واكبر الشر ، لمدة طويلة ؟

الحقيقة ان تاريخ الامة ، اى امة ، يصور عوامل مختلفة ، فيها السكان (كما ونوعا) ، وفيها الارض ودرجة خصوبتها ، وفيها مستوى العقلانية فى سلوك قياداتها ... وكذلك فان فيها اثر التحديات الخارجية ، وما يمكن ان تحدثه من الانعكاسات الايجابية او السلبية ، او الخليط الممكن منهما . فاذا سلمنا ان ارضنا العربية فقيرة (إذ ان ما فيها من مساحة زراعية متوفرة الآن ، لا يعدو الخمسين مليون هكتار ، مما يقل كماً ونوعا عن المساحة الزراعية فى فرنسا ، رغماً عن أن هذه اصغر منا ارضاً بست وعشرين مرة) ، وأن السكان ظلوا قلائل لهذا السبب (فمن يصدق مثلا أن مصر التى هاجمها نابليون كانت دون المليونين سكانا ، وان سكان لبنان العثمانى عام ١٩٤٤ ، كانوا ٢٠٠ الف نسمة ، وان كل العراق لم يكن فيه اكثر

● هل يجوز اعتبار التاريخ صورة للأمة التي يصنعها أو تصنعه ؟ .. ولماذا اختلفت هذه الصورة يوماً ما ؟

● تاريخ الأمة .. أي أمة .. يصوّر عوامل مختلفة .. فيها السكان وفيها الأرض ، وفيها مستوى العقلانية في سلوك قياداتها

من مليونين ، وان كل سكان سورية كانوا فى حدود المليون ونصف المليون نسمة) ، وان المؤثرات الدولية كثيراً ما كان لها اسوا الآثار فى حياتنا ، فان الذى يبقى بعد كل حساب ، هو القادة ، لا القادة وحدهم ، بل ما فى وسعهم ان يقدموه للشعب ، امناً وطمانينة ، وهدوء بال ، وحرية . ولكن اى شعب فى العالم أصدر فيه سلطانه خطا همايونيا اسمه خط كولخانة (عام ١٨٣٩) ، يبدأ ببراعة استهلال رائعة ، خلاصتها انه يضمن لرعاياه حياتهم واعراضهم واموالهم ، دون ان يستتبع هذا الخط اى تغير على الصعيد العملى ، كما لو ان المرسوم لم يصدر قط ، بل كانه لن يصدرابداً . وهل كنا نستمتع «بالخيرات» الهائلة التى ساق لنا الحديث عنها ، صاحبنا البديرى ، وكل تاريخنا عهد العثمانيين ، لولا أن «عقلانية» السلاطين لم تكن فى المستوى اللائق بها ؟

ويسالون بعد ذلك : لم انتم متخلفون ؟ ترى اليست هذه مناسبة للتساؤل مع ابى نواس فى قوله : تسالين عن سقمى صحتى هى العجب ؟ إن آخر ما يمكن قوله : إن تاريخنا هو صورة سليمة لكفاءات امتنا . وما اظن ان الصورة البائسة التى رسمها التاريخ لنا ، هى صورتنا الحقيقية ، ولو تكررت الاف السنين ، لا الفا واحدة . ولئن كانت ارضنا كبيرة الصحراء ، قليلة الماء ، فان ارض اليابان ليست باغنى ، ولا اكثر خيراً . ومع ذلك فان ارضنا تعوضنا الآن بخيرات ، إن لم تكن ابدية ، فان عطاءها يكفى ويزيد عن حاجتنا الى انجاز صعودنا الحضارى . ولئن حال فقر الأرض دون الارتقاء بثقافة الناس فى الماضى الى المستوى الذى يستطيعون الارتقاء اليه ، فاظن ان مثقفينا اليوم اكبر عدداً ، فى كل مرحلة تعليمية ، مما كانت عليه حال بريطانيا او فرنسا حتى عام ١٨٧٥ على الاقل . ويذكر الفرد سوفى فى كتابه (الاشتراكية فى الحرية) ان نسبة الطلاب التى كانت تنتقل من التعليم الابتدائى ، الى الثانوى أو التقنى ، عام ١٩٣٩ لم تكن تزيد عن ١٠٪ ، واصبحت الآن اى عام ١٩٧٠ ، (لدى ظهور الكتاب) حوالى الـ ٧٠٪ ، اما الطلاب الوافدين الى التعليم العالى ، فانه تضاعف تسع مرات ، مقابل زيادة نسبية فى عددهم لا تتجاوز الـ ٣٠٪ ، على حين ان سورية تعرف نسبة بين هذين التعليمين (الابتدائى بالنسبة الى الثانوى) تساوى ٤٠٪ عام ١٩٧٩ ، كما لو اننا الآن ارقى من فرنسا عام ٣٩، باربع مرات . ولئن كانت التحديات الخارجية كبيرة دوماً ، كما هى حالها الآن ، فلاريب ان الغرب عرف حروباً ذهبت بثروات ، واودت بارواح ، وقضت على مدن ، لم نشهد نحن ما يشبهها فى الظرف المعاصر ، عنفاً فى التخريب ، وازهاقاً للأرواح .

ضعف القيادات

لم يبق إذن إلا عامل واحد ، لا مجال للذهول عنه . وهذا العامل هو ضعف القيادات المملوكية والعثمانية عن مجابهة مسئولياتها . وزاد الطين بلة اسرافها فى الاساءة للمواطنين ، وافقادهم الطمانينة والحرية ، وشعورها بالغربة عن الشعب الذى كانت تحكمه مأكان يفقدها القدرة على تمثل مطامحهم .

الأمة العربية

في صورة التاريخ

لا مجال إذن ، مع هذا كله للقول : إن الشعب كان يعمل ويجهد ويكد ، فى ظروف طبيعية ، ثم لم يرسم إلا هذه الصورة البائسة لكفاءاته ، ودرجة عبقريته ، بل العكس هو الصحيح حقاً. ولقد كان شعبنا ، دوماً ، هو الغائب الوحيد عن مسرح الاحداث . فاذا هو حضر ، فبدون اية مشاركة فى التعبير عن مطامحه وآماله .

لم يكن عجيباً إذن الا يرسم شعبنا خلال تاريخه ، صورته الحقيقية فى تلك الظروف البائسة . فارض الشر لا تنبت الخير ، مهما بذل فيها من جهد . ولكن متى اصبح الشعب ولي امره ، وعادت اليه سيادته ، وكانت قيادته منه واليه ، ولعب دوره الطبيعى المعقول ، فيقينا لن يكون له إلا نفس التاريخ الذى عرفه لنفسه بعد ظهور الرسالة الاسلامية .

وهنا تبدو المسئولية كبيرة جداً ، بالنسبة للقادة الذين يتولون امر هذا الشعب ، فى قطر او آخر من بلاده . فاذا راوا ان شعبنا ضئيل الهمة ، قليل الانتصارات ، بطيء التقدم ، وان تخلفه يستمر ، وتاريخه لا يسجل إلا مثل الصفحات المملوكية ، فى عهد الانحطاط فلابد ان يفهموا إذن ان صورة قيادتهم تحتفظ او ماتزال تحتفظ بالخصائص المملوكية ، ولم ترد للشعب كرامته ، وأمنه ، ولم توضع نواظم للعلاقة بين الحكام والمحكومين ، يعرف كل منهم فيها ، حده ، فلا يتخطاه ، ولا يعدو عليه . اما استمرار فقدان هذه الحدود ، وميل الرغبة الى ان تكون قانوناً ، والقانون الى ان يكون رغبة ، والذهول عن حاجات المستقبل ، والوقوف فى النظر على الحاضر الشخصى وحده ، والطمع بتاييده اذا امكن تاييده ، فاظن انه سيكون عجيباً الايتتابع البديريون ،

● كان شعبنا دوماً هو الغائب الوحيد عن مسرح الأحداث

● ترى .. كيف ننشئ لهذه الأمة تاريخاً يصورها كما هي بخيرها وشرها ؟

ليكتبوا ، من جديد ، مذكرات ، تشبه فى كل شيء ، مذكرات البديرى القديمة .

الخلاصة

لنخلص إذن الى القول : إن تاريخ الامة ، اية امة ، ليس بالضرورة صورة سليمة لها ، لانه قد يصور عيوبها ونقاط ضعفها ، اكثر مما يصور فضائلها ومزاياها . وعندما يتولى الأمر فيها الغرباء عنها ، لا بالدم او العرق وحدهما بل بالخلق والفضيلة ايضاً ، او بالمتوسط العام لهذا الخلق وهذه الفضيلة ، فيقيناً سيصور التاريخ العيوب والثغرات ونقاط الضعف ، اكثر مما يصور الفضائل والخصال والمزايا ، او قل إنه يصور النواحى السلبية وحدها ، دون الايجابية . ولاشك عندى ان تاريخ امتنا الفعلى ، لم يزد على هذا شيئاً ، إذ لقد نمى العيوب ، وقلص الفضائل ، لشدة ما اكرم هذه واساء إلى تلك . وعلى كل حال فان الصورة التاريخية الواقعية ، ليست دوماً بالصورة الحقيقية . ذلك ان الانسان خليط من الخير والشر ، من الملاك والشيطان ، من السماء والأرض ، ولن نوفيه حقه إن نحن قصرنا الحديث فيه على المثالب وحدها ، لاسيما إذا نحن غذينا هذه ، أكبر التغذية ، واجعنا تلك أكبر الجوع .

● ● ●

لكن المشكلة تبقى الآن قائمة : ترى كيف ننشىء لهذه الامة ، تاريخاً يصورها كما هى ، فى خيرها وشرها معاً لا فى هذا بمفرده ، ولا فى ذاك وحده ؟ اما عندى فان القناعة كاملة ! إن الصورة المشوهة للتاريخ العربى التى نقرؤها الآن ، هى صورة التحكم والاستبداد ، وتجريد الشعب من حقه فى تقرير مصيره بنفسه .. فان لم يكن صحيحاً مئة بالمئة ، فلاشك ان خط التخلف العربى ، وخط الاستبداد واللاحرية ، كانا متوازيين .. ولا مجال للقول إن هذا التوازى لم يكن إلا مجرد التجاوز العرضى ، الذى لا ينطوى على اية علاقة سببية ، بل لا مجال للقول ، حتى بغض النظر عن الواقع كله .

إن انتاجية الحرية ، على كل صعيد يمكن ان تشبه ، فى القليل او فى الكثير انتاجية العبودية . فان تساوت الانتاجيتان ، فلابد ان نكفر عندئذ بعالم القيم كله ، وان نقول : إن فطرة الانسان التى جبلت على حب الحرية ، فطرة مريضة لا سليمة ، وشاذة لا طبيعية . فان كان الأمر كذلك ، فلماذا لا يكون الجوع والظما وكل الغرائز الأخرى ، اخطاء خلقية ، هى ايضاً ؟ وإذا كانت غرائزنا الأخرى سليمة ، فلماذا لم تخطىء الطبيعة إلا فى ناحية واحدة فريدة ، هى حب الحرية ، وكره العبودية ، ثم لماذا يفعل المستبدون كل شيء ليصادروا حرية كل الناس ، ولا يبقوا إلا على حريتهم وحدهم ؟ ولئن كان حب الحرية خطا عندنا ، نحن الناس العاديين ، فلماذا كان شيئاً سليماً لديهم ؟ ولماذا لايزال الانسان يفضل حريته على كل مصلحة مادية اخرى ، ويؤثر الجوع خارج السجن ، على الشبع داخله ؟ واخيراً لماذا تهوى الحيوانات الحرية وتحرص عليها ، ثم يجب الا تكون ضرورية لحياتها ، ومن باب أولى ، لحياة الانسان نفسها ؟

حافظ الجمالى

دمشق

درويش مصطفى الفار

خرائط.. الوطن العربي

من حقائق التاريخ ان اول « خريطة » يعرفها الوسط العلمي ، هي خريطة مصرية قديمة ترجع للقرن الرابع عشر قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، وهى خريطة (جيولوجية) ملونة ، مرسومة على ورقة بردى ، محفوظة الآن فى متحف (تورينو) بايطاليا ، وكان قد اكتشفها احد الباحثين فى اطلال مدينة « طيبة » او الاقصر عام ١٨٤٥م وتبلغ مساحتها ما مقداره (٥٣,٣ × ٤٥,٧ سنتيمترا مربعا) ... وقد حار العلماء فى تفسيرها ، ومعرفة المكان الذى تمثله من الصحراء المصرية بين النيل والبحر الاحمر ، فمن قائل بأنها لمنطقة (العلاقي) شرق اسوان ، الى قائل بأنها لمنطقة (البرامية) شرق إدفو ، حتى اثبت نفر منهم فى عام ١٩٤٩م انها تمثل (منجم الفواخير) فيما بين قنا وسفاجة ، وهو منجم للذهب ، بجانبه محجر لصخر اسود صلب كان الفراعنة يتخذون منه اصناما الهة ، فى ذلك الزمان البعيد ، وكانوا يسمونه حجر (البخيني) ونحن نسميه اليوم بلغة العلوم المعاصرة باسم (الجريواك) ... وتوالت القرون بعد عهد الملك « سيتي الأول » من الأسرة التاسعة عشرة ، حتى القرن الأول الميلادى، إلى ان اشتهرت اول خريطة تشمل ما كان معروفا من سطح الارض حينذاك وتنسب الى بطليموس الاسكندرى ، ولم تشتهر بعد ذلك إلا خريطة صنعها العلامة الشريف الادريسي فى القرن الثاني عشر الميلادى بناء على طلب من ملك صقلية النورمندى الذى اشتهر باسم « الملك روجار » ... ثم انتزع الاوربيون قصب السبق فى مضمار عمل الخرائط ورسمها ، وتهذيب الات المساحة و التى نقلوها عن العرب والمسلمين ، من كل مكان ، حتى اصبحت الخرائط اليوم من علامات الحضارة المعاصرة ، التى لا غنى عنها فى حرب او سلم ، وتعددت انواعها واغراضها حتى كادت أن تصبح علما قائما بذاته ، ودخلت سفن الفضاء والاقمار الصناعية فى مضمار صناعة الخرائط من الصور الجوية والفضائية ، بحيث اصبح كل شبر على سطح الأرض تحت بصر العلماء ، ورهن تفسيراتهم لكل الاغراض والمارب والمتطلبات ، وانتقلت تقنية (التخريط) من اليابسة بمرتفاعاتها ومنخفضاتها ، الى الرصف القارية وأعماق المحيطات حيث تبين للانسان المعاصر ان قاع المحيط عالم جديد كثير الأسرار عجيب (الطبوغرافية) مما ادى الى بزوغ فجر جديد فى نظريات تركيب قشرة الأرض الصخرية ، ولعل اجدر تلك النظريات بالاهتمام والتاثير فى الفلسفة والتطبيق هي نظرية (الدروع المتحركة) التى يقسم العلماء اليوم قشرة الارض بمقتضاها الى عدة دروع فى حركة دائمة ، إما متباعدة كجانبي البحر الأحمر ، أو وسط المحيط الأطلسي ، وإما متقاربة كجزيرة العرب وبلاد فارس ، وهذا موضوع يحتاج الى تفصيل لا يتسع مجالنا هذا له .... إذ ان موضوعنا الذى نحن بصدده ، كشاننا فى هذا المقام ، هو ان المطلع على ما يتيسر له من خرائط الاقطار العربية يلمس تكرارا ، اما متطابقا تماما او محرفا بعض التحريف ، لأسماء كثير من الجبال والوديان والنجود والوهاد والمرتفعات والمنخفضات ... تكرار يدعو الى التامل ، ثم الى طرح فكرة قد يتاتى من ورائها (عمل علمي) يشترك فيه اكبر عدد ممكن من العلماء العرب ، بين المحيط والخليج ، لاننا رغم كل السحب والزوابع والعواصف الغبراء ، لن نبرح مؤمنين باننا (أمة واحدة) ولو كره الشامتون ... تلك الفكرة هى أن ينصرف نفر من المختصين فى علوم التخريط ، تحت سمع وبصر جامعة او اكثر من كل قطر عربي ، لتحقيق الأسماء ، فى الصحارى التابعة لذلك القطر ، ورصدها ابجديا فى ثبت واضح ، وذلك تمهيدا لاستخراج ما تشابه من الأسماء على سعة الوطن العربي (بين المحيط والخليج) لمحاولة الوصول ، اكاديميا الى تفسير لذلك التشابه ، باعتبار شبه الجزيرة العربية هى الموطن الاول لتلك التسميات ، والمنبع الذى صدرت عنه الأسماء ، بترحال القبائل من شبه الجزيرة الأم ، عبرالقرون وخاصة بعد الاسلام ... ثم يلي ذلك رسم عدة خرائط فى اطلس موحد للوطن العربي ، على كل خريطة على حدة اسماء الاماكن المكررة والمتشابهة فيما بين سلطنة عمان شرقا وموريتانيا غربا .. وبافتراض اننا نعرف مواطن القبائل الاصلية فى شبه الجزيرة العربية ، فلعله يكون من الممكن ان نضيف توضيحات جديدة لتاريخ الهجرات العربية ، إذ قد تكون كل قبيلة بعد نزوحها من موطنها الاصلي لتستقر حيث شاء لها القدر ، نقلت معها بعض الأسماء للأمكنة التى نشات بين ظهرانيها ، لمشابهتها فعلا او عاطفة لبعض مواقع مستقراتها الجديدة ..وقد لا يبدو فى هذه الدعوة بصيص نور يضيء بعض غياهب التيه الذى تعانية امة العرب اليوم ، ولكنه فى اعتقادى نوع من المقاومة ، لدحض ورفض بعض مما يروج له الشامتون (داخليا وخارجيا) من ان هذه ليست امة واحدة وان ما بينها ، فى اقطارها ، من حدود مصطنعة ، هو واقع (طبيعي) لا مندوحة عنه ، ولا فكاك منه ، ام اننا مجرد (عش) من النمل فى ركن من سفينة ، يوجهها ربابنة لا سلطان لنا عليهم ولا تاثيـــــر ؟؟؟

اليهودي "شلومو أهرونسون" يهدد العرب ب:

"هولوكست"

أو إبادة نووية جماعية

عصام شريح

حفلت الغارة الاسرائيلية ضد المفاعل النووى العراقى ، بكثير من الدروس والعبر ، لكن أبلغ هذه الدروس والعبر هو أن العملية الاسرائيلية ادخلت العالم العربى من المحيط الى الخليج فى قلب العصر النووى وتحدياته الخطيرة ، بحيث أصبح السؤال المطروح الآن ، هو : نكون .. أو لا نكون .. وبمعنى اخر فنحن الآن أمام خطر «هولوكوست عربى» بالمعنى الحرفى للكلمة .. وفى مواجهة عملية «الهولوكوست» أو الابادة الجماعية هذه ، لا يبدو أمامنا من خيار لكى «نكون» ، سوى امتلاك الطاقة النووية ، القادرة فعلا على تحقيق «توازن استراتيجى» مع العدو الصهيونى على الأقل ، إن لم يكن تحقيق «تفوق استراتيجى» عليه ... إذ بات معروفاً بشكل جيد ان عدونا يمتلك عدداً من القنابل الذرية يتراوح ما بين ١٣ ـ ٢٠ قنبلة ، وقد هدد فى حرب عام ١٩٧٣ ـ عندما فوجىء بالضربة العربية ونتائجها ـ باطلاق هذه القنابل على بعض العواصم العربية بواسطة صواريخ «لانس» الاميركية ..

والآن وقد أصبح يمتلك وسيلة اميركية اخرى (طائرات اف ـ ١٦) القادرة على الوصول الى اقصى العالم العربى شرقاً وغرباً وشمالا وجنوباً ، والتى قطعت ٩٦٠ كيلومترا حتى وصلت الى «محطة تموز النووية العراقية» جنوب بغداد ، فان عدونا الصهيونى وضعنا امام معادلة خطيرة فى صراعنا التاريخى معه .. بحيث أصبح اى تهاون فى اللحاق به فى الميدان النووى ـ وبأقصى سرعة ـ الانتحار بعينه .

شلومو اهرونسون

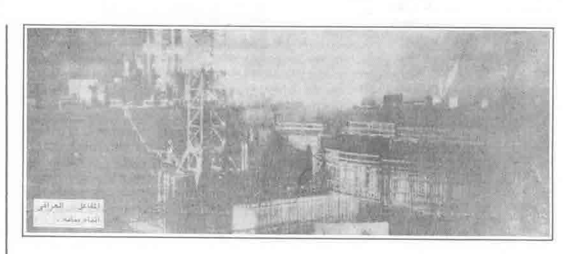
لكن .. يبقى أن نطرح السؤال التالى : هل الغارة الاسرائيلية ضد المفاعل النووى العراقى هى وحدها الحافز لنا لكى «نركض» باقصى سرعة فى الميدان النووى ؟؟

فى الواقع يقدم لنا البروفسور «شلومو أهرونسون» الاسرائيلى ، حافزاً آخر ، وربما اكبر من حافز الغارة على «محطة تموز النووية» .. فالبروفسور اهرونسون (الأستاذ فى الجامعة العبرية ومدير مركز الدراسات الأوربية فيها) ، يهددنا بكل صراحة بحرب ابادة شاملة كاملة ، ما لم نستسلم لاسرائيل ، أو اذا فكرنا بامتلاك سلاح نووى لاستخدامه ضد اسرائيل فى أى وقت .

بالرغم من كون شلومو اهرونسون شخصية صهيونية غير بارزة على المسرح السياسى ، إذ لا نعرف عنه اكثر من كونه استاذاً فى الجامعة العبرية بالقدس المحتلة ، ومديراً لمركز الدراسات الأوروبية فى نفس الجامعة ، وباحثاً سابقاً فى معهد «بروكنغز» الأميركى ، ومعلقاً فى صحيفة «هارتس» الصهيونية ، بالرغم من هذه المعلومات المحدودة عن شخصية الرجل ، إلا ان الأفكار التى طرحها فى صحيفة «هارتس» فى تشرين الثانى (نوفمبر) من العام الماضى (١٩٨٠) ، ثم داب على طرحها بعد ذلك عبر الصحف الاسرائيلية ، لا تترك مجالا للشك فى كون شلومو أهرونسون احد المخططين الأساسيين للاستراتيجية النووية فى الكيان الصهيونى ، وهى استراتيجية تبدو مرعبة للوهلة الأولى ، كما نراها بوضوح فى «السيناريو» الذى وضعه أهرونسون لها من خلال سبع مقالات كتبها فى «هارتس» فى (١٤ ـ ١٦ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٣ ـ ٢٥ ـ ٢٨/١١/١٩٨٠) ، لكنها بعد تامل قصير ، تبدو فى صورة تحد مصيرى للعرب جميعاً

والآن ما هى طروحات أهرونسون

يقول مهدداً : «إن السلاح الذرى ـ ولا نقصد بذلك القنابل الذرية فقط ـ هو وحده القادر على محو العرب جميعاً بمن فيهم الفلسطينيون والنفط العربى من على وجه الأرض» . ويضيف :



المفاعل العراقي

«وينبغي الا تتورط اسرائيل في اية حرب قد تخسرها ، حيث ان اية هزيمة في حرب تقليدية ، معناها بالنسبة لها نهاية وجودها ، وبالتالي فان لدى اسرائيل حافزاً لأن تجبر العرب على دفع ثمن باهظ ، إذا ما حشرت في وضع لا تجد منه مخرجاً آخر ، ولديها أيضاً الحافز للاقدام على ذلك في بداية الحرب ـ لا في نهايتها ـ ويمكن جباية مثل هذا الثمن المرتفع من العرب بواسطة السلاح الذرى ، وعن طريق ايجاد تهديد ذى مصداقية بانه سيستخدم منذ البداية ، وبالنسبة لاسرائيل ، فان تغلب العرب عليها بسلاح تقليدى أو غيره سيان ، وبالتالى فان من مصلحتها ان تجعل النصر العربى مكلفاً منذ البداية ، بحيث لا يعود بالامكان لأى تهديد عربى بالسلاح الذرى ان يعفى العرب من النتائج المروعة لحرب إبادة اسرائيل» .

أهرونسون .. والعراق

إن اشد ما يخيف أهرونسون هو المفاعل النووى العراقى ، الذى ضربته طائرات اسرائيلية فى السابع من الشهر الماضى (حزيران ـ يونيو) لأن العراق كان يخطو حثيثاً نحو امتلاك الطاقة النووية وأسرارها ، وهو ما ترتجف امامه اسرائيل فعلا ، خاصة وإن «محطة تموز النووية» كانت ستؤهل اكثر من خمسمائة مهندس وتقنى عربى فى العلم النووى ، وهو ما سعت اسرائيل الى منعه عن طريق ضربها للمحطة .

لذلك نرى أهرونسون يركز فى مقالاته المذكورة على المفاعل النووى العراقى ، ويدعو صراحة الى تدميره ، بل ويدعو الى تدمير العراق ومحوه من الوجود فى حال التأكد من امتلاكه اسلحة نووية .

يقول أهرونسون : «لقد اثارت جهود العراق النووية الواسعة قلقا شديداً وواضحاً فى اسرائيل ، ويتعلق الأمر هنا ببناء فرنين : إيزيس وأوزيريس ، احدهما صغير ، وقد بدأ العمل به على ما يبدو ، والثانى كبير جداً ، وذكر انه تضرر من انفجار غامض (!!) قبل ارساله الى العراق ، وقد غير المنتج (فرنسا) اسمه ليصبح اوزيراك بدلا من اوزيريس ، تكريماً للزبون صاحب الطلب (العراق) (ويذكر ان عملاء الاستخبارات الاسرائيلية فجروا جزءاً من المفاعل قبل تسليمه للعراق) .

ومضى أهرونسون قائلا : «وكان العراق حتى الحرب الحالية ضد ايران ، يعد نفسه كقوة غامضة تنمو وتكبر فى الشرق الأوسط ، وقد تحدث الخبراء الاميركيون عن نجاح النظام فى التطوير المدنى ، وفى توسيع اطر الجيش الى عشر فرق ، العديد منها مدرعة ، وعن طموح صدام حسين الذى يتحدث عن العراق كما لو انها بابل عربية حديثة ، وعن نفسه كما لو انه نبوخذ نصر فاتح القدس ، وتجربة التحديث هذه تتم بفضل أموال النفط الضخمة ...» .

ثم يشير أهرونسون الى ان العراق بدأ يظهر فى منطقة الخليج ، وفى منطقة الهلال الخصيب (الجبهة الشرقية) كقوة عظمى ، وكعدو خطر على اسرائيل ، ولا يخفى أهرونسون ان الورقة النووية العراقية ستزيد من قوة العرب جميعاً ، وتعطى بغداد موقعاً رئيسياً فى الصراع ضد اسرائيل ، إلا انه لا يستبعد أن يكون هدف الرئيس صدام حسين من امتلاك القنبلة الذرية ، هو تحييد الخيار النووى الاسرائيلى ، الى حد يمكن معه شن حرب استنزاف طويلة وربما دائمة ، ضد اسرائيل ، وتوفير ضمانات لاستمرار هجمات الفدائيين الفلسطينيين ضد اسرائيل «من دون التورط فى كارثة ذرية» .

ويعلن أهرونسون تخوفه من أن تكون استراتيجية العراق ، قائمة على توجيه سلسلة لا تنتهى من مثل هذه الطعنات «الفدائية» من الخلف لاسرائيل ، كما أوصى بذلك منذ زمن غير بعيد المعلق

اليهودي "شلومو أهرونسون" يهدد العرب بـ:

الحرب العلمية

بين مداد العلماء ودماء الشهداء

العسكرى (الفلسطينى) «الهيثم الأيوبى»، إذ من شان هذه الاستراتيجية كما يقول «الأيوبى» ان تؤدى فى النهاية، الى سقوط الكيان الصهيونى «من دون معركة حسم نهائية».

دعوة لضرب المفاعل العراقى

ويدعو اهرونسون بكل وضوح الى ضرب محطة تموز النووية العراقية دون تلكؤ (كان ذلك قبل حوالى سبعة اشهر من الغارة الإسرائيلية)، ويقول اهرونسون بهذا الصدد: «من غير الواضح حتى الآن ما اذا كان تخريب فرن «أويزيراك» (عملية التخريب فى فرنسا قبل تسليم المفاعل العراقى)، والغارة الجوية على فرن «إيزيس» (فى ايلول سبتمبر الماضى بعد ايام قليلة من نشوب الحرب العراقية ـ الايرانية)، قد اديا الى تاجيل ملحوظ فى خطط بغداد النووية، إذ من المعروف أن فرنسا ارسلت الى هناك ١٣ كيلو غراماً من اليورانيوم المشبع (من أصل ٧٢ كيلو غراماً، كانت فرنسا قد وعدت العراق بها)، تكفى للمضى فى انتاج قنبلة ذرية واحدة بمساعدة جهاز خاص اوصى عليه العراق، ضمن امور اخرى من ايطاليا، ولكن من غير المعروف ما اذا كان الجهاز الايطالى قد وصل، كما ذكر (الكلام مايزال لأهرونسون)، بان الخبراء الفرنسيين الذين عملوا فى دمج المفاعلين إيزيس وأوزيريس، قد رحلوا فى هذه الأثناء، وبالتالى وفى حين أن العراقيين احرار بعمل ما يريدون باليورانيوم الذى تسلموه، يبدو انه من المحتمل الا يكون لديهم ما يكفى من الخبراء للقيام بذلك (هارتس ٢٨ ـ ١١ ـ ١٩٨٠).

ومع أن اهرونسون يتكهن بانه قد حصل فعلا، تاجيل فى الخطة النووية العراقية نتيجة للحرب العراقية ـ الايرانية «بيد أن هذه الخطة بحد ذاتها تبرر اى عمل من جانب اسرائيل لعرقلتها وتاجيلها قدر الامكان».

ويضيف أن على اسرائيل ان تستمر فى الاستنجاد بالولايات المتحدة واوروبا بكل قوتها «الأمر الذى يتطلب أحيانا وبالذات التستر على خيارنا الذرى».

ويتوقف اهرونسون هنا امام ظاهرتين الاولى هى الحرب العراقية ـ الايرانية، التى قال انها تقدم نموذجا لحرب استنزاف لا تنتهى من قبل المقاومة الفلسطينية ضد اسرائيل، والثانية هى خوض سباق تسلح بالاسلحة التقليدية (دبابات وطائرات .. الخ)، وهو سباق ستغرق فيه اسرائيل حتى أذنيها اذا ما قبلت الخوض فيه دون حساب، ويطالب اهرونسون قادة اسرائيل بتفحص هذا الوضع مجدداً، حيث أن سباق التسلح من وجهة نظره (الشبيهة بوجهة نظر موشي دايان) «مدمر للاقتصاد وللمجتمع الاسرائيليين، وتتطلب قيمته العسكرية فحصاً مجدداً» فى ما يسميه اهرونسون «بفترة انهيار الجبهة الشرقية»، وبروز الخيار العراقى ... وايضا فى فترة شهدت ولادة «الارتباط السورى ـ الليبى»، وازاء ذلك ذلك يطالب بالتشديد اكثر على الخيار النووى، والتشديد بشكل اقل على الدبابات، وربما ايضاً على «المناطق» (اذا كان بالامكان اجراء مفاوضات بشان المناطق المحتلة ـ الضفة الغربية وقطاع غزة ـ مع الأردن) «حيث ان ردعاً نووياً كما يقول اهرونسون ـ ردعاً مكثفاً ـ هو وحده الذى يمكن ان يكون ملحوظاً» ويضيف «ان الخيار النووى الاسرائيلى سوف يفرض على ١٢٠ مليون عربى لا حدود لمواردهم المالية وللدعم الدولى لهم !!، الرضوخ لأملاءات علم الطبيعة النووية القادرة على ابادة ١٢٠ مليون عربى، وتحويل ثروتهم الجديدة الى ركام من رماد» !!.

التهديد بالهولوكوست

وتتكرر نغمة الهولوكوست ـ وهى عقدة صهيونية فى الأصل ـ تتكرر على لسان اهرونسون، فنراه يهدد ابادة هذا الشعب العربى او ذاك، وازالته من الوجود نهائيا، فبالنسبة للفلسطينيين يقول: ان الفدائيين الفلسطينيين، اتضح أن لا حيلة لهم فى مواجهة الخيار النووى الاسرائيلى، ولكنه يحذر من انهم قد يحاولون الحصول على قنبلة ذرية، وفى هذه الحال، فان على اسرائيل ان يتوفر لديها رد مكثف على هذا الخطر اى ان يتوفر لها سلاح ذرى، لا يسمح لفلسطينى واحد بان يبقى على قيد الحياة للاحتفال بتوجيه ضربة نووية واحدة ضد اسرائيل».

وفى مكان اخر، يهدد اهرونسون بتدمير المدن العربية، بل والبلاد العربية، فبالنسبة للعراق يقول ما يلى: «إن العراق الواقع بين النهرين (دجلة والفرات)، وبكثافته السكانية على ضفافها، وبغداد العاصمة، ومنطقة النفط الحيوية فى الشمال، يعتبر هدفا ملائما للسلاح النووى، ويمكن لقنبلة هيدروجينية، ان تضع نهاية له (للعراق) بكل بساطة، ومن هنا فان السلاح النووى يمكن ان يدمر ليس فقط اسرائيل، بل وان يجلب الدمار أيضاً على العراق نفسه، وعلى دول عربية اخرى، اذا امتلكت اسرائيل حقاً مبدأ نووياً مناسباً، واستراتيجية نووية موثوقة، بامكانهما ان يمنعا الدمار المتبادل مسبقاً» !!

واما بالنسبة الى مصر، فيقول اهرونسون: «انها فعلا هدف اكثر حساسية للسلاح الذرى، بسبب احتشاد سكانها فى شريطين ضيقين على امتداد النيل، فى القاهرة والدلتا، وإن سد اسوان الذى يمكن تدميره بقنبلة ذرية واحدة فقط، ليس مفتاحاً لاقتصاد مصر فحسب، بل هو ايضا مفتاح لبقاء

السكان باكملهم ، حيث سيتعرض بقاؤهم على قيد الحياة للخطر اذا ما تلوثت مياه نهر النيل بالاشعاعات الذرية .

وبالطبع فان سوريا تحتل كذلك احدى الأولويات فى تصور اهرونسون لاستراتيجية الهولوكوست ، او حتى استراتيجية الردع الصهيونية النووية فى اقل تقدير ، ففى حوار بين اهرونسون ورئيس اركان الجيش الاسرائيلى السابق «مردخاى غور» ، نشرته صحيفة دافار فى ١٠ ــ ٤ ــ ١٩٨١ ، طرح أهرونسون امكانية اسقاط قنبلة ذرية على «قطنا» (القريبة من دمشق) باعتبارها المركز الادارى للجيش السورى ومقراً لرئاسة الاركان .

تهديد باكستان

منذ عدة سنوات والاسرائيليون يركزون انظارهم على باكستان ، بعد العراق ، ويدعون ان امتلاكها قنبلة نووية يعتبر تهديداً لهم ، لانها قد تقوم بتسليم قنبلة نووية او ربما عدة قنابل للفلسطينيين او غيرهم من العرب ، لكى يقذفوا بها اسرائيل ، او لتحقيق توازن فى القوة النووية بين العرب والاسرائيليين . مما سيفقد الكيان الصهيونى صفة التفوق

وقد عبر أهرونسون عن قلق اسرائيل من امكان انتاج باكستان قنبلة نووية «اسلامية» ، فروى فى مقالاته السبع المنشورة فى صحيفة «هارتس» ، ان ليبيا قامت بتمويل برامج التطوير الذرية فى باكستان ، ويقول : «لا نعرف الكثير عن البرامج الباكستانية بالذات ، فلقد نشر فى ذلك الحين ان فرنسا التزمت بتزويدها بمفاعل ذرى وباليورانيوم ، وقد ابتاع عملاء باكستانيون من دول اوروبية مختلفة ، مواد لاشباع اليورانيوم او البلوتونيوم الذى سيستخرج من المفاعل الفرنسى ، من اجل تحويل هذه المواد الى قنابل ذرية ، ويعتقد بعض الباحثين ، ان الباكستانيين لديهم طموحات كبيرة ، وان مشاريعهم كانت تهدف منذ البداية ، الى انتاج قنابل هيدروجينية ، وليس مجرد قنابل ذرية ، تحول باكستان بضربة واحدة الى دولة اسلامية عظمى» ... ولكن اهرونسون ما يلبث ان يتخلى عن هذا الجانب من هدف باكستان لصنع قنبلة نووية ، ويعود الى ابداء «قلقه» من ان يكون الهدف ، هو مساعدة الدول العربية فى صراعها مع اسرائيل ، ويقول ان لدى باكستان النية لكى تتحول الى الدولة الاسلامية الذرية العظمى الأولى» والى «الأم الحامية للدول الاسلامية ــ العربية» وإذن فاسرائيل تفترض ــ كما يقول اهرونسون ــ ان باكستان تقوم بصنع قنبلة نووية ليس لحماية نفسها ضد الهند ، او تحقيق توازن نووى معها فحسب ، وإنما لمساعدة العرب فى صراعهم مع اسرائيل إما عن طريق إلغاء العامل القوى الاسرائيلى لفرض تفوق على العرب ، وبالتالى املاء الشروط عليهم ، وإما لاستخدام القنابل النووية التى تنتجها ضد اسرائيل فى هجوم مفاجىء يلغى اسرائيل من الوجود .

يتضح مما تقدم أن اسرائيل جادة فى منع العرب او اية دولة اخرى صديقة لهم «كباكستان» من حيازة اى سلاح نووى او امتلاك الطاقة النووية حتى لو كانت للاغراض السلمية ، واحتكار السلاح النووى وقنابل الابادة الجماعية فى يد اسرائيل وحدها .

بل ان شلومو اهرونسون يروي ان اسرائيل كانت فى الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة ، على وشك استخدام سلاحها النووى ضد المدن العربية ، وقد ركبت ثلاثة عشر راساً نووياً على صواريخ «لانس» الاميركية ، تمهيداً لهجوم نووى شامل ، لولا ان الاميركيين قاموا بتحذير اسرائيل من ان السوفييت قد أرسلوا سفينة تحمل اسلحة نووية الى مصر ، وان رؤوساً نووية قد ركبت على صواريخ «سكود» السوفييتية لضرب اسرائيل فى حال وقوع هجوم نووى اسرائيلى ضد سوريا ، وقد كان التهديد السوفييتى كافيا لوقف المغامرة الاسرائيلية المحتملة .

وعلى اية حال .. فان الأخطر من الغارة الاسرائيلية ضد محطة تموز النووية العراقية فى ٧ ــ ٦ ــ ١٩٨١ ــ فى رأينا ــ هو الافكار المرعبة التى قدمها شلومو أهرونسون ، الذى نعتقد انه احد اهم المنظرين للاستراتيجية النووية الاسرائيلية ، والذى ينعي (كما موشي دايان) سباق التسلح بالأسلحة التقليدية ، ويركز على الاحتفاظ بالتفوق النووى لاسرائيل على العرب ، وشن حرب ابادة شاملة ضد البلاد العربية او بعضها على الاقل فى حال حيازة العرب أسلحة نووية .

ومن هنا ، فان «السيناريو» النووى الاسرائيلى فى الاستراتيجية العامة التى يتصورها أهرونسون ، تعتبر جرس إنذار للعرب جميعاً ، من ان اسرائيل باتت على وشك التحكم برقابنا جميعاً ، وان جميع المظاهر الحضارية ، او «شبه الحضارية» ، لن تفيد الأمة العربية ، مادامت مكشوفة نووياً امام عدوها الصهيونى .

ولا اتصور أن هناك خطراً داهماً على مصيرنا جميعاً ، مجتمعات ودول وافراد ، اكبر من الخطر الماثل امامنا الآن ، والذى أوضحه لنا احد الصهاينة ــ شلومو أهرونسون ــ فنحن اليوم امام خطر الابادة الجماعية فعلا ، والمعادلة الجديدة كما ترتسم أمامنا حاليا هى : من يمتلك السلاح النووى ؟ ومن يضرب أولا ؟ .. ومن يسمح للآخر بابادته من على وجه هذه البسيطة ؟؟

ولا اعتقد انه يتوجب علينا ان نكون عقلاء بعد اليوم ، أمام هول هذه المعادلة وفى مواجهة عدو مجنون .. بل ليس لجنونه اى حد .

عصام شريح



الطائرة الأمريكية إف ــ ١٦

محمد علي شمس الدين

الشاعر: كائنا ملعونا
الشاعر: كائنا فريـــدا





محمود درويش — محمد الفيتوري — هنري ميللر

(١)

قديما ، اقترن الفن بالسحر ، كما اقترن بالأسطورة .

وجاء القرآن الكريم لينفي عن الرسول صفة السحر ، كما ينفي عنه تهمة الشعر . ولعل الأبلغ في التعبير ، هو تنسيب الشعراء الى بيت الجنون ، إلى بيت عبقر ، وعبقر ، هي في الأسطورة العربية ، وادي الجن ، أو مجمع الجن ، فكان الشاعر ، في النظرة هذه هو مخلوق (آخر) ، .. مخلوق ينتصب نقيضا للواقع ، ونقيضا للعقل التاريخي أيضا . ونقيضا لما تعارف عليه المجتمع ، في سلامه القديم ، وفي توازناته القديمة أيضا .

قد يصبح الشاعر ، في مثل هذه النظرة (كائنا ملعونا) ، ولكنه ، قد يصبح في الوجه الآخر لهذه النظرة (كائنا فريدا أو مقدسا) ...

من هنا ، هذه المفارقة ، مثلا ، بين ان يعتبر (افلاطون) الشعراء فئة عقيمة في جمهوريته ، أو مدينته الفاضلة ، فلا يعطيهم دورا جديا أو حقيقيا ، في تصوره ، إنه يطردهم من المدينة .. وبين أن يعتبر واحدا من كبار السياسيين ، في عصرنا الحاضر ، الشاعر العظيم ، كالمخترع العظيم ، كائنا نادر الوجود .

ورغم تطور النظرة الفكرية والفلسفية الى الأشياء ، والمعالم ، والعلاقات ، ورغم اتجاه النظر الفكري والفلسفي الى مزيد من الموضوعية ، وعقلنة الأشياء والمفاهيم ، إن لم نقل (علميتها) ، بحيث يعتبر ، مثلا ، مصدر الفكر والشعر والفن ، هو « الواقع الموضوعي » لا الوحي والالهام وعبقر ، أو اية قوة خفية مقترنة بالاله أو بالشيطان ... نقول ، رغم هذا التطور ، تبقى في شخصية الشاعر سمة خاصة ، رغم أنها لا تستعصي على التحليل ، ولا تكسر انابيب المحللين ومساطرهم ونظرياتهم ، ولكنها تستلزم (وقفة خاصة) ، وربما أدوات خاصة في النظر والتأمل .

كائن آخر

إحساس الفنان بانه (كائن آخر) والنظر إليه أحيانا بانه (كائن آخر) مصدره عدم رضى الفنان عما هو سائد ومألوف وراهن . وبالتالي رفضه لهذا السائد والمألوف ، ومقابلة المجتمع هذه النظرة إليه ، بنظرة مماثلة .

يقول الشاعر محمد الفيتوري في سقوط دبشليم :

« وسر انواع السقوط مرضا
هو السقوط في الرضى .. »

وهو بهذا المقطع ، يعبر عن الفكرة

التى نقصد اليها .

فالشاعر (كائن رفضى) .. وهذا الرفض يجعله فى غربته عما حوله ، من كائنات .. ربما هذا هو المعنى الذى اراده ابو العلاء المعرى بقوله :

« أنا انسي المنشا وحشي الطبع » .

فهذه الوحشة في الطبع ، او الوحشية فى الطبع ، هى قرينة محبسه ، وقرينة غربته وهى التى تدفع شاعراً كالمتنبى ، خاض العالم والناس ، وقتل المجتمع والحياة تجريباً وابتلاء ، تدفعه الى أن يقول :

وصرت اشــك فى مـن أصطفيه
لعلمـــى انه بعض الأنـــــام

وربما الى تعبير اكثر مرارة ووحشة ، وازدراء ، للانس ، حين يستعمل اسم الاشارة (هذا) فى تعبيره عن مجمل الناس. والتعبير هنا ذو دلالة لغوية واجتماعية ونفسية معبرة :

«غيرى باكثر (هـــذا) النـــاس ينخدع ...»

ولا تعوزنا شواهد عصرية على مثل هذه الوحشة والنفرة .

يصرخ محمود درويش : (اه يا وحدى ...)

لكن المثال الأكبر (الأنموذج) لو صح التعبير ، على وحشة الفنان وغربته ورفضه ، وقلقه ، ورغبته فى التدمير ، ورغبته فى التغيير ، على كل العصور ، هو مثال الشاعر الفرنسى (ارثور رامبو) الذى عاش سبعة وثلاثين عاماً ، وأعطى فى التاسعة عشرة من عمره القصير ، واحدة من أروع وأجمل الكتابات الشعرية المعاصرة . اعنى كتاب «فصل فى الجحيم» ، ومن ثم كتاب «اشراقات» .. وسكت بعد ذلك حتى الموت .

ضد كل شىء !

إن (رامبو) ، فى تصورى ، عبر سيرته ، وكتابته ، هو المختصر الكثيف لوحشة الفنان ، وغربته . وهى المختصر المكثف لتفرده .

إن (رامبو) هو الشاهد الدرامى العميق فى الفن .

ارثر رامبو



يقول (رامبو) فى رسالته المعروفة باسم «رسالة الرائى» :

«يجب ان اكون رائياً . كن رائياً» .

ويقول فى موضع اخر : (انا اخر) .

ذلك ان احساساً بالغربة ، مقترناً باحساس بالرؤيا ، كان يلازمه دائماً .

ذلك ما ذكره (هنرى ميللر) فى كتابه : (رامبو وزمن القتلة) حين قال : «فى اللغة الرمزية للروح ، وصف رامبو كل ما يحدث الآن . وفى رايى انه ليس ثمة تنافر بين رؤيا رامبو للعالم ، وللحياة الابدية ، وبين رؤى مجددى الدين العظام» . «إننا مدفوعون ، المرة تلو المرة ، الى ان نخلق رؤيا جديدة للسماء والأرض ...» .

ثمة اكثر من شاهد على غربة رامبو ووحشته . تحس كانه من العالم ولكنه ليس فيه ، إنه ضد كل شىء :

اولا : إنه ضد امه وابيه . إنه يصرخ فى «ليلة فى الجحيم» : « ياوالدى .. لقد دبرتما تعاستى وتعاستكما» .

كم تجد هنا تشابها بينه وبين ابى العلاء ، فى صرخته المعروفة : «هذا جناه ابى علي وما جنيت على احد» .

وهو ضد الأعمال والأشياء والحرف والمهن . وهو ضد الدول والحكومات .. وهو ضد الأعداء والأصدقاء على السواء .

الأصدقاء ؟

لم يكن ، حسب ما يقول ، له أصدقاء. ولم يكن له وطن .

ها هو ، كما يقول عنه هنرى ميللر ، فى كتابه ، يقطع أوروبا ، ويعيد قطعها، مشيا على قدميه ، ياخذ سفينة بعد سفينة ، الى موانىء اجنبية ، يعود مريضاً مفلساً المرة تلو المرة ، يشتغل فى الف عمل وعمل . يتعلم اثنتى عشرة لغة أو اكثر ، وبدل التعامل بالكلمات ، يتعامل بالقهوة ، والتوابل ، والعاج ، والجلود ، والذهب ، والبنادق ، والرقيق و .. ها هو ياتى الى افريقيا ويعيش على الشاطىء الصومالى ، عدة سنوات

الشاعر: كائناً ملعوناً
الشاعر: كائناً فريداً

فى عدن ، فى جحيم حقيقى .

إنه يقول ، فى احدى رسائله الى امه : «لا تستطيعين ان تتخيلى المكان : فلا شجرة ، حتى ولو كانت ذاوية ، ولا تربة .. إن عدن فوهة بركان خامد ، مليئة برمل البحر . إنك لا ترين إلا الحمم والرمل فى كل مكان . هذه التى لا تنبت اضال نبت . وهى محاطة برمال الصحراء . وإننا لنشوى كما لو كنا فى فرن جيرى ...» .

وغالبا ما كتب رامبو الى اهله : «ليس لي اصدقاء ....» .

ولم يكن يعتبر ان له اصدقاء فى وطنه ايضاً فهو غريب عن العالم كله ، وهو شديد الغربة الى درجة مريعة ، الى درجة اعتبار نفسه «شخصاً مستهدفاً» .. و «هم» وراءه .

من وراءه ؟

إنهم (هم) .

كل شيء .

ذلك دفعه الى ان يوقع كتاباته ورسائله احيانا بهذا التوقيع : «رجل بلا قلب» .

وذلك ما دفعه الى ان يصرخ : «كل ما علمناه زائف» .

وذلك ما دفعه الى الاحساس بحاجته الى «التدمير» .. تدمير كل شيء ، والى البداية من (الصفر) .

وذلك ما دفعه الى الكتابة ذات مرة : «ثمة خراب ضرورى» .

إنه اشبه ما يكون بجيش محاصر ، يحاول الخلاص من القبضة المحكمة عليه كاللعنة .

احساس دائم بالغربة

نستطيع ان نلمح روح «رامبو» فى كل التيارات العدمية والتدميرية التى

● إنه ضدّ كل شيء.. ضد أمّه وأبيه اللذين دبّرا تعاسته

● لم يكن -على حدّ قوله- له أصدقاء- ولم يكن له وطن

اتت بعده ، وسادت فى اوروبا (فرنسا خاصة) وفى اميركا ، وتسلل بعضها الى الشرق بعد ذلك ...

ذلك ان هذه الحساسية الشديدة الى حد المرض ، هذه البذرة السرطانية للشك والرفض والتدمير ، تستطيع أن تنهش ارواح كثير من الفنانين ، مادام فى مجتمعاتهم هذا العدد الهائل من التافهين والحمقى والضباع والفارغين على كل مستوى ، ومادامت سلطاتهم السائدة وحكوماتهم تنتمى الى الجشع، اكثر من انتمائها الى الرحمة ، وتنتمى الى التعدى والظلم اكثر من انتمائها الى العدالة والرضى ...

إن «الذاتى» فى مثل هذه الحالات ، واضح ، ومن البداهة ، بحيث انه يفرض نفسه علينا . لكن لا سبيل الى إهمال (الموضوعى) فيها .

اليس لنا ، مثلا ، حين نتحدث فى (حالة رامبو) ، وفى حالة معلمه (بودلير) صاحب «ازهار الشر» ... اليس لنا أن نتحدث عن جشع البورجوازية الأوروبية الهائلة ، وتحويلها للكائن البشرى الى آلة أو حشرة ؟ .

فى مقالة عن «سياسة بودلير» ، نشرتها مجلة «بوزار» فى ٢٥ كانون الثانى ١٩٥٥ كتب موريس نادو ما ياتى : «فى قلبى العارى احساس دائم بالغربة عن العالم وطقوسه . إنه عالم البورجوازية حيث اخلاقية الصراف المرعبة ، عالم الغيلان الجائع الى الماديات ، المفتون بنفسه ، غير المدرك انه داخل الانهيار . العالم الذى نعرف بنبوءة منفردة ، انه سائر نحو التامرك ، منذور للحيوانية» .

وكم يبدو اليفا ، هذا المقطع من رسالة من رامبو مؤرخة فى كانون الثانى ١٨٨٨ من عدن :

«كل الحكومات جاءت لتبتلع الملايين وحتى المليارات ، على هذه السواحل اللعينة الحزينة ، حيث يظل اهل البلاد شهوراً بلا غذاء ولا ماء ، تحت اقسى مناخ فى الأرض وكل هذه الملايين الملقاة فى احشاء البدو ، لم تحمل إلا الحروب والكوارث من كل نوع» .

إن الشاعر يجلس مبسوط الذراعين وهو ينظر الى الدول الكبرى تفسد حديقته ، كما يقول عنه هنرى ميللر .

يبقى ان هذا الخراب الضرورى الذى يراه «رامبو» ، والذى راه قبله كل فنان حقيقى ، تلتمع فيه اضاءة ضرورية ايضاً ، هى اضاءة عالم جديد ، ربما بقى فى خيال الشاعر :

حيث ، كما يقول رامبو ايضا ، ستكون :

«شمس وجسد . وفى الفجر يغنى الديك الذهبى» .

محمد علي شمس الدين
بيروت



الجاحظ

بخلاء الجاحظ

عباس خضر

فى تراثنا العربي كنوز متنوعة من الآداب والفنون لم نستفد منها كما ينبغي ، بعضها كشف عنه الغطاء ودرس ، وبعضها لا يزال مطموراً .

وقيل لنا عن فنون من القول انها مستحدثة وعن خصائص جدت فى العصر الحديث ـ كما زعموا ـ لم تكن قبل ذلك .

وجرينا وراء ما قيل ، وأخذناه كله مسلماً به ـ من ذلك ما زعموه من أن الأدب بوجه عام لم يتناول الأفراد العاديين ولم ينزل الى جموعهم إلا فى العصر الحديث على يد «إميل زولا » عندما نزل الى العمال فى المناجم وفى الأكواخ وتناولهم بالعرض والتحليل فى قصصه ، وكان الأدب قبل ذلك مقصوراً على تناول الملوك والأمراء .

وذلك حق بالنظر الى العالم الأوربي الذى قيل فيه ذلك ، ولكنا لو انعمنا النظر فى تراثنا الأدبى وجدنا فيه قديماً مثلما جد عندهم حديثاً .

هذا الجاحظ فى كتاب « البخلاء » مثلا ـ سبق أولئك الغربيين بقرون من الزمان فى الاهتمام بالناس العاديين الذين نشأ فيهم ونبت فى أرضهم ولم يتنكر لهم ، بل شغل قلمه بتدوين أخبارهم وتحليل ميولهم ومشاعرهم .

نشأ هو فقيراً مكافحاً ، يبيع السمك والخبز فى البصرة ، فاختلط بعامة الناس ، ولاحظ احوالهم وتصرفاتهم ، وتامل طبائعهم ومشاعرهم ، واختزن من ذلك الكثير ، ثم صوره في كتاباته بعد ذلك مخروجاً بافكاره وتجاربه فى معترك الحياة .

له ـ كما تعلم ـ مؤلفات كثيرة فى مختلف انواع المعرفة ، ولعل كتاب «البخلاء» كان أيسرها جهداً ، فقد كتبه بتلقائية وعفوية ، واستقاه ممن عاشرهم ومن الحياة حوله فى البصرة التى نشأ فيها صغيراً وبغداد التى انتقل اليها كبيراً . لم يرجع فيه الى اى شيء من الكتب وبطون التاريخ ، ولهذا جاء صورة حية لحياة أولئك الذين تناولهم ووصفهم فى جدهم وهزلهم ، مستخدماً



بخلاء الجاحظ

في ذلك خصائص قصصية كانت إذ ذاك جديدة في الادب العربي .

والجاحظ من اوائل الكتاب العرب الذين وهبوا القدرة على التغلغل في النفس الانسانية والغوص فى اعماقها ، وليس ادل على هذا من انه الف كتابا كاملا فى حالة واحدة من حالات النفس وهي حالة البخل ، فجال فى نواحيها المختلفة من قصص البخلاء ونوادرهم وما احتجوا واستدلوا به على مذهبهم فى جمع المال واستغلاله ، ثم الرد عليهم وتفنيد مزاعمهم ببراهين عقلية واستشهادات نقلية تعلى من شأن الجود وبذل المال فى وجوه الخير .

وقد وصف الدكتور طه حسين كتاب البخلاء بقوله :

« هو من اجود الكتب ويحق للغة العربية ان تفاخر به . هذا الكتاب جمع فيه الجاحظ اخباراً تتصل بالبخلاء فى عصره ، تناول فيه المتكلمين والمعتزلة ، وقص من اخبارهم فى البخل اشياء كثيرة . وقيمة هذا الكتاب لا ادرى أهي فى الجمال اللفظى واستقامة المعنى ؟ أم فى خصب المعاني ؟ أم في هذا التصوير الدقيق الذى لا يقاس اليه تصوير ، تصوير حياة البصرة وبغداد فى عصر الجاحظ » .

والواقع ان كلمة « جمع اخبارا » ليست دقيقة فى وصف عمل الجاحظ ، فهو ليس جمعا لأخبار ، وإنما هو خلق ادبي على نحو ادبي على نحو ما يفعل الكاتب القصصي فى عصرنا هذا .

ويبين الجاحظ نفسه في كتابه فيقول « ولك فى هذا الكتاب ثلاثة اشياء : تبين حجة طريفة ، او تعرف حيلة لطيفة ، او استفادة نادرة عجيبة .. وانت في ضحك منه إذا شئت ، وفى لهو إذا مللت الجد » .

الجد والهزل

والى جانب القدرة على التحليل والتصوير نراه يمزج الجد بالهزل ، كي يصل من الهزل الى الجد ، كما يقول فى المقدمة :

« ومتى اريد بالمزح النفع ، وبالضحك الذى له جعل الضحك ، صار المزح جدا والضحك وقاراً »

وهو يدعو الى الضحك ، ويعزز دعوته بالأدلة العقلية والنقلية ، فيقول « لو كان الضحك قبيحاً من الضاحك وقبيحاً من المضحك لما قيل للزهرة والحبرة (ثوب كانت تلبسه النساء) والحلى والقصر المبنى : كانه يضحك ضحكا . وقد قال الله عز وجل ذكره «وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا » فوضع الضحك بازاء الحياة ووضع البكاء بحذاء الموت » الى أن يقول : « ولفضل خصال الضحك عند العرب تسمى اولادها بالضحاك وبسام وبطلق وطليق ، وقد ضحك النبى صلى الله عليه وسلم وفرح ، وضحك الصالحون وفرحوا . وإذا مدحوا قالوا : هو ضحوك السن وبسام العشيات (اى بسام فى العشيات) وهش الى الضيـف .. الخ » .

وفيما يلي بعض امثلة من حكايات البخلاء وادلتهم التى احتجوا بها للبخل ، كما وردت فى كتاب « البخلاء » مع بعض التصرف :

خص الجاحظ اهل خراسان بفصل من الكتاب لاشتهارهم بالبخل ، وخاصة اهل « مرو » قال:

يقول المروزى (نسبة الى مرو) للزائر إذا اتاه وللجليس إذا طال جلوسه : تغديت اليوم ؟ فان قال نعم قال : لولا انك تغديت لغديتك بغداء طيب . وإن قال لا ، قال : لو كنت تغديت لسقيتك خمسة اقداح ! فلا يصير فى يده (يد الضيف) على الوجهين قليل ولا كثير » .

ويشبه هذا ما يحكى الآن فى مجالسنا عن عمدة بخيل ، يقول للضيوف : تحبون أن تتعشوا او تنامون خفافاً ؟ فان قالوا : تعشينا والحمد للـــه ، قال : تنامون هنا او تستريحون فى الفندق ؟

ويقول الجاحظ : « كنت في منزل ابن ابى كريمة ــ واصله من مرو ــ فرآني اتوضا من كوز خزف ، فقال : سبحان الله ! تتوضا بالعذب والبئر لك معرضة (ظاهرة) قلت : ليس بعذب انما هو من ماء البئر ، قال : فتفسد علينا كوزنا بالملوحة! فلم أدر كيف اتخلص منه »

اللحم والخيط

ويحكي لنا عن جماعة من البخلاء اشتركوا فى مسكن ، فكانوا إذا ارادوا الطبخ اشتروا اللحم وقسموه قبل الطبخ ، واخذ كل واحد منهم نصيبه فشكه بخيط ، ثم وضعه فى القدر مع


اميل زولا

الخل والتوابل » فاذا طبخوه تناول كل إنسان خيطه وقد علمه بعلامة ، ثم اقتسموا المرق ، ثم لا يزال احدهم يسل من الخيط القطعة بعد القطعة حتى يبقى الحبل ولا شيء فيه ، ثم يجمعون خيوطهم ، فان أعادوا الملازقة (المشاركة فى الطبخ) أعادوا تلك الخيوط لأنها قد تشربت الدسم ورويت .. وبهذا يخففون عن انفسهم مؤونة الحطب والتوابل ، وقدر واحدة تكفى الجميع بدلا من ان يستقل كل منهم بقدر .. »

ويحكى عن احد الحكام من اهل خراسان انه كان قويم الخلق بعيداً عن الفساد ، لا يحكم بالهوى ولا يقبل الرشوة ، وكان دقيقاً فى عمله وفى بخله .. كان فى غداة كل جمعة يحمل طعامه المكون من رغيفين وقطع من لحم مبرد وبعض الجبن والزيتون ، ويمضى وحده حتى يدخل بعض البساتين ، ويجلس تحت شجرة وسط خضرة الى جانب ماء جار ، ويبسط المنديل بين يديه ويأكل .

فاذا وجد البستاني رمى اليه بدرهم وقال له :

ـ اعطنى بهذا رطباً أو عنباً ، إياك إياك ان تحابيني ، ولكن تختار لي الجيد ، فانك إن فعلت لم آكله ، ولم اعد اليك ، واحذر الخداع . فان آتاه به اكل كل شيء منه وكل شيء اتى به البستاني ، ثم يقوم فيمشي نحو مائة خطوة ، ثم يضع جنبه فينام الى وقت الجمعة ، ثم ينتبه فيتوضا ويمضى الى المسجد .

وذات يوم من تلك الأيام مر به رجل فسلم عليه ، فرد السلام ثم قال : هلم عافاك اللـــه ، فلما نظر الى الرجل وراه يدنو قال له :

ـ تريد ماذا ؟

ـ اريد أن اتغدى .

ـ ولم ذلك ؟ وكيف طمعت في هذا ؟ ومن اباح لك مالي ؟

ـ أوليس قد دعوتني ؟

ـ ويلك .. لو ظننت انك هكذا احمق ما رددت عليك السلام .. المعتاد فى مثل هذه الحالة ان تبدأ بالسلام فاجيبك : وعليك السلام ، هلم .. فتجيب : هنيئاً . فيكون كلام بكلام . فأما كلام بفعال وقول باكل فهذا ليس من الانصاف ..

ولما علم ذلك بين الناس قيل له :

ـ قد اعفيناك من السلام وتكلف الرد .

ـ مالى حاجة الى ذلك ، انما هو ان اعفى انا نفسى من الدعوة بقولي : هلم .. وبهذا يستقيم الامـــر .

الكذب بالكذب

ومثل ذلك ما حدث به عن وال بفارس قال :

بينما هو يوما فى مجلس ، وهو مشغول بحسابه وامره ، إذ دخل عليه شاعر وانشده شعراً مدحه فيه ومجده ، فلما فرغ قال له :

ـ قـــد احسنـــت .

ثم التفت الى كاتبه وقال له :

ـ اعطه عشرة الاف درهم .

وكاد الشاعر ان يطير من الفرح ، فقال :

ـ لكي يتضاعف فرحك نعطيك أربعين الفاً !

فدعـــا الشاعـــر له ، وخرج من مجلسه فى انتظار العطيـــة .

قال الكاتب للوالي :

ـ سبحان اللـــه ! هذا كان يرضى منك بأربعين درهما ، فتأمر له بأربعين الف درهم ؟

ـ ويحك ! اتريد ان تعطيه شيئا ؟

ـ فمـــاذا إذن ؟

ـ يا احمق .. انما هذا الرجل سرنا بكلام ، وسررناه بكلام ! هو زعم انى احسن من القمر ، واشد من الأسد ، وان لساني اقطع من السيف ، وان أمرى انفذ من السنان ، فهل جعل فى يدى من هذا شيئا ؟ السنا نعلم انه قد كذب ، ولكنه سرنا حين كذب علينا ، فنحن ايضاً نسره بالقول ، ونامر له بالجوائز ، وإن كان كذباً ، فيكون كذباً بكذب .. وقولا بقول ، فاما أن يكون كذباً بصدق وقول بفعل فهذا هو الخسران المبين !

● ●

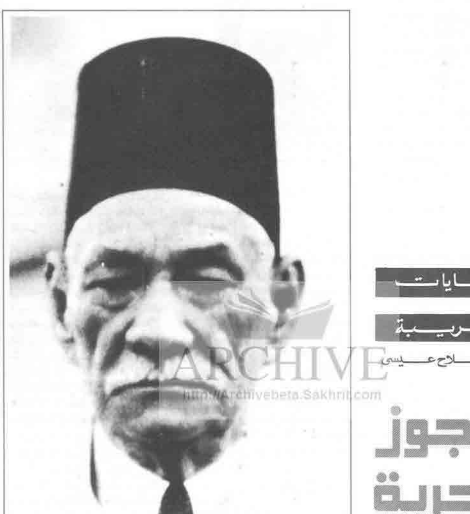
كتب الجاحظ تلك القصص فى القرن الثالث الهجرى الموافق تقريبا للقرن التاسع الميلادى ، اى قبل كتاب اوربا الذين نحوا هذا النحو ، وسلكوا طريقه فى تصوير الواقع ، بعد نحو تسعة قرون من الزمان ، فى القرن الثامن عشر.

ويظن قارىء كتاب « البخلاء » أن الجاحظ الفه فى شبابه ، لما يشتمل عليه من مرح وسخرية وفكاهة ، مما يكون عادة فى الشباب ، ولكن بعض النصوص الواردة فيه تدل على انه الفه وهو طاعن فى السن ، وقد عاش اكثر من مائة عام ، إذ ولد فى سنة ١٥٠هـ وتوفى سنة ٢٥٥هـ .

وليس ذلك فقط ، بل كتب هذا الكتاب وهو يعاني من امراض فاتكة ، والغريب أن فترة الشيخوخة المتقدمة الحافلة بالأمراض كانت اخصب فترة فى حياته من حيث الكتابة والتاليف ..

ويذكرون فى سبب وفاته انه كان يكترى حوانيت الوراقين (باعة الورق والكتب) ويبيت فيها يقرأ ، حتى حدث ان وقعت عليه مجلدات الكتب وهو فى تلك الشيخوخة فقضت عليه .

عباس خضـــر


سعد زغلول

حكايات غريبة

بقلم: صلاح عيسى

العجوز والحرية

أنا انتهيت.. ولكن!

● في التاسعة والنصف عـــادهُ الأطبـــاء للمـــرة الثـــانيـــة وخرجـوا من غرفتـه واليـأس يُطِـلّ مـن عيونهـم الحزينـة

● للوهـــلة الأولى لم يصـدّق الرجـــال آذانهم . بدا الصوت غريبـاً كـأنه يـــأتي مـن أعـمـاق بـــئر عميقـــة



أم المصريين صفية زغلول

قبل العاشرة بدقائق مات سعد زغلول ..
حدث هذا ذات ليلة صيفية حارة من شهر اغسطس ـ آب ـ ١٩٢٧ .

كان الصباح حارا وقائظا حين قدم الاطباء لعيادته ، تقدمتهم زوجته صفية زغلول الى الطابق الثانى من «بيت الامة» ، وهى تروى لهم ما حدث فى فجر ذات اليوم ، فقد استيقظ وهو يعانى الما فى المعدة ، واشتدت الامه ، وارتفعت الحرارة حتى بلغت اربعين درجة قبل وصولهم بقليل .

ودخل الاطباء غرفته ، وجدوه راقدا نصف رقدة على فراشه ، وقد اسند راسه الى عدد من الوسائد مختلفة الأحجام ، يرتدى بيجامة بيضاء بخطوط بنفسجية ، وعلى راسه طاقية من نفس قماشها ، ومن خلفه القران فوق الفراش فى غلاف وردى من الحرير ..

رد تحيتهم بصوت واهن ، وسالته زوجته وهى تعيد تنظيم الوسائد حوله :
ـ كيف حالك الآن ؟
نظر اليها بهدوء وتسليم ، وتمتم قائلا :
ـ أنا انتهيت !
وكانت تلك اخر كلماته ، فعلى امتداد اليوم ضعف ، واستمرت الحرارة فى الارتفاع ، ثم دخل فى غيبوبة كاملة لم يفق منها ..

فى التسعة والنصف من مساء اليوم نفسه ، عاده الأطباء للمرة الثانية ، وخرجوا من غرفته والياس يطل من عيونهم الحزينة ، وحين نزلوا الى الدور الارضى ، تقدمهم فتح الله بركات باشا ـ ابن شقيقة سعد ـ الى غرفة المكتب ، وقبل أن يخطوا حرفا واحدا فى تقريرهم الطبى ، دعى فتح الله بركات الى غرفة خاله ، فصعد مسرعا ..

حط الصمت على رءوس الرجال الذين



العجوز والحرية









سعد زغلول

صفية زغلول

الامام محمد عبده

ازدحموا فى صالات المنزل وغرفه وشرفاته ، لم يفتح احد منهم فمه بكلمة ، او ينطق حرفا ، تعلقت عيونهم بالسلم الذى صعده فتح الله بركات ، وظلت شاخصة اليه ، بينما كان الذين تجمعوا فى الشرفات ، يتاملون الشوارع الخالية المظلمة التى تحيط بالمنزل ، صامتة كالصحراء فى ليالى المحاق ، وكان المصريون قد قراوا فى الصحف ، ان الضجة ترهق الزعيم الذى احبوه كما لم يحبوا انسانا فى عصره ، فكانوا يمرون حول المنزل صامتين ، تتعلق عيونهم بجدرانه وشرفاته ، وقد كتموا انفاسهم .

ظلت عيون الرجال شاخصة الى حيث صعد فتح الله بركات ، حتى ظهر الرجل من جديد ، ينزل السلم ، مرتبك الخطوات ، شاحب الوجه ، مذهول النظرات ، فارتمى على اول مقعد صادفه دون أن يفتح فمه بكلمة ، ووقفت علامات الاستفهام الحزينة فى حناجر الرجال : خشي الجميع ان يسالوا عن شىء فيسمعوا النبا الحزين !

خدش الصمت فجاة نهنهات امراة تبكى ، وللوهلة الاولى لم يصدق الرجال اذانهم ، بدا الصوت غريبا كانه ياتى من اعماق بئر بعيدة عند حد الافق ، وحين عجزت المراة عن مغالبة احزانها ، اكتشفوا ان الصوت ياتى من شرفة قريبة ، ووضح البكاء شيئا فشيئا ، ليدرك الرجال انها ام المصريين ، صفية زغلول زوجة سعد ، التى اصبحت ارملته ، تستقبل بالدمع زمـــن الفراق الذى اخذ منها رجلا صاحبته اربعين عاما طويلة .

وكان دموع ام المصريين كانت اشارة البدء ..

الحزن فى الشوارع

ادرك الجميع ان سعداً قد مات ، وان الصمت الذى يلتزمونه خشية ازعاجه ، قد اصبح بلا معنى . ان الأوان كى يفكوا اسر الدموع ، ويطلقوا الأحزان من قمقم القلب الملتاع ، فانفجر الجميع يبكون فى وقت واحد .. واختلطت اصوات الرجال المخشوشنة بعويل النساء المنهار .

وحتى هؤلاء الرجال ذوى القلوب التى لا تسمح لنفسها بان تحزن : الثوار الذين لم ترهبهم البنادق ، ولم تخفهم الزنازين ، ولم تطفر دمعة واحدة من عيونهم وحبال المشانق تقترب من اعناقهم ، حتى هؤلاء ، سالت مدامعهم رغما عنهم .. وكلما حاول احدهم ان يمنع نفسه عن البكاء ، غلبته احزانه ، فازداد بكاء ربما لعجزه عن ان يقهر احزانه كما قهر يوما خوفه ..

وتمدد الحزن قاطعاً صمت الشوارع والازقة والحوارى ، دخل من النوافذ والشرفات ، ومن تحت ابواب الدور المغلقة ، اقتحم على النائمين احلامهم ، وطاف بنوار الحقول ، وبازهار الحدائق ، وجرى مع ماء النهر فلامس اغصان الصفصاف ، فارتوت منه ..

عرفت مصر كلها النبا فى الليلة نفسها (الاربعاء ٢٣ اغسطس ـ اب ـ ١٩٢٧) ولم تكن فيها طائرة تطير ، او اذاعة تذيع ، لكن خبراً مثل هذا كان ينتقل بالقلوب ..

وحين صدر ملحق خاص لجريدة «المقطم» فى منتصف الليل ، اصبح النبا حقيقة ، وفقد الذين كانوا يعللون انفسهم بالامانى اخر خيوط الامل ..

صدم النبا الناس كانه صاعقة لا يملكون منها فرارا ، وبرغم ان الرجل كان قد شارف على السبعين من عمره ، وكان مريضاً منذ شهر سابق ، فقد ذهل الناس عن انفسهم حين قراوا النبا فى ملحق «المقطم» ، واخذوا يسيرون فى شوارع المدينة ، لا يعرفون ماذا يفعلون ، ايبكون ؟ أم يصرخون ؟ أم يمزقون شعورهم ؟!

واحد من هؤلاء ، قرا النبا فاذهله حتى اخذ يلف فى شوارع المدينة النائمة لا يعرف ماذا يفعل ، يتامل فى البيوت ، ويخوض فى الحوارى والازقة ، فاذا لمح ضوءاً وقف تحته ، واعاد قراءة النبا فى ملحق «المقطم» واذا مر به





جمال الدين الافغاني

احمد عرابي

بائع صحف ، اشترى نسخة اخرى لعل نسخته كاذبة ، أو لعل تطورا حدث فى الامور ، فاكتشف الاطباء ان سعداً لم يمت !

وفى حيرته وذهوله قادته قدماه الى «شارع عماد الدين» حيث تنتشر المسارح والملاهى وفرق الغناء والرقص والحانات ، ولا أحد يدرى ـ حتى هو نفسه ـ ما الذى دفعه لكى يقتحم واحدة منها ، ليجد نفسه أمام منصة تزدحم بالراقصات والمغنين والمغنيات ، وقد تحلق حولها طالبو المتعة والترفيه ، ومن غاب وعيهم ..

وقف الرجل وتحت ابطه ما اشترى من صحف ، ثم تقدم بخطى مذهولة الى منصة الغناء ، فاعتلاها ، وقال بصوت مختنق بالبكاء :

ـ ايها الاخوان .. البقية فى حياتكم .. الباشا مات !

صمت كل شىء : آلات الغناء .. وشدو المطربات ..

ظل كل انسان على الوضع الذى كان عليه ، كأنهم أصبحوا احجاراً لا حياة فيها .. وبعد ثوان انهاروا جميعا يبكون .

واذن فقد مات سعد : الثورة والمنفى واحلام التحرر ومظاهرات الشوارع ومعارك القرى ، واجراس الكنائس ونداءات المآذن ، «تموت ويحيا الوطن» .. و «الاستقلال التام او الموت الزؤام» ، و «يعجبنى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل وان يقوم الحب بين الناس مقام القانون» ..

مات سعد ..

انتهت الرحلة الطويلة التى استمرت ثمانية وستين عاما كاملة ..

بدأت فى «إبيانة» : قرية صغيرة من الاف القرى المتناثرة على ضفاف دلتا النيل . وانتهت فى غرفة واسعة بالطابق الثانى من بيت الامة بحي الانشاء بالقاهرة ..

وبين البداية والنهاية ، وقائع لا يعيها عقل ، ولا تحفظها ذاكرة ..

هذا الرجل الغريب ، الذى كان مقدرا له ان يقضي حياته كما قضاها معظم زملائه : فلاحا يتيم الأب والام ، من اسرة متوسطة ، يربيه خاله واخوه ، ويرحل الى القاهرة ليطلب العلم فى الأزهر الشريف ، اذا نجح وحصل على العالمية ، فسوف يجلس بجوار احد اعمدة الجامع العريق ، يلقن طلابه ما تلقنه من اساتذته ، واذا اسعده الحظ ، ربما حصل على احد مناصب القضاء الشرعى ، واما اذا فشل ، ففى «إبيانة» متسع لقارىء اخر من قراء القرآن الكريم فى بيوت الاغنياء وعلى قبور الموتى .

بعد اعوام قليلة من وصوله الى القاهرة ، اصبح سعد شيئا اخر غير ما كان مقدرا له أن يكون ، هجر الدراسة فى الازهر ليشتغل بالصحافة مع استاذه الشيخ محمد عبده ، وتجول معه بين الحلقات التى كانت تعقد انذاك فى صالونات الكبار ، او فى المقاهى ، حيث يتحدث الناس فيها عن الاموال الضخمة التى اقترضها «الخديوى اسماعيل» من بنوك اوروبا ، وبددها على الاصلاح القليل الذى قام به ، والسفه الكثير الذى كان يميزه وفى وسطهم دائما ذلك الشيخ الافغانى ، السيد جمال الدين الذى كان يجلس فى مقهى «متاتيا» ـ بميدان العتبة بوسط القاهرة ـ يوزع السعوط بيمناه والأفكار عن الحرية بيسراه .

ويأتى الفصل الاول السعيد ..

تثور مصر ، ويقود «عرابى» الجيش ، ويقف به فى ميدان عابدين ليطالب الخديوى توفيق ـ الذى خلف اباه اسماعيل ـ بحق الشعب فى أن يحكم نفسه بنفسه ، وتتفجر مصر بالتمرد والأمل فى ايام لا طغيان فيها ولا استعمار ولا جوع ، ويتابع سعد زغلول ذلك كله ، ويشارك فيه ..

وتنتهى الثورة ، تتكتل ضدها دول اوروبا ، ويتآمر عليها الخونة ، ويغيب ابطالها فى المنافى البعيدة ، ويسود وجه الحياة فى مصر ،

العجوز والحرية



سعد زغلول — صفية زغلول

● ثلاثون عاماً تاهها سعد زغلول لا يعرف هل يثور من أجل الوطن أو يهتم بنفسه ويبغي مجده الشخصي؟

● شهد ثورة عرابي وعاصر انتكاستها، وظل يتذكر سنوات المقاومة التي انتهت كالحلم الخاطف

وينتفض سعد زغلول بالرغبة فى الانتقام ممن «والسوا» على عرابى ، وخانوه ، ويؤلف جمعية سرية للانتقام منهم ، سرعان ما يكتشف امرها ، ويسجن بعض الوقت .. وينتهى الفصل الاول السعيد ..

اكثر من ثلاثين عاما عاشها سعد زغلول بعد ذلك التاريخ ، يبنى نفسه . اصبح واحدا من ذلك الجيل الذى شهد ثورة عرابى ، وعاصر انتكاستها ، وظل يلعق جراح الخيانة ، ويتذكر سنوات المقاومة التى انتهت كالحلم الخاطف ..

وحين يعود استاذه الشيخ محمد عبده من المنفى يسرع ليلتقى به ، فاذا بالشيخ الجليل قد عاد بافكار غريبة ، هزته الهزيمة المريرة ، فعاد ليتنكر للماضى الجميل ، فيرى الثورة حماقة ، والتمرد طيشاً والسياسة مصيبة ، ويعلن بان التربية والتعليم والتهذيب والاخلاق الحميدة ، واصلاح المرافق هى كل ما يريد . اما الثورة والاستقلال والديمقراطية فهى سياسة ، وهو يستعيذ بالله من لفظ «السياسة» ومن فعل السياسة ، ومن «ساس» و «يسوس» ، و «سائس» ، و «مسوس» .

ثلاثون عاما تاهها سعد زغلول ، لا يعرف ماذا يفعل ، ايثور من اجل الوطن الذى كان المستعمرون يذلون كرامته كل صباح ، ويأكلون خيره ، ويحتكرون وظائفه ، ويمتهنون كل ابنائه ؟ أم يهتم بنفسه ، فيتعلم ويتثقف ويشق طريقه الخاص ، يبنى مجداً ويحقق شهرة ويزداد ثروة ونفوذاً ؟!

وبعدها بقليل ، طلبت شركة قناة السويس الى الحكومة المصرية ان تمد لها امتيازها اربعين سنة بعد المدة التى حددت في العقد الذى وقعته الحكومة المصرية عند حفر القناة وهى ٩٩ سنة ، مقابل اربعة ملايين من الجنيهات ، وعارض الوطنيون المشروع وقالوا بان قناة السويس ملك للشعب المصري ، حفرت بدماء ابنائه ، وباموالهم ، وهو يتوق لليوم الذى يسترد فيه سيادته عليها ، ويستفيد وحده من عوائدها النقدية ، وان على الحكومة ان تتفاوض مع الشركة لتقليل مدة الامتياز فى العقد الأصلي ، لا ان تسعى لمدة اربعين سنة اخرى ..

وكان سعد زغلول ايامها وزيرا للحقانية ـ العدل ـ فى وزارة بطرس غالى ، وخشيت الحكومة ان يؤثر هجوم الصحف الوطنية على اعضاء الجمعية العمومية ـ وكانت اشبه بمجلس للشعب او مجلس للنواب ، فيرفضوا المشروع فانتدبت سعد زغلول ليدافع عنه امام النواب ، فدافع بحرارة وحماس واثبت انه محام مفوه ، ذرب اللسان ، بصرف النظر عن عدالة القضية التى يدافع عنها ! .

وعندما انتهت الحرب العالمية الاولى ، كان سعد زغلول قد اشرف على الستين ووصل الى ارفع المناصب التى يشغلها امثاله ، اصبح ابن « إبيانه » وزيراً وصهراً لرئيس وزراء ، سنوات العمر قد ولت ، وفى الستين ، لا يفكر الرجال عادة إلا فى قضاء ما بقى من اعمارهم فى تذكر ما مضى ، لا الحلم بما سياتي .

وعلى غير انتظار جاء الفصل السعيد الثـانـي ..

عاد فلاح « إبيانه » وهو فى الستين ، كما كان وهو فى العشرين ، استرد الشيخ العجوز شبابه وهو يسمع من جديد هتافات الشباب ، ومواكب الشهداء ، وفى زحام الناس .. قاد سعد الجماهير بدلا من ان يبنى مقبرة .. لم يكن احد ـ حتى هو نفسه ـ يصدق أن ذلك يمكن ان يحدث ..

وحين جاءت القوات البريطانية لتعتقله ، وتنفيه الى جزر « سيشل » ظن الجميع ان كل شيء قد انتهى ، وتذكروا المصير المفجع لقادة الثورة العرابية ، هؤلاء الذين حملتهم السفينة « مريوتس » ذات غروب من ميناء السويس الى المنفى ، فماتوا هناك فى الجزر البعيدة الموحشة ، فلم تر عيونهم مرة ثانية الوطن الذى ثاروا من اجله ، ولم يعطر ثراه رفاتهم .

لم يكن سعد زغلول وحيداً فى حيرته ، ذلك ان هزيمة الثورة العرابية كانت قد اثخنت «الجيل العرابى» بالجراح .. فقد شهدوا بانفسهم «الولس» وهو يجتاح كل احلامهم ، بل ويملأ كل شبر فى ارض مصر بجنود الاحتلال الانجليزى ..

ووسط تلك الجراح تاه «سعد زغلول» ، عرف طريقه الى قصر الأميرة «نازلى فاضل» ، وفى صالونها ، التقى بالفئات العليا من المجتمع ، عرف الفلاح الأزهرى الأمراء واشباه الأمراء ، عرف كيف ينطق اسماءهم التركية ، ويتخاطب بلغتهم الرقيقة ، ولم يكن بينهم امرأة اسمها «ستهم» او «فرحانة» او رجل اسمه «الشناوى» كما كان اخوته يسمون ..

لم يكن بينهم رجال تتشقق اكفهم من العمل الطويل فى الحقول ، او تلتهم البلهارسيا اعمارهم فيشيخون وهم فى شرخ الشباب ، ولم الوزارة المصرية ثلاثة عشر عاما متوالية ، وكان اطوع رؤساء الوزارات للمندوب. السامى البريطانى ..

.. وتمر السنوات ..

يرتقى سعد ـ بمجهوده ودأبه ـ من ازهرى تكن بينهن نساء تفقدن نضارة الصبا وهن اطفال ، كان عالما مريحاً وهادئاً وسعيداً .

وهكذا تزوج الفلاح الازهرى ، ابن «إبيانة» ، من «صفية» ابنة مصطفى فهمى باشا ، الرجل الذى كان محسوبا على الاحتلال ، والذى راس لم يكمل دراسته ، وصحفى مطرود من وظيفته ، الى محام بلا مؤهل ، ثم الى قاض يدرس وهو فى الاربعين اللغة الفرنسية ، ويحصل على



نازلي الأم

شهادة ــ لم يطلبها منه احد ــ فى القانون ، وتتميز احكامه بالدقة والمنطق ، ويعين وزيرا للمعارف ثم وزيرا للحقانية ..

فى تلك الأيام .. لم يكن قد بقى من الثائر العرابى السابق سوى اعتداده بكرامته ، وحرصه عليها ، وتمسكه بالحق فيما يقول أو يفعل ، وبرغم كل شىء ، نجح فى ان يوقف نفوذ المستشار الانجليزى لوزارة المعارف عند حده ، فاصلح بعض شئون التعليم وأصلح بعض شئون القضاء ..

فى تلك السنوات كان سعد قد اصبح وحيداً على القمة التى اخذ يصعد الدرج اليها لاهثا ..

خبت ذكريات الثورة العرابية التى لمعت كالشهاب ، ووجد الفلاح الأزهرى ابن «إبيانة» نفسه وحيداً فى صالونات الفئات العليا من المجتمع ، خفت هتافات الفلاحين بحياة عرابى الذى عمر الطوابى ، لتعلو أصوات تتحدث بالتركية والانجليزية ، لا تعرف الكثير عما فعله المستعمرون فى مصر ، ولا تهمها رقاب الفلاحين التى تارجحت فى حبال مشانق دنشواى ، لا تفكر كثيرا فى ابواب الأمل التى سدت أمام الموظفين المصريين وهم يرون وظائف حكومتهم تسند للصعاليك البريطانيين ممن لا يحملون مؤهلات ، بينما تتفشى البطالة بين المتعلمين منهم .

يوماً بعد اخر كانت رحابة الحياة تضيق امام سعد ، ودفعه الملل الى قطع وقت الفراغ الطويل بلعب القمار فى ليالى الحرب المظلمة الطويلة ، فى صالونات الأمراء ، وقصور السادة والمترفين .

وفى وحدته عن الناس ، وبعده عن هتافات الشوارع ، وعن عذاب الذين يئنون من مهانة الاحتلال ، ضاع الثائر القديم ، فقد القدرة على التفرقة بين الصديق والعدو .. حتى انه ساعد المحتلين على تحقيق بعض أهدافهم ..

فعندما ارادت سلطات الاحتلال البريطانى ان تكمم الصحافة الوطنية ، ضغطت على مجلس النظار المصرى لاصدار قانون جديد للمطبوعات يتيح لها مصادرة واغلاق الصحف الوطنية ، وكان سعد ايامها وزيراً للمعارف ، فايد القانون ووقف فى صفه ودافع عنه .

وهو على ظهر السفينة ، كان سعد يسترجع رحلة العمر التى بدأت فى إبيانه : سنوات الدراسة فى الأزهر ، الأفغاني ، ومحمد عبده ، وعرابي ، والبارودى ، الاميرة نازلي وصفية زغلول ، والوزارة ، والجمعية التشريعية ، الشهور الستة التى انقضت منذ قابل هو وزميلاه على شعراوى وعبد العزيز فهمي المندوب السامي البريطاني ، ليطلبوا السفر الى لندن للدفاع عن حق مصر فى الاستقلال ، ستة شهور كاملة وهو يخطب ويحاضر ، ويصدر البيانات ، ويرسل البرقيات ، ويطبع المذكرات ، انتهت بمقعد على ظهر سفينة تقوده الى « مالطة » كما اقتادوا عرابى قبل ذلك الى جزيرة سيلان قبل ست وثلاثين سنة .

لابد من قارعة

نعم لابد من قارعة ..

ذلك ما كان سعد يقوله ويحلم به ، فالشعوب لا تستقل بالبرقيات ، ولا تتحرر بالخطب والمقالات ، لكنها بالقارعة تملك مصيرها .

وليس هنالك من يستطيع ان يصنع القارعة سوى الشعب ، ذلك الزحام الكثيف من البشر ، العمائم والطرابيش واللبد والطواقى ، الأفندية

العجوز والحرية







سعد زغلول



صفية زغلول

● كيف يقتحم جيش الاحتلال بيت رجل كبير جليل ويخطفونه من زوجته إلى حيث لا يعود

● توحدت الأرض في الناس وتوحد الوطن فيهم وأصبحت تلك الغابة من البشر كلا لا يقبل التجزئة

● انتهت سنوات الحرية .. وآن للفصل الأخير من العمر أن يكون سعيدا كالفصل الأول منه

والطلاب وعمال الورش ، وصبيان الحوارى، قراء القران ومرتلو الانجيل ، وفلاحو التفاتيش ، وعمال التراحيل ، الأيدى الخشنة التى يشققها العرق ، والاقدام العارية المغروسة فى الطين كل صباح ..

ـ لابد من فارعة ..

ذلك ما كان سعد يقوله ، إذ لو لم يحدث ، فسوف تنتهى رحلته التى بدأت فى « إبيانه » ، بقبر فى مالطة ، لا يجد من يزوره ليضع علية باقة ورد ..

وعلى غير ما كان الجميع يتوقعون .. حدثت القارعة ..

فى صباح اليوم التالي لاعتقاله ، علم طلاب مدرسة الحقوق بما حدث ، فتملكهم الغضب : كيف يقتحم جيش الاحتلال بيت رجل كبير وجليل ، ويفتشونه ، ويخطفونه من زوجته الى حيث لا يعود ، لمجرد انه طالب باستقلال مصر .

تجمع الطلاب فى فناء مدرستهم يناقشون الامر ، فانقسموا الى فريقين ، بعضهم يطالب بالخروج فى مظاهرة تحتج على اعتقال سعد ورفيقيه ، والاخرون يفضلون ان يسألوا من بقى من رفاق سعد ، خشية ان تفسد المظاهر عليهم امرا يريدون تدبيره ..

وحلا للمشكلة ، ارسل الطلاب وفدا منهم الى بيت الامة ، ليسال :

ـ هل من المناسب ان نخرج فى مظاهرة نحتج فيها على اعتقال الزعماء؟ .

وقابلهم « عبد العزيز فهمى باشا » ، زميل سعد ، وثالث الثلاثة الذين قابلوا معه المندوب السامى البريطاني ، فمنعهم وثار فى وجوههم وصرخ فيهم :

ـ إن المسالة ليست لعب اطفال .. دعونا نعمل فى هدوء ، ولا تزيدوا نار الغضب عند القوم اشتعالا .

لكن صراخه لم يصل الى طلاب الحقوق ؛ كانوا قد قلقوا لتاخر الوفد الذى أرسلوه الى بيت الامة ، فخرجوا بالفعل متظاهرين ، رفض الاطفال حكمة الشيوخ فليغضب القوم ما شاء لهم الغضب ، فهى بلادنا نحن المصريين لا بلادهم ، نحن زرعنا زرعها وحصدنا قمحها ، ودافعنا عن حدودها ، نحن شربنا ماءها بما فيه من طين ومن بلهارسيا ، ونحن بنينا الطرق ، اطلقنا دخان المصانع ، وزينا واجهات البيوت عندما يعود الحجاج ، نحن سهرنا فى ليالي الحصاد نغني ، وانحنينا نجمع لطع دودة القطن ونهز الشجيرات فى ضوء القمر ، نحن غنينا للبرتقال ، وزرعنا الصفصاف علـــى شواطىء الترع ، وجعنا فى سنوات الحرب ، وخطفوا ابناءنا من القرى ، ارسلوهم ليحاربوا معهم ولحسابهم ، ليموتوا هناك فى البرد والصقيع ، وتطمر جثثهم ثلوج الصحارى .. ونحن الاطفال نحلم بيوم يصبح كل هذا ملكنا ، لانه عرقنا ، لا عرق احد اخر .

وقد كان ..

لعبة غريبة

خرج « الاطفال » الى الطريق يلعبون مع انجلترا ـ أعظم قوة فى العالم ما بعد الحرب العالمية الأولى ـ لعبة غريبة ، لعبة مواجهة الرصاص والبارود باللحم والدم ، والانتصار على انجلترا التى اذلت الهيبة الالمانية فى الحرب ، بذلك الاستعداد للموت فى كل لحظة ، نسي كل فرد ذاته ، لم تعد له حياة خاصة ، لا احد يهتم للأب او للام او للزوجة او للاطفال ، ولا احد يحسب ما يكسب وما يخسر ، وما يملك وما لا يملك ، اصبح « الواحد » جمعا كثيفا من البشر ، توحدت الارض فى الناس ، وتوحد الوطن فيهم ، أصبحت تلك الغابة الكثيفة من البشر كلا لا يقبل التجزئة ، تلامذة المدارس ، وباعة الحليب ، وعمال الكومبانية ، والصنايعية الصغار ، صعاليك المدن والفتوات ، ربات البيوت المحجبات (ربات العفاف والصون اللواتى لم يكن احد ايامها يرى وجوههن ابدا) ، طالبات « السنية » ، كالزهور التى لم تتفتح عنها اكمامها عرفن كيف يهتفن بالدستور والاستقلال والحرية .

ـ نمـــوت ويحيـــا الوطـــن ،

نموت حقا لا كلاما ، نموت فعلا لا قولا ، يسيل الدم ، وتاتى سيارات الاسعاف ، تحمل الجرحى ، الرصاص فى صدورهم ، والدم يروى ارض السيارة ، يسيل منها إلى الطريق ، وليس فيهم قوة حتى لكي يتاوهوا من الالم ، لكن اذانهم المرهفة ـ رغم الجراح ـ تسمع اصوات المظاهرات فى الطرق التى تمر بها السيارة ، فاذا ما اقتربت منها ، فتحوا الستائر ، وتساندوا وهتفوا مع الهاتفين ! .

ووسط الغضب والثورة والدم والرصاص ، هتف شخص مجهول ..

ـ الاستقلال التـــام او الموت الـــزؤام ..

لعله طالب ازهرى فقير ، ممن يعيشون على «جراية» الأزهر الشريف ، او امام تقي يؤم المصلين فى مسجد ، او قسيس يترنم بايات الانجيل ، وربما كان مدرس لغة عربية ، او محاميا شابا ممن كانوا يقودون المظاهرات ، لا احد يعرف من هو ، لكن الهتاف منذ اللحظة الأولى لانطلاقه،

اصبح ملكا للناس ، رددوه بسرعة مذهلة ، انتقل كالنار من العاصمة الى اقصى جنوب الوادى .

لم يقف احد لحظة ليسال نفسه : ما معنى كلمة الزؤام هذه ؟

رددها عمال وصنايعية وحرفيون وفلاحون وفتوات ، كلهم لايستطيعون التفرقة بين « الالف » و « المئذنة » ، لم يقراوا يوما او يكتبوا ، لكنهم شعروا بان « الزؤام » كصفة للموت الذى يفضلونه على البقاء فى وطن محتل ، تعنى اصرارهم على ما يريدون ..

وقد فعلوها .. ماتوا موتا « زؤاما » حتى قبل ان ياتى الاستقلال التام ..

ماتوا لكي لا يسقط علم مصر فى التراب قطعة قماش طولها ضعف عرضها ، خضراء اللون يتوسطهـا هلال ونجمة ، هكذا كان علم مصر ايامها ، قطعة قماش لا قيمة لها ، لكن شبابنا فى عمر الزهور ماتوا كي لا تسقط على الأرض ..

حدث هذا فعلا ولم يتخيله او يؤلفه احد ، تقدمت مظاهرة الازهـر الكـبرى ، وفى صفها الأول حامل العـلم ، واخذت تقترب خطوة بعد خطوة من مواقع جنود الاحتلال الذين كلفوا بمنع المظاهرة ايا كان الثمن ، وجوههم حمراء وعددهم كبير ، وبنادقهم سريعة الطلقات .

ــ « نموت وتحيـــا مصـــــر »

الجنود يضغطون على مفتاح الامان فى بنادقهم

ــ « نموت وتحيـــا مصـــــر »

سحب الجنود « ازندة » البنادق ..

ــ « نموت وتحيـــا مصـــــر »

اعادوا الزناد الى موضعه .

ــ « الاستقلال التام او الموت الزؤام »

فعلوها . فتحوا النيران ..

ــ « نموت وتحيـــا مصـــــر »

ماتوا فعلا ، تهاوى عدد منهم على الأرض ، لم تتوقف المظاهرة !

ــ عاشـت مصـــر حــــرة .

اصابت رصاصة حامل العلم ، ظل متماسكا رغم الجراح ، رفع العلم بساريته إلى أعلى يحميه من الطلقات السريعة التى انهالت عمياء لا تعرف لها هدفا . ارتبكت خطواته ، تدفق الدم من فمه .

ــ نموت وتحيـــا مصـــــر .

فى اللحظة الاخيرة ، وقبل أن يسقط متهاويا على الأرض ، امتدت يد من الصف الذى يليه مباشرة ، فحملت العلم وهى تهتف .

ــ نموت وتحيـــا مصـــــر .

رصاصة . يد اخرى تتقدم لكي تحمل العلم نموت وتحيـــا مصـــــر ، رصاصة ، يد ثالثة . نموت وتحيـــا مصـــــر ، رصاصة يد رابعة ، ورصاصة رابعة . وخامسة وسادسة .. و .. و ..

ثلاثة عشر شابا فى عمر الزهور ، لم يكملوا تعليمهم ، ولم يتزوجوا ولم ينجبوا ، ولم يعيشوا بعد ، ماتوا واحدا بعد الآخر ، كي لا يسقط العلم على الأرض .

ذلك حدث ...

لم يؤلفه احـــد .. ولم يتخيله احد .. !

قبل شهور من وفاته

فى المنفى قرا سعد انباء هذا كلــه ، وقـــال :

ــ إنها قارعة شديدة فوق ما كان يقدر المقدرون ..

قارعة صنعت من سعد رجلا اخر غير ما كان ، وسياسيا اخر غير ما كان ..

عندما ذهب سعد وزميلاه لمقابلة المندوب السامي البريطاني فى ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩١٨م ، كان كل ما طلبوه لمصــر ضئيلا متواضعا للغايـــــة ، فقد حاول الزعماء الثلاثة ان يتخلصوا من تبعة المعارضة العنيفة للاستعمار ، التى كان يحمل لواءها قبل الحرب الزعيم محمد فريد ، فقال عبد العزيز فهمي :

ــ إن طريقة الطلب التى سار عليها الحزب الوطني ربما كان فيها ما يؤخـذ علينا ، وذلك راجع لطبيعة الشبان فى كل جهة .

ووافق الباشوات الثلاثة على التسليم بحق بريطانيا فى ان تكون لها قواعد عسكرية فى مصر ، وهو ما اعلنه سعد بنفسه فى لقائهم بالمندوب السامي ، ووافق على شعراوى على بقاء المستشار البريطاني فى وزارة المالية .

ولكن عندما وقعت القارعة تغير كل شيء ، اصبحت المسالة هى مسالة « الاستقلال التام او الموت الزؤام » ..

لم تكن مجرد قارعة ، لكنها كانت معجزة ، فقد صنع الشعب من سعد زغلول بطلا ، وهب له حبه ، وكم هو دافيء . وقلبه ، وكم هو مخلص فاحال شيخوخته صبا ، وضعفه قوة ، وبفيضان الحب حتى الموت ، تحمل الشيخ الواهن العظم عذاب المنفى فى الجزر الموحشة ، وقسوة الغربة إذ العمر فى خريفه ، فتشدد ولم يساوم ، وقاتل ، وكان الظن ان يموت باحد أمراض الشيخوخة ..

انتهت سنوات الحيرة ، وان ان يكون الفصل الاخير من العمر سعيدا كالفصل الاول منه . فكيف يهرب من هذا الحب الذى يقيده كالاسير ، وكيف يخيب امال الناس فيه ، هم الذين انشدوا فيه الاغاني ، وترنموا باسمه ، وتعلم فلاحون اميون ان يتكلموا الانجليزية من فرط حبهم له ، والفوا عنه اساطير جميلة برغم سذاجتها ، فقالوا ان نوار حقول الفول كتب اسمه .

وهو بين الناس ، فى زحام الشعب ، كان سعد يتوهج بالحماس ، ويشتعل بالثورة ، ويطرح عنه كل امراض الشيخوخة ..

فى اخر احتفال بعيد الجهاد الوطنى ، قبل شهور من وفاته ، كان مريضا ، وامره الاطباء بالا يغادر فراشه ، ولكنه اصر على حضور الاحتفال ، ووافق الاطباء بعد مجهود شديد ، واشترطوا عليه ان يبقى خمس دقائق يعود بعدها الى فراشه ، وقال احدهم لزوجته صفية زغلول :

ــ انني لا اوافق ان يخرج اليوم .. لو خرج فقد يموت فى الطريق .

وخرج سعد ، لفوه بدثار ثقيل ، وارتدى معطفا ضخما ، وامسك عصاه يتوكا عليها ، وسار وئيد امن بيت الامة الى سرادق الاحتفال على بعد عشر خطوات ، قطعها الشيخ الواهن فى عشر دقائق ..

ودخل سعد الى السرادق ، وجلس يستمع الى الخطباء ، وإذا باصوات هتافات الشعب تعلو مطالبة بالاستماع الى سعد زغلول ، فاذا به يقف بقامته الطويلة ، ويترك العصا التى جاء متوكئا عليها ، ويمشي الى منبر الخطابة بخطوات شاب قوى ، ويصعد درجاته كما لو كان فى العشرين من عمره ، ويخطب فى الناس بصوت بدا مجهدا وخافتا ، ثم بدا يرتفع تدريجيا حتى اصبح كزئير الأسود ، وبدلا من ان يبقى فى السرادق خمس دقائـق ، ظل يخطب ثلاث ساعات .

وتلك معجزة الشعب ، الذى جعل سعد زغلول ــ وهو فى الستين ــ يقود ثورة بدلا من ان يبنى مقبرة .

● ●

وهو على فراش مرضه الاخير .. سالته زوجته صفيـــة :

ــ كيف حالك الآن ياسعـــد ؟ .

قال بتسليم :

ــ أنا انتهيت ..

نعم .. انتهى سعد .. ولكن الشعب كله كان يستعد لقارعة اخـــرى .

صلاح عيسى

الخديوى توفيق باشا

يوميات في المنفى

بقلم : أم أكثم

١٩٧٩/٢/١٧م :

هسهسة الخشب فى المدفاة .. الغمام يبكي بطفولة هادئة .. سريرى الشاسع كالسهل .. والسفوح المعشبة الممتدة امامي ترشف بشغف دفقات المطر .. الغرفة منقوشة على الطراز الفكتورى .. هذا المبنى العتيق على هذه الربوة الساحرة .. وصدى اقدام (بيرون) المتسلقة هذا التل منذ قرنين من الزمان تقترب .. تقترب .. حتى احسها تحت نافذتي .. اطل براسى .. ألمح آثار اقدامي على الطريق ذاتها وعتمة الحيرة نفسها .. تتعثر تحت قدمه العرجاء .. التصق بزجاج النافذة البارد .. نظراتي تحاول اختراق سياق الأشجار العملاقة .. يتراءى لي من بعيد .. خط ازرق .. ساكنا متعرجا .. ساكن حتى التجمد .. تراه نهراً يصب خلف هذه التلال ام عساه ما يكون ؟ .

و .. عينا « بروست » العميقتان الملتهبتان حزنا ووجعا مصلوبتان على جدار غرفتي وهما تحاولان العثور على الزمن الضائع .. اسدل الستارة .. والصداع يزحف بلزوجة وصمت كبقعة الزيت حتى يغشى عيني .. يتصلب عنقي .. اتهاوى على المقعد الوثير جوار المدفاة .. وعلى الحائط تجثم مادبة لعشاء لم يتم .. اتلقى رأسى المتعب براحة يدى .. وعذابات (فان كوخ) تطل من اطار اللوحة المذهب .. تنزف على الحائط دما .. بضعة سطور تاتينى مصلوبة من وراء البحار .. وهج النار يلفح وجهي .. اغمض عيني .. إذن هذه الغرفة العتيقة المسكونة باشباح الماضي واوجاعهم .. منفاى الأخير !!؟

١٩٧٢/٧/٥م :

منذ يوم وليلة .. كان معنا .. فى العاشرة من عمره .. اشقر .. عيناه أرض معشبة .. طيب حنون .. أراه دائما يلعب الكرة فى الشارع امام منزلنا .. صباح اليوم جاءنا نبأ مصرعه .. مذهلا مدمراً كغضبة الزلزال .. (كان يطل من نافذة « الباص » عندما انحصر عنقه بين حد النافذة وحد باب المدرسة الحديدى .. انفصل راسه عن جسده!!) مقصلة .. !! احترقت ارضه المعشبة .. احرقتنى دموعي .. كان الراس الاشقر كتلة لهب تتدحرج خلفى .. وانا أعدو لاهثة ..

قالوا : « هذا انتقام الهي .. منذ سنوات قتلت أمه فتى يافعا .. لم تثبت التهمة عليها .. فانفصل رأس وحيدها ».

قلت لجدى وهو يتوضا : قالوا انتقام الهي !!؟

قال جدى إن الله يمهل ولا يهمل .

قلت لجدى وهو يفرش سجادة الصلاة : ويبقى عنق الخاطئة مسلولا كسيف !!؟

قال جدى : استغفرى اللـــــه .

استغفرت اللــه كثيراً .. وظل الراس الأشقر كتلة لهب تتدحرج خلفى .. كان الشرخ يتسع .. وراسي يتصدع .

١٩٧٩/١/١ :

هذه ليست غرفة للايجار .. !

وايضاً ليست غرفة فى فندق .. !

و .. أيضاً ليست غرفة فى مستشفى ..!

إذن .. ما عساه يكون منفاى هذا ؟..؟!

كان سؤالي معلقا بوجه الطبيب العجوز .. كان طيبا .. يحب الحلوى .. تفرحه خصلة شعره المتهدلة على جبينه المتغضن .. يعبث بارنبة انفه كلما استعد للحديث ويزم فمه قليلا .. نهض من على المقعد الوثير .. تطلع الى الستارة المسدله .. استدار نحوى ..

ــ الأم كاترين أخبرتنى انك طلبت منهم أن تظل الستارة مسدلة دائما .. لماذا ؟

ــ لأن ضوء النهار يضاعف من مشكلة الصداع التى أعاني منها .

« بانتصار جذل اقترب مني وهو يشير بسبابته» ..

ــ هه .. اخبريني لماذا .. ؟

ــ لا ادرى .. ولكن هل اخبرتنى عما يكون منفاى هذا ؟

ــ لنقل إنه مكان هادىء وجميل .. تتوفر فيه كل الشروط اللازمة لاراحة الاعصاب المتعبة .

ــ الأعصاب المتعبة ؟!

ــ نعم (ابتسم نصف ابتسامة)

ــ هل تظنني فى طريقي الى الجنون ؟! .

« انتفض بشدة .. ادخل يده فى جيب البنطال »

ــ ابلغت الام كاترين بان تاخذك الى المرسم فى الطابق الأول عندما ترغبين .. للترويح عن نفسك ..

ــ لا أرغب فى ذلك .

«ارتعشت عيناه الملونتان .. واصابعه تعبث بزرار الصدار ذى اللون الرمادى »

ــ واريد ان اتناول طعامي هنا فى غرفتي .

ــ لكن هذا يضاعف من وحدتك .!

ــ و .. لا أرغب فى استقبال اية محادثة هاتفية .. او زائر

« اقترب من باب الغرفة مسرعاً » .

سنتحدث فى ذلك فيما بعد .. اراك غــداً .

١٩٧٠/١٢/٣م :

فى طريق العودة من المدرسة الى المنزل .. فى السيارة الفارهة .. كانت ضحكاتنا المترفه ــ صديقتى وانا ــ تمتزج باحاديثنا الملونة عن ليلة هذا المساء .. عقدان من اللؤلؤ .. مادبة

فاخرة .. ساعة مطعمة بالجواهر تضاف لمقتنياتي الثمينة .. وشحوب وجه صديقتي المهاجرة .. « هل انت مريضة » « لا اننى اصغى فقط » . « لا عليك ساعيرك ثوباً وقلادة » تمتزج ضحكتها الشاحبة باشعة الشمس المحرقة .. توقفت العربة لحادث فى الطريق .. عربة الاسعاف من بعيد تزعق .. تمزق الصمت عن صدر النهار .. عيون زائغة .. مرعوبة .. تتجمهر حول المصاب .. في الثلاثين من عمره .. نحيل .. اشعث .. تبرز من عنقه وذراعيه وساقيه العجفاوين عروق خضراء تتفرع كقنوات اسنة .. فم جاف .. وجسد يطفو فوق مستنقع من الدم والاسفلت وحرارة الشمس والوجوه البلهاء .. يتمتم بكلمات مبهمة .. اقترب منه شرطي وبعض المارة .. صرخ احدهم .. « اجمعوا الخبز وحزمة الفجل والتفاحات الأربع .. انها لأطفاله » الخبز .. حزمة الفجل .. التفاحات اليتيمة .. آخر ما كان يشغل بال الرجل المحتضر .. الخبز ؟!!

كانت رائحة خبز يحترق يتصاعد من انفاسي ..

كان الشرخ يتسع .. وراسي يتصدع .

١٠/٨/١٩٧٩م :

« ان الاحزان والهموم خدم مجهولون مكروهون .. لا نفتا نحاربهم ونقع تحت سيطرتهم يوما اكثر من يوم .. خدم شرسون لا يمكن استبدالهم .. ويقودوننا بطرق خفية الى الحقيقة والى الموت ، فسعداء هم الذين يلتقون بالاولى قبل الثاني .. وتدق لهم ساعة الحقيقة قبل ساعة الموت مهما كان قرب احداهما من الأخرى » .

أغلق الكتاب .. اتناول الحبوب المهدئة .. اتجرع الماء .. اغمض عيني .. احاول ان لا انصت لاصوات المعاول فى راسي .. افشل .

٤/٧/١٩٧٩م :

الستارة مسدلة .. الضوء شاحب .. احاول أن اعطي انتباهي لحديث الطبيب .

ــ اختارى النقطة التى يهمك ان تبدأى بها الحديث .

ــ هناك نقاط ارتكاز كثيرة فى حياتي

ــ ما يتداعى الى ذهنك الآن .

ــ صور كثيرة تتداعى .

ــ الأكثر وضوحاً

ــ لا ادرى ايها اكثر وضوحاً .. لكني الآن أرى عينيها الرماديتين .

ــ من هــي ؟

ــ فتاة كانت معنا فى المدرسة .. جميلة .. مريضة بالقلب .. وايضا كانت فقيرة .. تطوعنا لجمع المبلغ المطلوب لاجراء عملية جراحية لها فى الخارج .. حدثت ابي .. اعطاني مبلغاً كبيراً .. عندما حضرت لاضعه فى الصندوق المخصص لذلك .. حدث أمر غريب ؟

« اعتدل فى جلسته .. اخرج قطعة من حلوى النعناع وضعها فى فمه » .



ـ هـه .. ماذا حدث ؟!

ـ وضعت فقط نصفّ المبلغ .. واحتفظت بالنصف الباقي .

ـ هل كنت بحاجة اليه ؟

ـ لا .. لم أكن بحاجة اليه .. فما اطلبه احصل عليه مضاعفاً من والدى .

ـ إذن .. ؟

ـ .... « كان الشرخ يتسع .. وراسي يتصدع »

« ينهض .. يجلس على حافة الفراش .. يحتفظ بيدى فى يده بأبوة حانية . »

ـ اكملي .

ـ ماتت الفتاة أثناء اجراء العملية .. وظلت عيناها الرماديتان تلهبان حياتي بالحزن .. وظلت الأشياء التى اشتريتها بذلك المبلغ كطائر الرخ تفصل بيني وبين كل ضوء مبهج فى الحياة .

ـ ما هي تلك الأشياء ؟

« ويداه تحاولان عبثاً بعث الدفء فى يدى المحتضرة »

ـ اذكر منها .. صقراً محنطا .. نعم صقر محنط !!

« عندما يهبط الليل .. يحط الصقر على صدرى .. يغرز مخالبه .. وعيناه الوحشيتين تخترقان جسدى .. عبثاً احاول الصراخ .. استيقظ من نومي وجلة .. فاجده مازال فى مكانه على رف المكتبة .. لكنه لم يحلق بعد .. ولم يحط على صدرى بعد . »

٤/٦/١٩٧٩م :

يتراءى لي من بعيد .. خط ازرق .. ساكناً متعرجا .. ساكن حتى التجمد .. تراه نهراً يصب خلف هذه التلال ؟ ام عساه ما يكون ؟!

٩/١١/١٩٧٤م :

عندما قتل « خادمنا » الصغير فى حادث عربـــة ..

ظل صوته الذى لم اميزه ابداً .. يخرج لى من كل الحناجر ..

عندما قتل « خادمنا » الصغير الذى يستيقظ فى الفجر البارد لينظف العربة .. وفى جوف الصيف الكاوى يمسح فناء الدار وعمره الطفل ينزف ضعفاً وعرقاً .. يومها فقط .. تذكرت أنه كان مهاجراً .. صغيراً .

تذكرت انه كان وحيداً وصامتاً كالظل .

عندما قتل « خادمنا » الصغير .. استمال صوته الذى لم اميزه ابداً الى رصاصة هشمت كل المرايا .. فلم اعد أرى وجهي ..

عندما قتل .. يومها فقط افتقدت نفسي .

٣/٥/١٩٧٩م :

(انا الانسان الغريب الذى ينتظر ان يحرره الموت .. اعيش والنوافذ مغلقة .. لا أعرف شيئاً عن العالم .. واظل بلا حراك كالبومة .. ومثلها لا ارى بوضوح قليلا إلا فى الظلام) .

انتزعت الأم كاترين الكتاب بهدوء من يدى .. ابتسمت .. تأخر الوقت .. اطفأت القنديل اغلقت الباب فى صمت .

١/٧/١٩٧٨م :

الساعة الثانية ظهراً .. صيف الدوحـة اللاهب .. توجع شجرة السدر العجوز .. عواء العواصف الرملية .. وصراخ امراة تحترق .. كان جسدها يتساقط كالخرق البالية وهي تعدو .. عشرات الأيدى تمتد لانقاذها .. كان راسها كرة سوداء متفحمة .. ونقطتان بيضاوان ما زالتا تتوهجان بالحياة فيه

قالت أمي : كانت المراة تطلب ماء وكان جسدها يتساقط .

قالت أمي : كانت المراة تطلب شراء علبة الوان مائية لابنتها !!

قالوا : طمع الزوج فى مرتبها .. اختلفا .. اشعل النار فيها .. قيدت الحادثة قضاء وقدر !!

قالت أمي : كانت المراة تحاول أن تقول شيئاً .

قالت أمي : لكنها ماتت فى الطريق .

و .. النقطتان البيضاوان المتوهجتان فى الراس المتفحم .. ضوء فنار يتوهج على شاطىء وسفينة تائهة تغرق ..

٣/٢/١٩٧٩م :

ـ استلمت اليوم تقريرا من طبيبك الذى اشرف على علاجك فى مدينتك .

.. « يرقبني فى صمت »

ـ هل يزعجك ذلك ؟

ـ لا ..

ـ فى اعتقادى الخاص انك لأسباب



مجهولة تخافين الحياة او ترفضينها ودليله على ذلك محاولتان للانتحار . « يتابــع اختــلاج انفاسي » .

ـ واطلعت ايضا على تقرير طبي يؤكد انك خالية من اى مرض عضوى !. لذلك يجب عليك ان تساعدينى للاهتداء الى اسباب هذا الصداع المزمن الذى دمر صحتك واسلمك لحالات من القلق والكآبة او ربما العكس .. واخشى عليك من ذلك .. « ازاح النظارة من عينيه » هل انا صريح اكثر مما يجب ؟

« كانت رائحة خبز يحترق تتصاعد من انفاسي »

ـ افضل ان اعرف ما يدور فى خاطرك

ـ وانا كذلك .. على ان اعترف اننى امام فتاة حادة الذكاء .. لذلك فانا اواجهك بما افكر به .. وارجو ان نتعامل كصديقين .

« مد يده نحوى مصافحا .. اسلمت يدى »

ـ اتفقنـــا ؟

ـ نعم (كان الراس الاشقر كتلة لهب تتدحرج خلفي .. وانا ..)

لمـاذا انت ساهمة ؟

ـ اخشى ان لا احافظ على اتفاقنا «احاول ان لا انصت لاصوات المعاول في راسي .. افشل » « اقترب مني .. بيديه الاثنتين جمع خصلات شعرى المتهدلة .. رفع وجهي نحـوه »

ـ لمـاذا .. ؟ ؟

« صوته .. كان ابي .. حنانه .. »

« اقاوم البكاء .. اقاوم البكاء .. يتدفق حزني غزيراً .. ويريحني على كتفه .. ودموعي ترتعش »

ـ لا تخجلي من دموعك امامي .. انها ضمن اتفاقنا « يبتسم » .

آه يا وجـــه ابي البعيد .

٤/٥/١٩٨٠م :

انطوت شهور مريرة فى الغرفة العتيقة .

اليوم .. الطمانينة تمــلأ نفسى

اليوم .. اتنسم رائحة العشب .. الخضرة الممتدة .. البحيرة .. والوجوه الطيبة .. القرميد الاحمر المبلل .. المقاعد الحجرية .. وعرس الالوان فى الزهور .. كل شيء له عطره .. حتى السماء .. وجه (ليز) الطيب ..

ـ يجب ان نحتفل بهذا اليوم .. من كان يصدق انك ستخرجين من ذلك القبو .. ياله من طبيب بارع !!

... « لاصوات الطيور ايضا رائحة تعبق كالعطر فى الهواء الندى » .

ـ ساذهب لاحضر لك شايا وكعكة .. ساطلعك على سر كان يجب ان لا اخبرك به .. سنحتفل بعيد ميلادك العشرين بعد ايام « تضحك بسعادة وهى تضع اصبعها على فمها » .

لاتخبرى احدا بذلك .. إنه سر .. هذا قرار الأم كاترين .

« تعدو كطفلة .. اتمدد على المقعد الحجرى .. اواجه السماء .. والطمانينة فى نفسى فيض من نور يغمر كل ما حولي » .

ـ مرحبـــا .

« فى الاربعين من عمره .. طويل .. عريض المنكبين .. يميل الى الامتلاء .. له وجه طفل .. وشعره من الفضة »

ـ ادعى (هاريس) « بارتباك » لم اشاهدك من قبل .. انا هنا منذ عام تقريبا .. محام .. نعم « يزداد اضطرابه » لا يدهشك ذلك .. انا محام .. لكننى فى اجازة منذ عام .. متعب قليلا « يصمت » هم يقولون ذلك .. « يمتلىء صوته حنانا » هل ازعجتك ؟

اطلاقا .. سعيدة بمعرفتك .. انا هنا منذ شهور .. كما ترى لقد خرجت اليوم فقط للحديقة .. انها جميلة ..

ـ انت اجمل .. (يبدو شاردا) انصحك يجب ان لا تبقى هنا .. الحياة قصيرة .. الأيام تعدو « يفرقع اصابعه بعصبية » تمتعي بشبابك .

ـ شكرا لنصيحتك .. ثق اننى ساعمل بها .

ـ هذه ليست نصيحة « مازال واقفا » بل حقيقة « يصمت » هل استطيع ان «يزداد اضطرابه » ادعوك لتناول الشاى معي هنا فى الحديقة غـداً ؟

ـ نعم .. بكل سرور .

من مبنى منعزل .. علقت عليه لوحة نحاسية كتب عليها « الادارة » خرجت سيدة صارمة الوجه برفقة بعض الرجال .. كانوا يتجادلون بعصبية .. ما ان توجه نظر السيدة نحونا حتى شحب وجهها .. بدات تصرخ بعصبية تنادى «ليز» واسماء اخرى .. فجاة .. كان الجميع يعدون تجاهنا .. وصراخ السيدة شظايا تفجر المكان .

ـ كيف تتركونه طليقا .. اين الممرض المسئول عن مراقبة « هاريس » سافصله من العمل .. ساعاقبه .. كيف تتركونه يتجول وحيداً .. يا إلهي .. ماذا كان سيحدث لو لم اخرج فى الوقت المناسب « كان الرجل ذو الأربعين عاماً يتضاءل .. يرتعش » يا إلهى .. حتماً كان سيقتل هذه المسكينة .

« وهو يتشبث بجذع الشجرة هجم عليه اثنان لاقتياده .. استدار بوجهه الفزع نحوى ..»

ـ لا لا تصدقيهم .. لم اكن انوى الاساءة اليك « ينفجر ببكاء حار » ارجوك .. صدقيني يرتمى على الأرض .. وهما يقتادانه عنوة .. يتشبث بالعشب الطرى .. يتلوث وجهه الطفل بالطين .. يرتفع صوت بكائه .. تغسل الدموع وجهه وصدره .. يجرانه بقسوة على طول الممر المعشب الرجل العريض المنكبين .. ذو الشعر الفضى والصوت الطيب يغيب فى دهليز مظلم .. ويداه تطبقان على العشب الطرى .. يبتعد صدى نحيبه الممزق .. يغيب وجهه الطفل .. « ارجوك لا تصدقيهم » كنت ملوثة بالطين وانا احفر فى جدول شقة جسده على الأرض المعشبة وهو يقاوم صالبية .. كنت احفر بجنون ودموعى تسقي جفاف الجدول .. وصراخ الطبيب المذهول وهو يحاول انتشالي بكل قوته من جدول الطين «أيها البلهاء .. ماذا صنعتم بها .. أيها الحمقى .. »

كان يحاول انتشالي .. يضمني بشدة .. وكنت اغوص بجسدى المنهك .. اننى انتظره هنا «الموت الذى ياتي لمساعدة المصائر التى تجد مشقة فى الاكتمال » .

ام اكثم



تأليف : دزموند ستيورت - دار النهار للنشر ١٩٨١
عرض ومراجعة : د. عبد القادر ياسين

بادىء ذى بدء لابد من توجيه الشكر لدار النهار لنشرها هذا الكتاب القيم الذى يكتسب أهميته من عاملين اثنين ، اولهما الموضوع والثانى المؤلف . فالكتاب يتناول تاريخ الشرق الأوسط فى حوالى قرن من الزمان ، منذ ما بعد منتصف القرن التاسع عشر بقليل حتى الستينات من القرن الحاضر : من اسماعيل الكبير مروراً باحتلال مصر وثورة مصطفى كمال اتاتورك ، وقيام الكيان الصهيونى فى فلسطين حتى جمال عبد الناصر . اما المؤلف ، دزموند ستيورت ، فهو مؤرخ بريطانى مشهور عايش بعض حقبات هذا التاريخ . فقد جاء الى هذه المنطقة فى الثلاثينات ومازال يتردد عليها بانتظام مما اتاح له جمع المعلومات من مصادرها الأولية ، اعتمد على مصادر عديدة محفوظة فى ارشيفات بعض الدول التى كان لها دورها فى احداث المنطقة خلال المئة عام الأخيرة .

وكان الكتاب قد صدر فى عام ١٩٧١ وصدرت الطبعة الثانية باللغة العربية فى مطلع العام الحالى . ويتضمن الكتاب تسعة ابواب باربعين فصلا استغرقت ٣٦٥ صفحة من القطع المتوسط .

يستعرض دزموند ستيورت فى خمسة فصول من كتابه سيرة تيودور هيرتسل ، مؤسس الحركة الصهيونية . وعلى الرغم من ان الكتاب لا يؤرخ للحركة الصهيونية بصورة شاملة إلا انه يميط اللثام عن الدور الذى لعبه تيودور هيرتسل فى اقامة الكيان الصهيونى فى فلسطين .

ولد تيودور هيرتسل فى الثانى من أيار عام ١٨٦٠ فى مدينة بودابست عاصمة هنغاريا لأبوين يهوديين . وكان اليهود قد وجدوا الثقافة الألمانية اسهل منالا لأن لهجتهم اليديشية قريبة من اللغة الألمانية واقوى جاذبا ، لأن المفكرين اليهود كتبوا بالألمانية .

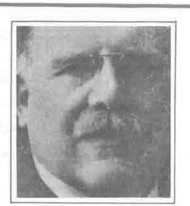
نشأ هيرتسل بين بحرين غير متكافئين : بين التقاليد الدينية اليهودية وبين الثقافة الألمانية العصرية الأقوى أثراً .

فى عام ١٨٩١ ذهب هيرتسل الى باريس مراسلا لصحيفة (الصحافة الحرة الجديدة) وهى صحيفة تعمل فى اظهار النمسا للعالم وتنشر ما ساهم به اليهود فى الثقافة الألمانية . وكانت باريس قد اصبحت مسرحا جديدا للحركة اللاسامية .

أظهرت حوادث السنوات القليلة التى امضاها هيرتسل فى باريس ان التحرر لن يحل مشكلات اليهود الأوروبين . فحمله ذلك على التفكير فى حل للقضية اليهودية . كان هيرتسل يرى ان اليهود كانوا اقلية مضطهدة بسبب دينها . وبدلا من ان يحض اليهود على التمسك بدينهم نصحهم

● ماذا عن الدور الذي لعبه تيودور هيرتسل في إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين ؟

● السنوات القليلة التي أمضاها هيرتسل في باريس كشفت له أن التحرر لن يحل مشكلات اليهود الأوروبيين مما دعاه إلى التفكير في حل القضية



بلفور



هيرتزل



روتشيلد

بان يعتنقوا المسيحية .

فعل هيرتسل ذلك بطريقتين : أولا اقترح ان الحل الأفضل هو اندماج اليهود التام فى العالم غير اليهودى ، واعتناق المسيحية وذلك بتعميد اطفالهم وتحويلهم الى الدين المسيحى «قبل أن يعزى تحولهم الى الجبن أو الى المصلحة» . وقد رفض اليهود من ناحيتهم اقتراحه . والكنيسة الكاثوليكية كانت من ناحيتها غير مستعدة للترحيب بمهتدين غير مقتنعين بالعقائد اللاهوتية التى حالت ١٨ قرنا دون اعتناق اليهود الدين المسيحى .

وما لبث هيرتسل نفسه أن أهمل هذا الحل واخذ يفكر فى حل آخر . اقترح مرة اخرى أن يصبح اليهود «شعباً» كالشعوب الأخرى . أى أن يكون لهم «دولتهم الوطنية» . وقد جاء اقتراحه هذا بعد عامين من محاكمة «الفرد دريفوس» ، الضابط اليهودى فى الجيش الفرنسى ، وتجريده من رتبته العسكرية وسجنه فى الخامس من كانون الثانى ١٨٨٥ .

لم يذكر هيرتسل فى صحيفته شيئاً عن اللاسامية لأن «دريفوس» ادين على اساس انه خائن لا لأنه يهودى .

بدلاً من أن يحض اليهود على التمسك بدينهم .. نصحهم بأن يعتنقوا المسيحية

المشكلة اليهودية : عنوان مفكرة سرية استمر فى كتابتها حتى وفاته

عندما اقترح هيرتسل أن يصبح اليهود شعباً كالشعوب الأخرى

ولكن القضية تطورت حين أخذت الصحف المعادية للسامية تهاجم «دريفوس» كيهودى . فاثر ذلك فى نفس «هيرتسل» واصبح «دريفوس» فى نظره «رمزاً لليهودى الذى يحاكم فى مجتمع مسيحى» .

وفى شهر ايار من السنة نفسها اتصل «هيرتسل» بالمليونير اليهودى البارون «موريتز دى هيرش» . وكان البارون قبل اربعة اعوام قد أسس «جمعية الاستعمار اليهودى» برأسمال قدره مليونا جنيه استرلينى لتوطين اليهود الروس فى الأرجنتين . ولكن المشروع فشل . حاول هيرتسل أن يقنع «دى هيرش» بان هنالك حاجة الى حركة سياسية لا جمعية خيرية ، «تشجع جماهير اليهود على الرحيل الى أرض الميعاد الجديدة على أن تثار فيهم روح الاستعمار ، ويقووا كانهم يراد إرسالهم الى ساحة القتال ، ويحبب اليهم العمل» وقال انه سيقابل قيصر المانيا ويطلب اليه السماح لليهود بالهجرة . فاقتنع « دى هيرش » بالفكرة ووافق على الحاجة الى الهجرة .

فى مساء ذلك اليوم وضع «هيرتسل» افكاره على الورق . وبدأ مفكرة سرية عنوانها «المشكلة اليهودية» ، استمر فى كتابتها حتى وفاته . ودون فيها يوميات تكونت منها مسودة كتاب «دولة اليهود» وكان عبارة عن رسائل وجهها «هيرتسل» الى مجلس عائلة روتشيلد اليهودية المعروفة .

قوبلت فكرة هيرتسل بعدم الاكتراث او العداء أو السخرية .

أهمل بسمارك مذكرته لأنه «لا يرى فائدة فى رجل لا جند عنده ولا مال» كما أهمل البارون روتشيلد رسائله . وشدد بعض اليهود على الخطر الذى تنطوى

تاريخ الشرق الأوسط الحديث

معبد جانوس

كانت إنجلترا هي الدولة الغربية الوحيدة التي وجد فيها هيرتسل تأييدًا فوريًا

لعب بلفور دورًا بارزًا في البرلمان الانجليزي في مقاومة هجرة اليهود إلى إنجلترا

عليه فكرة المطالبة بقومية يهودية دنيوية قائمة على مبدأ العرق . وسخر آخرون منه لانهم لم يصدقوا «امكان زرع ولاية مسكونة من الامبراطورية العثمانية وملئها بمستوطنين تنقصهم الخبرة الزراعية أو العسكرية» . فاغاظ «هيرتسل» عدم الاستجابة لفكرته حتى أصبح حقوداً الى درجة انه هدد بشن حملة صحفية على البارون «هيرش» اذا سخر هو الآخر منه وذلك بنشر ثلاث رسائل كان قد بعث بها اليه .

ان الدولة الغربية الوحيدة التي وجد فيها «هيرتسل» تاييداً فورياً هي انجلترا التي كان رئيس وزرائها في ذلك الوقت دزرائيلي . ذهب «هيرتسل» الى انجلترا . بيد انه وجد بين اليهود المقيمين في انجلترا من لا يعتبرها وطناً له . زار «هيرتسل» أولا «اسرائيل زانجويل» واضع شعار «بلد بلا شعب لشعب بلا بلد» .

في انجلترا قابل « هيرتسل » السير صمويل مونتاج (الذي اصبح فيما بعد اللورد سويثلينج) . كان « مونتاج » اقرب الجميع الى فكرة « هيرتسل » . دعاه « مونتاج » الى الغداء في منزله . وبعد الغداء اخذا يتداولان الحديث « فشرح له « هيرتسل » مهمته حتى أثاره » فاسر له « مونتاج » انه يشعر في قرارة نفسه بأنه « اسرائيلي اكثر منه


عبد الناصر


بسمارك

انجليزي » . اتفق « هيرتسل » ومونتاج على امرين : أولهما أن مشروع الدولة اليهودية سيظل حلماً الى ان ترعاه دولة كبرى ، وثانيهما تعيين البلد الذي ستقام فيه هذه الدولة . لم يحدد «هيرتسل» بلداً معيناً . فالمهم لديه انما كان وجود الدولة لا موقعها الجغرافي ولكن مونتاج أصر على فلسطين .

كان « آرثر بلفور » الذي ينتمي الى الطبقة التي اسست الامبراطورية وجمعت الثروة ، متحرراً فكرياً ولكنه غير معجب باليهود . لعب « بلفور » دوراً بارزاً في البرلمان الانجليزي في مقاومة هجرة اليهود الى انجلترا . وحاول ان يشرح لمجلس العموم لماذا يرى ضرورة وقف تدفق اليهود (الهاربين من المذابح القيصرية) بقوله : « يمكننا أن نتصور بسهولة وضعاً لا يفيد هذا البلد أن يكون فيه عدد كبير من الأشخاص الذين ، مهما كانت وطنيتهم وقدرتهم واجتهادهم ، يظلون شعباً منعزلاً ، ولا يختلف دينهم عن

دين اكثرية مواطنيهم فحسب بل لا يتزاوجون إلا فيما بينهم فقط » .

كان الاختيار الاول لهيرتسل هو السلطان العثماني الذى كان يسيطر على البلد الذى اراد ه الصهاينة . عرض « هيرتسل » ما اعتبره صفقة ملائمة وهى « ان اليهود سيصبحون ، مقابل فلسطين ، حلفاءه وكحلفائه سيقدمون له العون » . في عام ١٨٨١ بلغت ديون الامبراطورية العثمانية حوالي ١٠٦ ملايين جنيه . واليهود هم الوحيدون القادرون على تحرير السلطان من هذا الوضع المهين . ثم ان الصحافة اليهودية ستحسن سمعة العثمانيين التى شوهتها المذابح التى قاموا بها ضد الأرمن . وإذا استقر المستوطنون اليهود الموالون للسلطان فى فلسطين امكنهم ان يساعدوه فى حل الخلاف المحتمل مع العرب .

سارت الأمور فى القسطنطينية على عكس ما يتمنى « هيرتسل » . فقد رد السلطان عبد الحميد على مشروعه قائلا : « اننى لا استطيع أن أبيع قدماً واحدة من البلد لأنه ليس ملكي بل ملك شعبي . لقد ربح هذه الامبراطوريةوغذاها بدمه . وسنغطيها مرة اخرى بدمائنا قبل أن نسمح بتمزيقها ، يستطيع اليهود ان يوفروا ملايينهم . حين تقسم الامبراطورية قد ياخذون فلسطين مقابل لا شيء » .

استطاعت الصهيونية أن تقلب الحقائق وأن تقدمها للعالم بالقالب الذي تراه مناسباً لتحقيق أغراضها

اصبحت الصهيونية قوة بعد نشر كتاب « دولة اليهود » وفى عام ١٨٩٧ عقد في «بازل» اول مؤتمر صهيوني نظم الحركة . ثم عقد المؤتمر الثاني عام ١٨٩٨ فاسس مصرفا (صندوق الاستعمار اليهودى) لشراء الاراضي فى فلسطين . بيد ان القضية كلها متوقفة على إيجاد جبهة تتبنى المشروع . اتصل « هيرتسل » بالسلطات الالمانية . ونشرت فى الصحف مقالات تدعو الى اقامة مستعمرة يهودية فى الشرق الأوسط تحت الرعاية الألمانية . وارسلت نسخ من هذه المقالاتالى الحكومة الالمانية وإلى القيصر .

ساعد هيرتسل اثنان من الحلفاء الألمان ، اولهما دوق بادن الكبير . قال له هيرتسل: «نحتاج الى حام ، والحماية الالمانية يرحب بها أكثر من غيرها » . والثاني هو السفير «يولنبيرغ» . قال له: « إن حركتنا موجودة واننى اتوقع أن تؤيدها احدى الدول الكبرى . فكرت أولا فى انجلترا ، وذلك أمر طبيعي ، ولكننى أكون مسروراً لو كانت المانيا »

كان القيصر حذراً ، فقد كان جزءا من خطته الخاصة العظيمة أن يجعل الامبراطورية العثمانية لألمانيا ما يعادل الهند لبريطانيا » . فقد زاد عدد سكان المانيا ثمانية عشر مليونا منذ الحرب مع فرنسا ، والاتها الصناعية التى تنمو بسرعة بحاجة الى المواد الخام .ولا شك فى ان المانيا ستحصل على فوائد اخرى كصديقة للسلطان لا كعدوة له .

كانت بريطانيا اكثر من يربح من جنازة الامبراطورية العثمانية « ان فلسطين تحمي الناحية الشرقية من القناة التى عارضها « بالمرستون » ثم اصبحت شريان الامبراطورية (قناة السويس) لذلك فان فلسطين يهودية معتمدة على بريطانيا تكون قوة موازية لاطماع فرنسا وروسيا فى شرقي المتوسط » .

لقد استطاعت الصهيونية من خلال التصريح والتصميم ان تقلب الحقائق وتقدمها للعالم بالقالب الذى تراه مناسباً . وكان يمكن لقيمة الكتاب ان تغنى لو ان المؤلف القى مزيداً من الضوء وقدم تحليلا للعقلية التى يمثلها « هيرتسل » واتباعه .

لقد وقف « هيرتسل » ضد الديمقراطية وقوفه ضد الاشتراكية ، فهى ، كالاشتراكية نقيض النظام الارستقراطي الذى يدعو اليه . فى العشرين من حزيران ١٨٩٥ كتب فى مذكراته : « أن الديمقراطية لا تعدو كونها هراء سياسياً يصل اليه ويقرره غوغاء الناس فى حماة الثورة » . كما لم يشر المؤلف الى الدور الذى لعبته القوى الامبريالية فى اقامة الكيان الصهيوني .

ليس ثمة شك فى ان كتاب « تاريخ الشرق الأوسط الحديث : معبد جانوس» من اكثر الكتب الجادة التى صدرت فى الغرب خلال السنوات العشر الماضية والتى تتسم بالصدق والأمانة العلمية . لذا وجب تقديم الشكر للمؤلف (بزموند ستيورت) والناشر (دار النهار) والمترجم (زهدى جار الله) الذى بذل جهداً رائعاً فى نقله الى لغة عربية سلسة انيقة ومعبرة .

الأسلحة الجرثومية والعدو الصهيوني

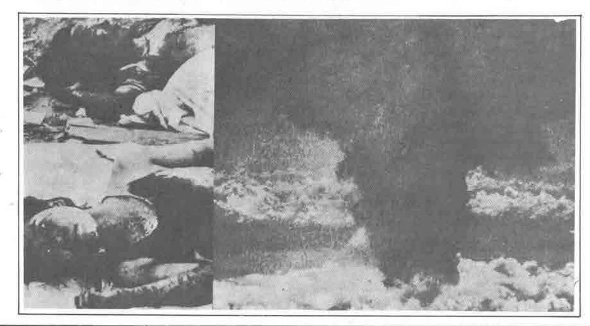
محمود شيت خطاب

بالرغم من أن السلاح الجرثومي لم يجرب بعد في الحرب . وتاثيره لايزال موضع حدس وتخمين .. فان خير ضمان لمواجهة احتمال استخدام العدو له ، هو الاستعداد له استعداداً تاماً هذا الاستعداد لا يحبط تأثيره المتوقع من العدو فقط . وإنما سوف يحمله على صرف النظر عن استخدامه في الحرب نهائياً .

نقصد بالأسلحة الجرثومية ، بعض الكائنات الحية أو سمومها التي تستخدم لاشاعة المرض أو الموت في القوى البشرية للعدو ، بحيث يصاب بالشلل في طاقاته وإرادته على القتال ، فيتوقف عن الحرب ويتجه نحو الاستسلام .

او تستخدم تلك الكائنات الحية او سمومها لاتلاف حيوانات العدو ومحاصيله الزراعية ، وهي التي يستفيد منها في تموين قواته المحاربة وغير المحاربة بالطعام ، فلا يقوى على الاستمرار في الحرب ، وتنهار معنوياته ، لأن الجائع لا يصبر على القتال .

وتلك الكائنات الحية قد تكون جراثيم مختلفة الأنواع ، أو حشرات وطفيليات ، وكل هذه موجودة في محيطنا في كل ناحية من انحاء العالم بكثرة هائلة ، ولكن محاولة الاستفادة منها في أنواعها





الضارة او سمومها ، لأحداث المرض او الموت ، او لاتلاف موارد العيش للانسان يجعل منها سلاحا فتاكا لأحداث المرض والموت تحقيقا لأغراض عسكرية عند الحاجة .

من التاريخ

لقد استعان الانسان بالأسلحة الوبائية فى الحروب على النطاقين الفردى والجماعى ، وهذه الحرب تحتل مكانا فى تاريخ البشر العسكرى .

وبالأمكان ذكر امثلة لا تعد ولا تحصى ، ولكن ذلك يخرجنا عن موضوعنا الأصلى ، ويكفى ان نذكر ان وباء الطاعون الذى اجتاح اوروبا فى العصور الوسطى وقضى على خمسة وعشرين مليونا من البشر خلال سنتى ١٣٤٨ ـ ١٣٥٠م ، وهو ما يكون نصف تعداد العالم حينذاك ، نتج عن القاء جثث المرضى من فوق حوائط سوق الجنويين فى (كفا) التى تسمى اليوم (فيودوزى) على البحر الأسود فى اثناء محاصرة المغول لها ، وعند عودة الجنويين الى اوروبا وصل الطاعون معهم فى تشرين الأول من سنة ١٣٤٧م .

وفى النطاق الفردى ، فالتاريخ حافل باستخدام السم بانواعه للقضاء على الأعداء غدراً وكان سم الزرنيخ هو الشائع . واستخدمته تلك اليهودية فى تسميم شاه قدمت فى وليمة لهدف تسميم النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضى الله عنه واحد الصحابة ، وبالفعل مات الصحابى الجليل مسموما ، كما تتحدث عن ذلك كتب السيرة النبوية المطهرة والمصادر التاريخية المعتمدة .

وقد تعهد الموقعون على اتفاقية جنيف سنة ١٩٢٥م ، بعدم استعمال السلاح الجرثومى فى الحرب ، وهو لم يستعمل فى اية حرب حتى الآن بصورة مكشوفة .

غير أن تاريخ الحروب يعلمنا أن الأعداء فى الحرب قد يلجاون الى استخدام اى سلاح ، وإن كان محرما ، إذا وجدوا فيه فائدة لهم فى تحقيق اهدافهم ، لا سيما إذا علموا ان خصومهم ليسوا على استعداد لمواجهة هذا السلاح والرد عليه بالمثل .

والعدو الصهيونى بما عرف عنه من خداع وعدم التزام بالعهود والمواثيق وبمقررات الهيئات الدولية واتخاذ كل وسيلة تؤدى به الى النصر باى واسطة وشكل واسلوب ، لا يتورع عن استخدام السلاح الجرثومى ، إذا اعتقد انه سيساعده فى معركة الحياة او الموت التى يخوضها فى صراعه المرير على الأمة العربية .

وقد ترددت انباء كثيرة عن استعانة هذا العدو منذ اكثر من ثلاثين سنة بالعلماء الألمان والفرنسيين والبريطانيين والأمريكان وغيرهم ، فى نشاطه المتصاعد العلمى الخاص بالحرب الجرثومية ، وهذا دليل على أن هذا العدو يعمل فى مجال الحرب الجرثومية استعدادا لاستعمالها على العرب فى المستقبل إذا احتاج الأمر .

ورغم أن السلاح الجرثومى لم يجرب فى الحرب بعد ، وتاثيره لا يزال موضع حدس وتخمين ، فان خير ضمان لمواجهة احتمال استخدام العدو له ، هو الاستعداد له استعدادا تاما .

إن هذا الاستعداد لا يساعد العرب على مواجهة سلاح العدو الصهيونى الجرثومى فحسب ، واحباط تاثيره المتوقع ، بل يحمله على صرف النظر عن استخدامه فى الحرب نهائيا .

ان السلاح الجرثومى هو سلاح هجومى كما هو معروف ، وهو احد اسلحة التدمير الشامل الأربعة المعروفة فى الوقت الحاضر : الأسلحة النووية ، والأسلحة الاشعاعية ، والأسلحة الكيمياوية ، والأسلحة الجرثومية .

ونعود الى تفصيل هذه الاسلحة ، بعد ان فصلنا الأسلحة النووية ، فى مجال التوعية العسكرية ، بعد التركيز على العدو الصهيونى بالذات .

وإذا تدارسنا طبيعة السلاح الجرثومى وخواصه ، لوجدنا انه يستخدم على المدنيين فى المدن والمناطق الماهولة ، أكثر من استخدامه على القوات المسلحة فى الميدان .

إن الجراثيم كائنات صغيرة وضعيفة تتعرض بسهولة الى الموت بالضوء والحرارة والرياح ، فاذا استخدمت على القوات المسلحة فى الميدان ، فان حرارة الجو واشعة الشمس (وخاصة البنفسجية منها) تقضى على كثير منها . كما ان الرياح تعمل على تشتيت الغيوم الجرثومية ، وقد تحملها بعيداً عن منطقة الهدف .

وإذا علمنا ايضا ، ان انفجار القنابل الحاوية على الجراثيم ، تقضى على قسم كبير منها ، ادركنا أن ما تبقى منها لا يؤثر فى القوات المحاربة تاثيراً كبيراً ، خاصة وان هذه القوات تكون منتشرة فى مناطق واسعة وليست محتشدة فى مكان ضيق ، ويزود افرادها عادة باقنعة الوقاية التى تحول دون دخول الجراثيم الى داخل الجسم عن طريق الفم أو الأنف . وينبغى الا ننسى ايضا ، ان القوة البدنية والصحة العامة لأفراد القوات المسلحة هى نسبيا افضل من سائر افراد الشعب ، ونتيجة لذلك تكون مناعتهم من الأمراض التى تسببها الاسلحة الجرثومية اكثر من مناعة غيرهم من افراد الشعب .

هذه الحقائق تقودنا الى أن نستنتج أن العدو الصهيونى إذا استخدم السلاح الجرثومى ضد العرب ، فانه سيهاجم بها المدن العربية والمناطق الآهلة بالسكان ، ليلوث بالجراثيم المناطق العربية المزدحمة بالسكان المدنيين ، بالاضافة الى انتقال العدوى لهؤلاء عن طريق الجنود المصابين .

ومن البديهى أن العدو الصهيونى يستخدم السلاح الجرثومى ضمن خطة سوقية (استراتيجية) عامة ، تنطوى على استخدام اسلحته كافة ذات التدمير الشامل مع قواته البرية والبحرية والجوية . ومن المحتمل جدا ان يستخدم سلاحه الجرثومى فى الهجوم على احدى الأقطار المجاورة له ، ولا يستخدمه ضد سكان المناطق التى يستهدف احتلالها .

الأسلحة الجرثومية والعدو الصهيوني

اغراض العدو الصهيونى

يتضح مما تقدم ، ان الاغراض التى يسعى العدو الصهيونى الى تحقيقها من استخدام السلاح الجرثومى ، هى اغراض (سوقية) وليست اغراضاً (تعبوية) .

وتتلخص اغراضه ، بتدمير القوى البشرية العربية وراء خطوط القتال ، لجعلها عاجزة عن العمل ، الأمر الذى يساعده فى القضاء على التفوق العددى العربى بصورة غير مباشرة .

ومن اغراضه ، اشغال الحكومات العربية بالمشاكل الناجمة عن كثرة المرضى بين أفراد الشعب ، وبالتدابير المقتضى اتخاذها لمعالجتهم ، ولمكافحة الأمراض والاوبئة ليس فى صفوف أفراد الشعب وحسب ، بل وفى الحيوانات والمزروعات ايضاً .

ومن اغراضه ، اضعاف معنويات الشعوب العربية ، وتقليل مقاومتها للعدوان الصهيونى ، وحمل الحكومات نتيجة لذلك على الاستسلام والخضوع لمشيئة العدو .

وسيسعى العدو الصهيونى طبعاً ، الى تحقيق هذه الأهداف فى البلاد المجاورة لها ، غير انه لا يستبعد ان يهاجم بسلاحه الجرثومى بعض الدول العربية غير المجاورة له ايضاً .

نوع السلاح الجرثومى الممكن استخدامه

يمكن ان يستخدم العدو الصهيونى نوعين من الأسلحة الجرثومية .

أما النوع الأول ، فهو قليل العدد للغاية ، وكله من الجراثيم التى لها قابلية على الراحة والسبات مدة من الزمن ، ثم الرجوع بعدئذ الى حالة النمو الطبيعية عندما تسمح له الظروف بذلك ومن امثلة هذا النوع ، الجراثيم التى تسبب أمراض الجمرة والكزاز .

والنوع الثانى ، عبارة عن انواع الجراثيم الاخرى ، التى تموت بسرعة فى الظروف غير الملائمة لها ، كالضوء والحرارة والجفاف ... الخ ...

ومن هذا النوع ، الجراثيم التى تسبب الهيضة والطاعون والخناق والتهاب الأمعاء ، ومنها ايضاً الجراثيم التى تسبب امراض داء الكلب والحمى الصفراء والزكام الوبائى بانواعه واشكاله المختلفة .

ويطلق على النوع الأول : العوامل الثابتة ، وعلى النوع الثانى : العوامل غير الثابتة ومن المحتمل ان يستخدم العدو الصهيونى كلا النوعين عند الحاجة ، ولكن الارجح ان يستخدم النوع الاول صيفاً ، وفى الأيام والمناطق التى لا تصلح لاستخدام العوامل غير الثابتة . وفى وسعه طبعاً ان يستخدم الحشرات وما يشابهها كناقلات للمرض ، وذلك لمهاجمة الأغذية والنباتات بصورة مباشرة ، أو لمهاجمة الانسان بصورة غير مباشرة ، مثال ذلك القمل الذى ينقل كثيراً من الأمراض والبعوض الناقل للحمى .

غير أن استخدام الحشرات ، يقتصر على العمليات التخريبية التى تجرى بنطاق محدود ، فهى لذلك لا تشكل خطراً كبيراً على البلاد العربية .

ومن الواضح ان أكثر الأسلحة الجرثومية تأثيراً من الوجهة العسكرية ، هى تلك التى تحدث الموت أو العجز بوقت قصير .

على أن الجيوش تميل من جهة اخرى الى استخدام الأسلحة الجرثومية التى تحدث وفيات قليلة ، لكنها تسبب المرض والتعب والعجز مدة طويلة ، وهذه الجراثيم يمكن الشفاء منها شفاء تاماً فى اغلب الأحيان ، إلا أن ذلك لا يتم إلا بعد مرور وقت طويل ، حيث يتسنى للعدو خلاله ان يحقق هدفه العسكرى الذى استخدم السلاح الجرثومى من اجله .

تلك هى أهم انواع الأسلحة الجرثومية ، وأهم عواقبها المرتقبة .

وسائط نقل الأسلحة الجرثومية الى أهدافها

يمكن ايصال الأسلحة الجرثومية الى اهدافها بثلاث طرق رئيسية : بقنابل تفجر فى الجو اولا ، وبنشرها من الطائرات كسائل ثانيا ، أو بالتخريب ثالثاً .

ومن المحتمل أن يستخدم العدو الصهيونى الطريقة الأولى ، إذا هوجمت البلاد العربية بالأسلحة الجرثومية ، فهى افضل الوسائل واسهلها لمهاجمة السكان المدنيين .

أما طريقة النشر من الجو ، فيمكن أن يستعين بها العدو الصهيونى فى الهجوم على المدن العربية القريبة من حدوده ، وذلك بارسال طائرة منفردة ليلا او نهاراً إن امكن ، تطير بارتفاع واطىء ، وتنشر الجراثيم بعلب تحتوى على سائلها ، تفتح بمجرد وصولها الى الارض .

أما أسلوب التخريب ، فانه يستعمل لنشر الجراثيم بشكل محدود ، وعلى أهداف معينة ، فقد يستفيد العدو الصهيونى من وكلائه لتلويث مياه الشرب ، أو المواد الغذائية ، أو المحاصيل الزراعية ، أو الحيوانات الأليفة .

ولا شك فى ان تلويث مياه الشرب هو اخطر عمليات التخريب الجرثومى ، إذ ان انتشار المرض بهذه الطريقة ، يكون بصورة أوسع من انتشاره بالطرق الأخرى . ولكن عملية تخريب كهذه ، ليست من السهولة كما تبدو للبعض ، فان محاولة تلويث خزانات المياه بالجراثيم من الصعوبة بمكان فى الحرب فهذه الخزانات توضع تحت حراسة مشددة عادة ، وترسل نماذج من مياهها الى المختبرات يومياً لغرض فحصها .

وإذا اكتشفت فيها الجراثيم امكن ابادتها بزيادة مقدار المواد المعقمة كالكلور الذى يستعمل عادة لتعقيم المياه فى الخزانات ثم ان نقل الأسلحة الجرثومية من العدو

الصهيونى الى بلد عربى ، أمر على غاية الصعوبة والخطورة ، ومع هذا يجب وضعه فى الحسبان .

الجدرى كسلاح جرثومى

أعلنت منظمة الصحة العالمية عن اجتثاث مرض الجدرى واختفاء جرثومته فى العالم فى شهر ايار من سنة ١٩٨٠م .

ولكن اختفاء هذا المرض من العالم ، يطرح قضية خطيرة اخرى ، هى امكانية امتلاكه وتخزينه ، إذ يمكن انتاجه بسهولة وبكميات وافرة ، بانشاء مزارع فى المختبرات بأى مكان وبكلفة ضئيلة ، فالتجهيزات اللازمة بسيطة ورخيصة وسهلة الاعداد ، كما أن نقله سهل للغاية

لهذا فمن الحكمة اعتبار الجدرى السلاح الجرثومى المحتمل ، لأن تحضيره يسير ، واخفاءه مضمون ، والاصابة به يمكن أن تتم عن طريق نشره من الجو اثناء عملية حربية ، كما يمكن نشره بالاحتكاك المباشر مع أدوات ملوثة.

اما تحصين الأشخاص المكلفين بنقله الى اهدافه ، فهو سهل ميسور جداً ، ويتجاوز معدل الوفيات به هى ٢٥٪ ، وتدوم العدوى عن طريق المرضى حتى موتهم ، وتستمر بعد الموت عن طريق الثياب واسرة النوم وغيرها .

والحماية الوحيدة منه تتم عن طريق التحصين المسبق الذى يعتبر الوسيلة الوحيدة ذات الفعالية فى الحرب الجرثومية .

وبما أن الجدرى يصبح عديم التأثير فى حالة الحصانة ضد المرض ، فانه يصبح بدون نقاش السلاح المفضل عند اهمال التحصين وزوال مناعته .

وحتى لا يلدغ العرب من هذه الجحر مرتين ، عليهم الانتباه الى ذلك والحذر واليقظة .

الدفاع ضد الأسلحة الجرثومية

أصعب مشكلة فى الدفاع ضد الاسلحة الجرثومية ، هى الكشف عنها فى حينه وبسرعة ودون تأخير .

فالجراثيم الدقيقة لا يمكن اكتشافها بالحواس البشرية المجردة ، فلا يمكن رؤيتها ولا شمها ولا تذوقها ، كما أنها لا تتفاعل مع أى من المواد أو العوامل الكيمياوية .

وما من طريقة لاكتشاف هجوم العدو بالسلاح الجرثومى ، إلا بفحص نموذج من الهواء أو الماء أو المادة التى يشتبه بوجود الجراثيم فيها بالمجهر ، وهذه العملية تتطلب محللا جرثوميا مدرباً ، وتستغرق بضعة ايام ، وذلك لأن الجراثيم الموجودة فى النموذج ، يجب ان تنمو فى ظروف مناسبة ، لكى يصبح بالأمكان تشخيصها .

ومما يساعد على كشف الجراثيم بسرعة وسهولة ، اخبار الأهلين عن اى مرض مفاجىء وغريب يظهر بينهم . او عن اية طائرة منفردة يرونها تنشر مادة غريبة ، او سقوط قنبلة منفردة . او عن اى مرض غير اعتيادى يظهر بين الحيوانات والمواشى .

في وسع المسئولين عن مراقبة الأسلحة الجرثومية أن يميزوا غيومها ذات الرذاذ

وفى وسع المسئولين عن مراقبة الأسلحة الجرثومية ، ان يميزوا غيومها التى تشبه الضباب او الرذاذ ، ولكن هذه قد تكون غازا كيمياويا او جرثوميا ، فاذا وجدوا بعد الاختبارات الكيمياوية ان محتوياتها ليست كيمياويا ، فحسب أن يفترضوا أنها جرثومية .

أما وسائل الدفاع ضد الأسلحة الجرثومية فى الحرب ، فهى ليست سراً من الأسرار ، بل هى معروفة فى جميع انحاء العالم منذ ان اكتشفت الجراثيم وهى نفس التدابير التى تتخذها عادة فى زمن السلم للوقاية من الأمراض ولمعالجتها ، ولمكافحة الجراثيم والحشرات الضارة بالانسان والحيوان والنبات .

غير ان التدابير التى تتخذ ضد السلاح الجرثومى فى الحرب ، قد تكون على نطاق أوسع كثيراً من التدابير التى تتخذ ضد الأمراض فى السلم ، كما يقتضى اتخاذها فى وقت عصيب ، تكون فيه الخدمات الطبية للدولة مرهقة بالعمل ، وقد استنزفت قواها الخسائر التى يحتمل حدوثها فى القوات المسلحة والمدنيين من جراء اسلحة العدو الاخرى

وهنا ينبغى ان نشدد على واجب الحكومات العربية فى التدابير الدفاعية ضد الأسلحة الجرثومية .

أولا ــ توعية افراد الشعب حول الحرب الجرثومية ، التى قد يلجأ اليها العدو الصهيونى فى الحرب ، وتدريبهم على وسائل الرقابة الفردية ضد الأسلحة الجرثومية ، وعلى واجباتهم ومسئولياتهم بشأن وسائل الرقابة الجماعية ، وتهيئة كل ما يحتاج اليه المواطنون من وسائل الرقابة الفردية كالأقنعة والحبوب ومواد التطهير ... الخ

ثانياً ــ اعداد الخدمات الطبية وتدريبها على وسائل الوقاية الجماعية من الاسلحة الجرثومية التى يمكن أن تستخدم فى الحرب ،وعلى طرق معالجة الأمراض التى تسببها ، واعداد كل ما تحتاج اليه هذه الخدمات من وسائل الكشف على الاسلحة الجرثومية ووسائل الرقابة والمعالجة منها ، كالمصول الواقية والمضادة ، والمواد المبيدة للجراثيم والحشرات ... الخ .

ثالثاً ــ اعداد منظمة الدفاع المدنى لواجب الدفاع ضد الأسلحة الجرثومية فى الحرب ، وتيسير كل ما تحتاج اليه من الوسائل والمعدات والتجهيزات والمواد اللازمة لأغراض الدفاع ، ولأغراض التطهير والتعقيم .

رابعاً ــ اعداد الخدمات البيطرية والزراعية المدربة على وسائل وقاية الحيوانات والنباتات ، من الأسلحة الجرثومية التى قد يستخدمها العدو ضدها .

انه ليس بعيداً على العدو الصهيونى ان يستعمل أى سلاح يؤثر فى مقاومة العرب ومعنوياتهم .

ولا يجدى العرب غير الحذر واليقظة ، واتخاذ لكل أمر عدته قبل وقت مبكر من وقوعه ، فذلك وحده يصونهم من الأخطار

وصدق الله العظيم (وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً) .

محمود شيت خطاب ــ بغداد .

وليـــد عيـــاد

الطاقة الذرّيـة والذهب الأخضر

كتب «جون فورسيت» قصة خيالية اسمها «معادلة الشيطان» تحكي كيف تقوم روسيا بشن حرب ذرية على العالم الغربي لانه منع عنها تصدير الحبوب . وهذه القصة تكاد تكون واقعية لاهمية هذه المادة في ايامنا هذه والايام المقبلة ، وقد اثبتت الاحصائيات والدراسات العلمية ان الحبوب هي من احدى القوى التى تحكم وستحكم العالم في السنوات المقبلة .

فى ايامنا هذه تعتبر الطاقة الذرية اكبر قوة جبارة في بناء العالم أو تدميره والذهب الاسود هو القوة الثانية ، وأما الذهب الاخضر «القمح» ، «الذرة وفول الصويا» فهو القوة الثالثة التي ستحكم العالم في السنوات المقبلة .

لقد بدات زراعة القمح والصويا منذ آلاف السنين في اسيا ، بلاد ما بين النهرين وسهول حوران ومرج ابن عامر في فلسطين المحتلة منذ بدء معرفة الانسان بالزراعة وانتقلت الى العالم الجديد منذ ما يقارب الاربعة قرون واصبحت الولايات المتحدة تتصدر دول العالم فى تجارة الذهب الاخضر فهي تنتج ثلثي قمح العالم ونصف انتاج العالم من الذرة و ٩٥٪ من الصويا اي ما يعادل ٨٠٪ من انتاج العالم الكلي لهذه المواد الغذائية ، وفي مناسبة زيارة وزير الزراعة الامريكي لرومانيا قال له الوزير الروماني «ان الولايات المتحدة تملك طاقة اكثر فعالية وأهمية من الطاقة الذرية »

فنظر اليه الوزير الامريكي مستغربا وساله «وما هي ؟» فاجابه الوزير الروماني «انها زيت الصويا» وقد حاولت روسيا ان تدخل السباق في زراعة الذهب الاخضر ولكن تصلب سياسة الحزب الاوحد ورفضه تفهم نفسية الانسان الانانية اجبرتهم على البقاء في المؤخرة حيث حاول شاب روسي يدعى «ايفان خودنكو» ان يطبق نظريته البسيطة الا وهي ان تعود ارباح المزارعين الى المزارعين انفسهم وطلب ايامها من «خرتشوف» مجموعة من المزارعين بارض في «كازستان» وتراكتورات ووافق خرتشـــوف . ومع مرور عام نجحت النظرية وكانت ــ النتيجة ان هذه



● القمح اكثر فعالية واهمية من الطاقة الذرية



● الغاز والنفط فى حالة الاحتراق الى أن تزول جميع الشوائب ويصبح البئر منتجاً وبصورة متعادلة

المجموعة من المزارعين انتجت ٤٠٠ ٪ اكثر من مجموعة اخري مكونة من نفس العدد ونفس التركتورات وقطعة ارض مشابهة اي أن «٧» ملايين مزارع روسي يقومون بنفس عمل «٣٥» مليون مزارع ولذا سيكون هناك «٢٨» مليون مزارع عاطل عن العمل وهو عدد هائل من العاطلين .. ولذا رفضت النظرية ، واحتج «ايفان» وكان السجن نتيجة احتجاجه وتوفي في السجن سنة ١٩٧٤ ولايزال حتى اليوم انتاج المزارع الروسي يكفي لاشباع خمسة اشخاص بينما انتاج مزارع امريكي يكفي لاشباع خمسين شخصاً . واما الصين وقد اعطت الموضوع اهمية اولية فقد قامت بتجنيد ٧٦ ٪ من طاقتها البشرية للزراعة والمتتبع لاخبار الصحف يري كيف أن امريكا تهدد بسلاح الذهب الأخضر وتمنع التصدير عن اية دولة تخرج من دائرة نفوذها او تقوم بعمل يغضب الحكومة الأمريكية كما حدث مع روسيا وكوبا وايران .حيث أن روسيا تستورد ما يقارب «٣٠» مليوز طناً من الحبوب سنويا . وبارتفاع سعر الذهب الأسود يرتفع معه سعر الذهب الأخضر كبقية المواد الأخرى ففى سنة ١٩٧٨ ارتفع سعر الذهب الأخضر بمقدار «١٨٦» دولار للطن الواحد اى بزيادة قدرها ٣٥ دولاراً وقد حدث ذلك فى غضون أيام

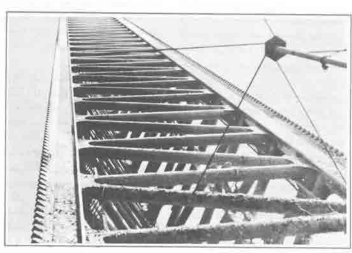
وكادت تلك الزيادة الهائلة والمفاجئة لهذه المادة الأساسية ان تحدث كارثة دولية ومجاعات فى اجزاء كثيرة من العالم الثالث والعالمين الرابع والخامس .. وما اجدر بدولنا العربية أن تنتبه لهذه المادة الأساسية حيث أن سياسة بسيطة فى عمل السدود ودراسات جيولوجية وعلمية للاتربة والأسمدة واستصلاح الصحارى التى تمثل القاسم المشترك الأعظم لخارطة أمتنا العربية تمكننا من امتلاك الطاقة الثالثة وهذا إذا قمنا باستغلال عائدات الذهب الأسود وعلى الوجه السليم لزراعة الذهب الأخضر لأن دول العالم المتقدمة علمياً تقوم الآن بدراسة جدية كبديل للنفط الا وهو الـ «ايثانول» وهو كحول الذهب الأخضر «سائل يستخرج من الذرة والصويا» وذلك فى حالة ارتفاع سعر الذهب الأسود الى ٥٠ دولاراً للبرميل فعندها ستكون معادلة استخراج وتصنيع الـ «ايثانول» موازية ومساوية اقتصاديا لمعادلة استخراج وتصنيع النفط عندها يأخذ الذهب الأخضر مكانة الذهب الأسود ومباشرة بعد الطاقة الذرية .

فضلاً عن التنظيم

وإذا القينا نظرة الى خارطة العالم البشرية الاستهلاكية وجدنا ان الفلاح الهندى يستهلك ٤٠٠ مرة أقل من نظيره الفلاح الأمريكى . اى ان متطلبات مولود واحد امريكى أكثر خطرا على التوازن الاقتصادى من متطلبات ٤٠٠ مولود هندى او باكستانى ، الموجودين فى الجزء الجنوبى من الكرة الأرضية حيث يعيش هناك ٥ الاف مليون فى فقر مدقع بينما يعيش فى النصف الشمالى ٥٠٠ مليون برفاهية ونعيم . علما بان انتاج الجزء الشمالى يعادل ٧٥٪ من اجمالى انتاج العالم .

انتاج الحبوب يعتمد «بالاضافة الى التنظيم» على حالة الطقس فاذا هطلت امطار غزيرة فى موعدها او فى غير موعدها على منطقة مزروعة بالذهب الأخضر او اذا انخفضت درجة الحرارة الى ما تحت الصفر او عدم هبوط المطر او العواصف الثلجية كل هذه عوامل تؤدى الى حدوث كوارث على بني الانسان . فان معدل الوفيات هو ١٠,٠٠٠ انسان يومياً فى العالم من الجوع وجميعهم فى الجزء الجنوبى من الكرة الأرضية علماً بان ٥٠٪ من سكان الأرض يعتمدون على الحبوب كغذاء رئيسي .

ومع كل ذلك نرى أن العالم انفق فى عام ١٩٨٠ ما يقارب «٥٠٠» الف مليون دولار على التسليح لذا وبعملية حسابية بسيطة نجد ان نصيب كل انسان على وجه الأرض «٥٠» طناً من المتفجرات الفتاكة تقف منتظرة فوق راسه لاشارة او ضغط زر من احد رؤساء الدول الكبرى او اى عامل فنى يعمل فى قاعدات الصواريخ النووية الموجهة والمنتشرة فى الاف القواعد العسكرية فى انحاء الكرة الأرضية . وما اجدر بعالمنا العربى أن يدرك مدى اهمية الذهب الأخضر فيقوم من يحمل زمام المبادرة فيه بوضع خارطة زراعية صناعية «والصناعية هى المكملة للزراعة من تركتورات وجرافات وماكينات حصاده الخ ..... ويقومون بتنفيذ هذه الخارطة الزراعية الصناعية ومباشرتها كي يأخذ عالمنا العربي مكانته بين الأمم ، هذه المكانة التى يستحقها وبكل جدارة لأنه قام يوماً ما «منذ قرون لا يتعدى عددها اصابع اليد الواحدة» قام بحمل الشعلة كاقوى قوة اقتصادية وعسكرية وثقافية وعلمية على وجه الأرض .



● جزء من جهاز حفر (دانا) فى الخليج العربي .

د. محمد على العويني

الإعلام الإسلامي في مواجهة الإعلام الدولي

● هناك نقص في معرفة الشعوب الاسلامية ببعضها البعض .. وهناك أيضاً حصار إعلامي تفرضه الوسائل والأجهزة التابعة للغرب على العالم الاسلامي بالتجاهل أو بالتشويه .. من اجل هذا كانت هذه الدعوة من أجل إعلام اسلامي قوي ●

● يتسم الاعلام الدولي بسوء توزيع مصادر الأنباء في العالم ، إذ انه بفضل الامكانيات الاقتصادية والتقدم التكنولوجي ، والسياسات الخارجية الأكثر نضجاً من غيرها ، والهوة بين الدول المتقدمة والدول النامية ، فقد تمكنت الدول المتقدمة من التحكم في وسائل الاعلام الدولي ، ومنها انشاء الوكالات الدولية للأنباء ، بالاضافة الى الاذاعات الدولية ، والصحف والمجلات المنتشرة على نطاق عالمي ، كما انه باستخدام الأقمار الصناعية امكن ارسال المعلومات في ان واحد مسافات بعيدة ، وبالتالي اصبحت وسائل الاعلام سلاحاً خطيراً في ايدي القوى الكبرى .

اى ان وسائل الاعلام مركزة في الدول المتقدمة ، وأغلبية سكان العالم ومنهم سكان العالم الاسلامي لديهم اقل من الحد الأدنى لامكانية الحصول على المعلومات الاساسية .

جانب غير إسلامي

وإذا كانت هناك دول متقدمة وأخرى متخلفة ، فان الدول المتقدمة تعد في هذا الصدد المتبوعة اعلامياً ، أما الدول المتخلفة ومنها الدول الاسلامية فهي دول تابعة اعلامياً .

وتقوم وسائل الاعلام الدولي وهي وسائل تسيطر عليها دول غير اسلامية تقوم بدور الوسيط بين الدول الاسلامية وبالتالي فهي تخدم في المقام الأول سياسات الدول غير الاسلامية ولا تخدم سياسات الدول الاسلامية .

وبالتالي فهذه الوسائل تغطي قضايا العالم الاسلامي بشكل معين يشوه هذه الدول ، فهي تركز على الانقلابات والأمراض والمجاعات والجفاف والقحط وانماط الزعامة المميزة فتسخر مثلا من عيدي امين الرئيس السابق لأوغندا ، أو وجود بعض العرب من الدول البترولية في أوربا .

وهكذا يتم التدفق الاعلامي الدولي من جانب واحد غير اسلامي ويخدم في المقام الأول سياسات هذا الجانب .

واذا كانت الدول المتقدمة تتوفر فيها الكتب والدوريات والأفـلام وأوراق الطباعة وأجهزة التصوير والورق ، وأجهزة الراديو والتليفزيون ، وأجهزة الارسال والاستقبال وأجهزة الطباعة ، وأجهزة تسجيل الصوت ، والأدوات العلمية والخرائط واللوحات ووسائل التعليم الأخرى ، فان الدول الاسلامية تعتمد اساساً على الاستيراد بالنسبة



لهذه المواد ، أى انها دول تابعة اعلاميا بكافة الأشكال المختلفة .

نقص معرفة الشعوب الاسلامية

وهذا ساهم **أيضا** بالاضافة لعوامل أخرى فى نقص معرفة الشعوب الاسلامية بعضها البعض ، بل ان بعضها يعرف احوال الشعوب غير الاسلامية اكثر من معرفته للشعوب الاسلامية ، بل ان اصطلاحات العالم الاسلامى والأمة الاسلامية وما يتعلق بها اصبحت غير واردة فى وعى الكثير من المسلمين .

وقد انعكست قضية تدفق الاعلام الدولى ، على مناقشات ومداولات المنظمات الدولية ، وذلك بالدعوة الى التدفق الحر للاعلام ، وقد ثبت أن هذه القرارات فضلا عن انها لاتجد القوة الالزامية لتنفيذها فهى تعنى ان الحرية المتعلقة بالتدفق تؤدى الى زيادة تسلط القوى على حساب الضعيف فى الاعلام .

ودعت الدول النامية بعد ذلك الى ما يسمى بالتدفق الحر والمتوازن للاعلام ، بمعنى ان التوازن الحر لا يخل بالتوازن بين الدول الاقوى اعلاميا والدول الضعيفة اعلاميا اى انه حر ومتوازن .

ايا كان الأمر فان هذه القرارات لازالت تمتلك القوة المعنوية ، ولازالت تنقصها القوة الالزامية الفعلية .

وقد سعت الدول الاسلامية مع غيرها من الدول النامية لمواجهة الهوة بينها وبين الدول المتقدمة ، وبالسعى الى ما يسمى النظام الاعلامى الجديد ، وقد بحثت هذه القضية من قبل الدول غير المنحازة ، وكان لتونس دور بارز فيها .

ويلاحظ ان الدول النامية ومنها الدول الاسلامية تحاول بالأمانى والتجمعات ان تقنع الدول المتقدمة بايجاد نظام دولى جديد للاعلام ، يحقق التدفق الحر والمتوازن للاعلام بين الدول ، ويعكس قضايا الدول النامية ، ولا يركز على الجوانب السلبية الخاصة بها ، ولكن استجابة الدول المتقدمة لازالت استجابة غير ايجابية .

تركيز الاعلام الاسلامى

والخلاصة ان التدفق الاعلامى الدولى يعد مظهرا من مظاهر القوة والضعف فى السياسة الدولية ، ويعكس معادلات القوى العالمية بمكوناتها المختلفة ، وبالتالى فاذا ارادت الدول الاسلامية ان تغير من النظام الدولى للاعلام ، فعليها اولا ان تركز على قواها ، وتعيد النظر فيها ، وبالتالى فان اى تغيير فى هذه القوى سينعكس على النظام الاعلامى الدولى ، اما الأمانى والنداءات وابداء النوايا الحسنة فلن تؤدى الى تحقيق مطالب الدول الاسلامية والنامية وهذا هو التحدى العملى الذى يواجه هذه الدول .

اما الصرخات والنداءات وطلب الرحمة وتحقيق التوازن وعقد الاجتماعات لما يسمى بالخبراء فى الدول النامية ، وغالبا ما يتم اختيـــارهم لاعتبارات اخرى ، لتحقيق الخرافة الجديدة التى تسمى «بالنظام الاعلامى الدولى الجديد» ، فلن تنطلى الا على اصحاب النوايا الطيبة ، أو السذج ، فالمطالب لا تنال بالتمنى او النداءات الطيبة أو المخدوعة ، وانما بمواجهة معادلات القوى بما يتمشى معها .. ولكن هل سيعى اصحاب دعوة النظام الاعلامى الدولى الجديد ذلك ؟

د. محمد علي العويني
استاذ مساعد ــ كلية العلوم الادارية والسياسية
جامعة الامارات





لوركا... قيثارة أسبانيا

بقلم الدكتور: كمال نشأت

كان مولد فيدريكو لوركا فى قرية تقع قريبا من غرناطة ، اكمل تعليمه فى جامعة مدريد عام ١٩٢٠ ، فاجيز فى الفلسفة والأدب ، وجمع إلى دراسته وقراءاته الأدبية ولعا بالموسيقى ، فكان عازفاً بارعاً على «البيان» ، كما كان رساماً . كان لوركا صاحب مرح ، يقلد بعض أصدقائه ومعارفه ، فاذا فعل ذلك أشاع جوا من الفكاهة والمرح وكثيرا ما أثار إعجاب هؤلاء الأصدقاء والمعارف حينما كان يغني ويعزف على « البيان » .

تعرف لوركا الى نخبة طيبة من الفنانين الذين كان لهم اثر كبير فى تطوره الشعرى ، منهم الرسام (سلفادور دالى) والأستاذ الجامعى والموسيقى (فرناندو دى لوس ريوس) والمخرج (لويس بو نيوبل) .

ونشر عام ١٩٢١ ديوانه (ديوان شعر) ثم ديوان (ماريانا بينيدا) ، وفى عام ١٩٢٨ اصدر ديوانه المعروف (أغانى الغجر) . وفى عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٠ سافر الى الولايات المتحدة ، وكوبا . وفى علم ١٩٣١ أعلنت الجمهورية فتحول الى المسرح بعد عودته الى اسبانيا ، وكون فرقة مسرحية قدمت عروضها فى امريكا الجنوبية .

يصفه شوينرج بقوله (كان فيد ريكو قبيحا قبحا اجمل بكثير من الجمال المبتذل ، كان مظهره مظهر فلاح اندلسى ، معتدل القامة ، ضخما ، فارها ، ذا عينين سوداوين يشعان ذكاء سريعا ، مشرقا .. كانت تقاطيع وجهه شاحبة ، وتعابيره متغيرة . الشعر فاحم اسود ، والجبين مثقل ، يشع تعاطفا ومرحا ..) .

فى عام ١٩٣٦ ترك لوركا مدريد الى غرناطة ، وكانت الاحوال السياسية مضطربة ، وفى ١٨ اغسطس من نفس السنة ألقى القبض عليه بعض اتباع الجنرال فرانكو (الحرس المدنى) وأعدموه بالرصاص ودفنوه فى قبر مجهول . وأحدث مقتله موجة من السخط فقد احبه الناس وعرف قدره الشعرى المثقفون والأدباء .

روح اسبانيا

إن قيمة شعر لوركا يمكن ان تلخص فى الجملة التالية : (إنه كان الشاعر الذى عبر فى اقتدار عن روح اسبانيا) ... اسبانيا الجمال ، والغجر ، والعنف ، والدم ، والحسية . من هنا كانت هذه القسوة فى صوره الشعرية ، وهى صور تنبع من اللاشعور متخذة طابعا اسبانيا ومن هنا ايضا كانت الخناجر والدم والموت والشهوة المحاور التى دار عليها شعره ، حتى نثره نرى فيه ذلك . يقول (اننى الآن بصدد خلق شعر يسيل كالدم وانت تقطع رسغك ، شعر يكون قد ودع الواقع ، وكتب باحساس يعكس كل حبى للأشياء ، واستمتاعى بها ، حب الموت ،

والمزاح مع الموت ..) .
إن فكرة الموت نسغ من الكآبة الكامنة فى الطبيعة الاسبانية ، ولعل الموت يقف وراء الاهتمام بمشاهدة المصارع والثور حيث يحوم فوق حلبة المصارعة ، وحيث الدم .. دم الثور أو دم المصارع .. من هنا كانت صوره التى تلعب فيها لفظة الدم المحور الرئيسى .. وكذلك الخناجر التى يتمنطق بها الغجر وبها يتقاتلون . يقول لوى بارو (إن الخنجر ليحترق فى يد كل غجرى اصيل ، ويلعب دوراً عظيماً فى اغانى لوركا ومسرحه) . وهو كما يقول لوركا نفسه (الخنجر يضيء الأعماق المروعة) . ويقول (إن لك تلك العاطفة التى تهبها سماء اسبانيا ، عاطفة الخنجر ، والأذن المصغية واللحن الأسي) .

إن إراقة الدم هي جوهر الموت ، وهو جوهر الحياة ، ولوركا (يقيم عمارة غنائية متينة حول رمز الدم ، يستعمل فيها هذا العنصر لا من حيث خصائصه الحياتية فحسب ، بل من حيث خصائصه الجمالية والميتافيزيقية ايضا واحيانا يكون لاستعمال رمز الدم علاقة بلونه لاضفاء صبغة انطباعية على الصورة ..) .

يقول لوركا فى بعض شـــــعره (السكاكين يزينها دم الخصم) و (الدم اللزج ينوح باغنية الأفعى بصمت ..) . على أن هذا العنف ليس بعيداً عن الروح الغجرية الاسبانية انك تراه حتى فى اغانى الأطفال ، وهو ظاهرة موجودة فيها مطردة باستمرار .

تقول احدى هذه الاغانى :

ها هـى الشمعة تضيء طريقك
الى السرير
وها هو حامل الساطور
جاء ليقطع رأسك

وهذه اغنية اخرى تغنيها الأم لطفلها الخطر يتهدد ..

علينا أن نكون أصغر وأصغر ..
فجدران الكوخ تلامسنا ..
إنهم يراقبوننا فى الخارج ..
علينا إن استطعنا ان نعيش فى برتقالة انت وانا .. .

بل الأفضل فى حبة عنب ..
وعندئذ يأتى النوم ..

●●●

إن العنف والشبق يتعانقان فى شعر لوركا خاصة فى ديوانه (اغانى الغجر) الذى ترجم فيه ـ خلال صور منحوتة ـ عن باطن هؤلاء الناس ، إن الرجل من قبائل (الكامبوريو) الغجرية لا يكون رجلاً إلا بخنجره الذى يدافع له عن كرامته وحريته ، ولذلك اعتبر عدم مقاومة «انطونيتو» الكامبوريو رجال الحرس المدنى وخنجره فى يده خيانة لرجولته كغجرى . إن الوثنية البدائية ، والماضى الاسطورى يكشفان عن الدوافع الغريزية بحيث تضعنا أمام الرعب الذى عبر عن نفسه من خلال صور لوركا .. إنها كلها ترجمة عن الأصول الفطرية فى حياة الغجر الذين عاشرهم لوركا ، وتشرب فلسفتهم فى الحياة . من هنا كان اندماج الخرافة والفولكلور فى ديوان (اغانى الغجر) فى وحدة سحرية متخذة طابعاً سرياليا ، وكان الشاعر (دى لاسيرنا) والشاعر (هيراردو دييكو) قد نحتا صوراً عجيبة ، وخاصة هيراردو مثل قوله «ولدت النوارس من المناديل الملوحة بالتوديع فى الموانىء» و «الشوارع فى الليل أطول منها فى النهار» و «من هذه النجمة كما من نافذة مضاءة ، تأتى أنغام كمان» و «إنهم يلبسون السجناء اردية مخططة بأمل انهم لن يفروا وهم يرتدون القضبان» ..

أما لوركا فكان يقول : «إن حبى أشبه بروجي حذاء عتيق» . ولما ضحك أصدقاؤه من هذا التعبير قال : إنها محاولة للجمع بين شيئين كانا ينتميان فى نظر الناس الى عالمين مختلفين .

الحياة أو الموت فى رياضة مصارعة الثيران .. !!











رقصة الفلامنكو

عرس الدم

إن الشهوة والمصير المأساوى الذى يتشكل فى الموت الدامى ، هى المواضيع التى تفرض نفسها على لوركا .. فى شعره الغنائى وفى مسرحه على السواء .. انه يقول فى مسرحية (عرس الدم) :

ليس الاثم علي أنا
إنه على الأرض
وعلى هذا العطر المتضوع
من نهديك ويديك

وفى نفس المسرحية يدور هذا الحوار:

الحطاب الأول :
كان بعض الناس يخدم بعضا
واخيراً كان الدم أقوى منهما كليهما
الحطاب الثالث :
الدم
الحطاب الأول :
علينا أن نتبع سبيل الدم ..

لقد تشرب لوركا سحر الأندلس .. حياة الغجر والغموض والعنف واللون ، وهو فى اغلب صوره يعتمد على الألوان خاصة الأحمر ، والأخضر «وما انت إلا قرنفلة حمراء ممتلئة بالدم» و «ففى كل حبة نجمة مضاءة ، وفى كل غشاء احمر يموت غروب» و «ما طعم فمك هذا الأحمر العطشان» و «نور حاد من الورق ينفذ الى ملامح الفرسان الخضر القاسية» و «دفقة من عروق خضر تنط من حلقها» الخ ..

ربما كان اهتمامه بالرسم وراء الالتفات الى الألوان ويؤكد هذا الاهتمام الوان الجنوب التى تعيش بذاكرته . وحينما يموت صديقه مصارع الثيران المشهور «سانشيث ميثجياس» بطعنات قرنى ثور ، كتب فى رثائه قصيدة من اروع الشعر ، استخدم فيها أدواته القصصية ، واستعمل ايقاع الندبة عند الغجر ، وفى نهاية كل مقطع يردد «فى الخامسة بعد الظهر» وهو ميعاد مصارعة الثيران فى اسبانيا ، واذا بهذه الجملة تتردد بعد كل مقطع من القصيدة أشبه «بنا قوس حزين يقرع وفق ترنيمة رتيبة لقسيس» .

●●●

ومن أبيات القصيدة :

اكناثيو يرتقى النجوم
يحمل الموت على كتفيه
بحث عن الفجر
فوجده قد رحل
إنه يبحث عن صورته الحادة
فيحول الحلم دونه
بحث عن جسده الجميل
فوجد دمه مفتوحاً على سعته
دع القمر يأتى
لأننى لا أريد أن أرى دم اكناثيو على الرمل ..
سيطول الانتظار قبل أن ينجب الزمن
ـ أن أنجب ـ أندلسياً بمثل التماعه
وامتلائه بالجرأة ...
إننى أتغنى بكلمات حداد ..
واتذكر نسمة حزينة سرت
خلال أشجار الزيتون ..

●●●

ونحن نقول : سيطول الزمن حتى يظهر شاعر مثل لوركا ، اجاد عرض روح قومه الظاهرة الخافية ، مستنبطاً ملامحها وتقاليدها وتاريخها المتميز .

د. كمال نشات ـ بغداد

الاحتراق في موسم الرياح

شعر: م. كجراي



اقول لشلة الأحباب لا تاسو
إذا مارن صوت الحزن يقطر من كتاباتي
فان الحزن يوقظني
يلاحقني بلون دغل ماساتي
انا من أمة سكرى بخمر الصبر ،

تخرس صوت آهاتي
وتخنق لي عباراتي
يمر العام تلو العام لا الاحلام تصدق ،
لا ركام الهم يسقط من حساباتي
ويخجلني امتداد الصمت ،
لون الصمت ،
عري الصمت في جدب المسافات
تسائلني عصابات من الشعراء والفقراء ،
عن نار تمد لسانها المسعور فى ساحات لوحاتي
وعن عبق من الكافور
عن قبس على الديجور
كان يضيء فى كل المساحات
وماذا يارفاق الدرب مادامت
تزلزلنا رياح القهر والأحباط فى عقم البدايات
وهانذا كمجذوب يسير على هواه
يجد يظهر فى جموع السفر فى كل القطارات
فياشمسا تغيب هناك بين البرزخ
الممتد فى اقصى المدارات
اتوه أظل أبحث عنك
بين مواكب الدهماء ،
خلف مرافيء الظلماء ،
فوق مجرة الأسماء
لا ألقى سوى صمت يغربل لي عذاباتي
رأيت الليل مسعورا يمزق لي شعاراتي
يقود مظلة الأعصار ، يسخر من معاناتي
وإما لذت بالأحياء يلقينى على أبواب أمواتي
رفعت على ركام الغيب فوق مدارج المجهول راياتي
وهانذا أنوء بصخرتى الصماء
يا « سيزيف » أهدر فى دروب الليل طاقاتي
فيا وطن الضياع المر يا نصلا
يمزقني ويكثر من جراحاتي
متى ينسل موج الضوء يغسل رمل واحاتي ؟؟

أن يكون الحمار دكتورًا .. مشكلة !

حكاية رمزية بقلم : د . الطاهر أحمد مكي

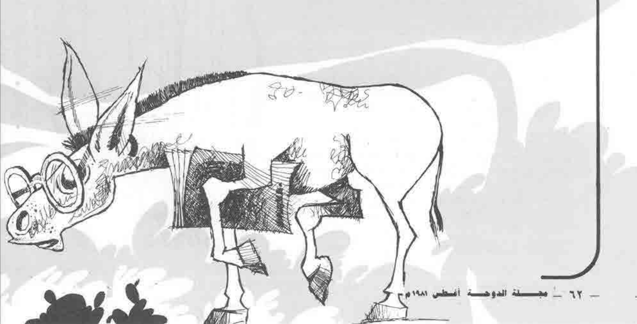
يحكى ان سبعا عجوزا اقعده « الروماتيزم » كان يعيش وحيداً ، معتزلا بقية الحيوانات ، فى عمق كهف غائر ، تحيط به طرفه وكتبه ، يقضى وقته متاملاً : كيف تمضى الحياة ، وكيف يجيء الموت ، هادئ البال ، ولا شيء يزعجه رغم أنه مقعد .

لقد فارق الجانب الأكبر من أصدقائه هذا العالم ، ولا تكاد الأجيال الجديدة تعرف عنه شيئاً ، وتمضى الأيام أسبوعا وراء اسبوع دون ان يتلقى زائراً ، والرفيق الوحيد الذى اثر ان يبقى معه ، وان يؤنسه فى وحدته ، ضبع عجوز ، تخدمه ، وتساعده ، تطبخ له ، وتقوم على شئونه ، وتقول عنه : إنه عاد خرفا لا يعي ما يقول .

والحق ان الرعية فى الغابة ملته ، وسئمت احاديثه ، فلم يبق فيها نمر أرقط ، ولا ثعبان زاحف ، ولا جرو أسد ، ولا ثعلب محتال ، ولاحتى ابن آوى ، فى كل المنطقة التى تحيطبه ، إلا وسمع منه للمرة العشرين بعد الألف ، تاريخه فى الصيد والقنص ، والاعداد للحرب ، والانتصار على العدو ، ومع ذلك فالذين حوله لا يسره رأيهم فيه ، رغم موافقتهم له ، وبشاشتهم فى مواجهته ، فهم يرونه اخبث سبع عرفته المنطقة ، يراوغ ولا يواجه ، ويتسرب إلى اهدافه خفية كالميكروب ، ويكذب على الجميع وهو يدعو إلى الصدق ، ويعيش فى الوحل ويبشر بالطهر ، ويتظاهر بالعفة ويلتهم فى السر غذاء الأرامل والأيامى والضعفاء ، يرتدى مسوح الزاهد ثم يكنز الذهب والفضة ، يبشر بالقناعة ولا يتوقف عن التهام المزيد من الثروات ، وحوله يلتقى المنافقون والانتهازيون والسماسرة ...

ولكن السبع لم يكن خرفا ولا هتارا كما تقول عنه الضبع ، وإنما أصيب بما يصاب به الكهول عادة ، حين يعجزون عن الفعل ، وتخلو ايديهم من القوة ، فلا يبقى فيهم نشطا غير اللسان ، فيكثرون من التشدق بانعمهم على قومهم فى كل مناسبة ، وحتى دون مناسبة ، والتذكير بمآثرهم وبطولاتهم فى سالف الزمان ، وفائت العصر والاوان ، وأدرك الأسد واعياً ان رعيته ملت قوله هذا ودعاواه ، فهو يريحها من حين لآخر ، يتخلى عنها ، ويذهب الى خلوته ، يقرأ المؤلفين الكبار ، ويستمتع بالأعمال الفكرية الخالدة ، فاذا شرده فكره ، وذهل عما حوله ، استسلم لخياله ، وامضى لحظاته وحيداً يتفلسف .

وفى لحظة وجد سمع طرقا بالباب ، فامتلأ فضولا ، وفاض به الأمل ، واخذ طريقه الى الباب مبتهجا ، فمنذ ايام طويلة لم يزره احد ، وأسرع يتوكأ على عصاه ، يحاول ان يخفى ضعفه ، وان يكتم عرجه ، فلما فتح الباب وجد الحمار واقفا فى مواجهته ، فاخفى جاهداً مظاهر الخيبة والألم ، تصور الزائر شخصية مهمة فوجده حمارا ، ولاذ بالصبر على كره منه ، فعندما يصبح المرء كهلا ، يثقل حديثه ، ويمل الآخرون مجلسه ، وتمسك المخلوقات عن زيارته ، ولا يبقى له منها إلا القليل ، وعليه الا يبالغ فيما يتمنى ويطلب . واخيرا هو حمار ، مثل أى حمار آخر ، له اذنان كبيران قادران على السماع طويلا ، وصوت اجش قادر على



الاسماء بعيداً ، فهو يجمع ابرز خصائص السمير ، وقد رحب به السبع، ورجاه بادب ان يتفضل ، وقاده الى قاعة مزينة برءوس الغزلان المختلفة ، وقرون الجواميس المثبته على قواعد متينة ، فى براويز مزخرفة .

وقال الحمار فى عذوبة وهو يبتسم :

– سيدى ، جئت طائعا مواليا ، لا متمردا ولا معاديا ، على الرغم من شيخوختكم وضعفكم ، وتقدمكم فى العمر ، وقد جذبنى إليكم حسن سيرتكم ، وطهار ذمتكم ، وشدنى الى مجلسكم هيافة قوامكم ، واناقة مظهركم ، ومنذ كنت جحشا صغيرا وانا اسمع الكثير عن مقامكم ومواقفكم ، و بطولاتكم ، وانجازاتكم في عالمي الحرب والسلام ، فاعجبت بكم ، واحببتكم . هل أستطيع ان اصبح تلميذا لكم ، ان اكون منكم ما كانه افلاطون من سقراط ، انتم تتكلمون وانا اسمع وادون ، والحق ان في نيتي ان اهدي اليكم رسالتي للدكتوراة ، وسوف تكون عن شخصكم ، وجهودكم ، وما اضفتم الى التاريخ .

وأثار التصريح الحماسة والاعجاب في نفس السبع ، فبدا له في الحال ان الحمار جميل الوجه ، عذب التقاسيم ، لمح المحيا ، متدفق الذكاء ، عالما موهوبا ، يرجى على يديه الخير الكثير ، رغم ابتسامته البلهاء ، التي تكشف عن اسنان ضخمة طويلة ، صفراء فاقع لونها ، تبدو وكانها معزف بيانو غرس في لثة وردية اللون .

في هذه اللحظة نشأت صداقة فريدة لا يعرف لها التاريخ مثيلا ، بين حيوانين مزاجهما مختلف ، وطبيعتهما متناقضة ، وغرائز كل واحد منهما تمضي في اتجاه ، وازدادت صلتهما وثوقا مع الزمن ، ونما بينهما حنان ودود ، وأصدر السبع امره الى الضبع بان تعد حجرة الضيوف الفاخرة لكي يقيم فيها الحمار ، فقبلت على مضض ، لانها — وهي كهلة في مثل سن سيدها قليلة اللباقة ، لا تعرف كيف تداري [illegible] وحنقها من المجاملات الاجتماعية محدود ، ولم تتعود منذ زمن طويل على الضيوف المقيمين ، فالكثيرون

ياتون الى سيدها ، يحادثونه ، أو يهادنونه ، أو يسمرون معه ، أو يسهرون الى جانبه طرفا من الليل ثم يمضون ، اما الاقامة الدائمة ، حتى ولو حمار واحد ، فهي عبء ثقيل ، يكلفها مسئوليات متواصلة ، ولم تستطع ان تخفي نظراتها الحانقة ، تعكس نواياها السيئة ، وهى

تصحب الحمار الى مخدعه ، أو حين تتردد عليه في النهار تحمل له الطعام .

ولم يهتم الحمار بها انصرف الى عمله جادا ، يمضي اغلب وقته الى جوار السبع يحادثه ويحاوره ، ساعات وساعات ، تشغل احيانا جل الليل واطرافا من النهار ولا ينفصل عنه الا حين يتناول طعامه أو ياوي الى فراشه. وخلال ذلك كله لا يتوقف السبع عن الكلام ، والحمار يسمع قصصا لا تنتهي عن حملات السبع الحربية ، ومغامراته العاطفية ، وعما يحب ويكره في أنثاه ، انه يفضل منهن ذوات العيون الآسرة الجميلة ، والقوام الأهيف المشوق ، والشفية المرحة الفاتنة ، وذات الدل الناعمة المثيرة ، وحدثه كيف احب واخفق ، وعاش جريح القلب ، يكتم الامه كبرياء ، ويخفي احزانه تظاهرا ، وقص عليه اخبار رحلاته العديدة في ارض الله ، وما راى من اقوام وشاهد من خلق ، وعرض لفلسفته في الحياة تفصيلا ، وأبان له عن ارائه في الأخلاق والحيوان والانسان .

وسعل السبع وتنهد ، ثم اعتدل واستوى ، واستراح على مؤخرته ، واستجمع قواه ، كمن يتهيا لأمر جلل ، واخذته الجلالة فاخذ يقص له اخر لقاء له مع «الثعلوان» : جاءني مزهوا ، عريض القفا ، متورد الخد ، بليد الروح ، في حاشية ، من صبيانه ، يسمعني اخر اشعاره . هو ينشد ، وهم يتمايلون طربا ، ولم اجد لما قال صدى في نفسي ، ومع اني



أن يكون الحمار دكتورًا .. مشكلة !

لا أعالج الشعر لكي استمعت الى كثيرين هنا ينشدونه بين يدي ، وازعم لنفسي ، دون مبالغة ، اني قادر على ادراك طيبه من غثه ، وتمييز جيده من ساقطه ، والتفرقة بين رائعه ومرذوله ، واشهد ان كل ما قاله لاصلة له بهذا الفن الجميل .

قلت للثعلوان رايي بصراحة ، وهل ينافق مثلي ؟! : ما تقوله يمكن ان نسميه اي شيء الا ان يكون شعرا ، لا شعر بلا موسيقى ، إنك تغالط نفسك ، والذين حولك ينافقونك ، وقبل ان تهرم وتشيب راسك سوف تنساك الدنيا ، وتنسى كل ما قلت من اشعار ، وانت تعرف ان التاريخ لا يداجي ولا يجامل ، ولا تخدعه مظاهر الاعلان ، ولا تجوز عليه اكاذيب الاعلام .

وكتم صاحبنا غيظه وانصرف ، واول امس جاءتني الضبع تقول : ان اصحاب «الثعلوان» يتجمعون في طرف الوادي وسوف يبايعونه اميرا للشعراء ، وضحكت ، ولو رأيته لاقترحت عليه ان يبايع نفسه اميرا على الخنافس ، انها اخفض جناحا ، واسهل قيادة ، واشد اصرارا على العمل ، ويرجى من ورائها خير كثير . وقالت الضبع في نبرة لا تخلو من خبث : الفرق بين الخنافس واصحابه بسيط .

كان الحمار يستمع الى السبع ثملا بما يسمع ، ونشوان اعجابا ، يسجل ملاحظاته ، ويدون رايه ، وملأ بها صحائف وصحائف ، وبدا له انه تعمق في الفلسفة السبعية ، والم باسرارها ، وعايش صاحبها ، وانه معها يمكن ان يتحول سبعاً ، في المستقبل البعيد على الأقل .

وتعود السبع ان يقول له :

يا حميري ! انك احب مخلوق الي في هذا العالم ، إني احمل لك حنانا عارما وودا متصلا ، كما لو كنت ابني ، لم يستطع احد ان يفهمني بافضل مما فهمتني انت ، ولقد بلغ بي الكبر عتيا ، ولن يبعد بي الزمن طويلا ، وسوف القي نهايتي قريبا ، وعندما ارحل عن هذه الدنيا فكل ما املك لك : الكتب ، والمذكرات ، والاثاث والبيت الذي يحتويها ، كلها تصبح ملكا لك ! .

وشكره الحمار متاثرا ومقدرا ، واجرت هذه الكلمات الحنون السخية دمعه غزيرا ، وملات بها عينيه الواسعتين الجامدتين . ولكن وضاعة الاصل التى تجري فى دمه ، وتترك اثرها في سلوكه ، رغم تظاهره بالسبعية ، وحرصه على مراسم السادة ، جعلت منه في اللحظة المناسبة مخلوقا جبانا ، فلم يجرؤ على ان يوعز ، او حتى يوميء ، لصديقه العجوز بان يوثق وصيته هذه ، وان يشهد عليها في الشهر العقاري .

وشهدت الضبع الخادمة ما حدث ، وكانت تكره الحمار من أعماقها ، فانتهزت فرصة خروجها في حاجة من شئون سيدها ، وذهبت لزيارة اسرته ، من احفاده الذين يعيشون بعيدا عنه ، وقصت لهم ما حدث ، روته لهم بطريقة مثيرة ، وحفزتهم للانتقام من هذا الحمار الدساس المكار الحقير ، الذي تسرب الى عرين جدهم وسيد الجميع ، وغايته ان يستولى على ثروة السبع ، وان يحرم منها الورثة الحقيقيين .

ولفظ السبع العجوز انفاسه الأخيرة بين يدي الحمار ، فاعتنى به فى مثالية نادرة ، وإنكار فريد للذات ، وتغشاه الم عميق ، فاخذ يردد حزينا : « لقد فقدت فيه استاذا ، وابا ، وصديقا .. بالشقوتي وبؤسي بعد ذهابه ! » .

اما احفاد السبع الذين تخلوا عنه منذ اربع سنوات ، او تزيد ، ولم يجيئوا لزيارة جدهم ولا مرة واحدة ، فقد استجابوا لدسيسة الضبع ، وظهروا فى الدار بعد ربع ساعة من موته ، وكان أول ما صنعوه انهم القوا بالحمار إلى عرض الطريق ، بعد ان اخذ حظه كاملا من الركل واللطم والشتم والتهديد .

– وتضرع إليهم الحمار راجيا :

– اسمحوا لي ان آخذ هذه المدية تذكارا ..

وصرخ فيه احد الأحفاد :

– يالك من صفيق ! ، احمد الله على ان تركناك تذهب فى أمان .

– لي رجاء ... على الأقل دعونى أجمع أوراقى وارتبها .

وسأل الحفيد :

– أية أوراق ؟

وعاد الحمار يتوسل ويرجو :

– أوراق رسالتي للدكتوراة ، إنها تمثل عامين من الجهد المضنى والمتواصل ، اعملوا في معروفا ، هذا المعروف فحسب ، إكراما لذكرى جدكم الغالي .

– بعدك ! ... لن تخرج بشيء من هنا ، وعلى أية حال فنحن عازمون على إحراق كل الأوراق التي تركها جدنا ، ونحن على ثقة اننا بهذه الطريقة نعبر عن أسمى رغائبه ، وأغلى غاياته ، وحيثما كان ، او استقر ، فسيبارك عملنا .

وفى نشاط جم ، غير متوانين ولا كسالى ، انطلقوا من القول إلى العمل ، وانطوى الحمار على نفسه كسيرا ، يتنهد حزينا ، ويسائل نفسه فى خيبة أمل طافحة : « كيف جرى على أن أكون ساذجا وبسيطا على هذا النحو ، فنحن الحمير لم نخلق قطعا لنكتب رسائل دكتوراة عن السباع ، إن علينا ان نقف بجهدنا عند كتابة الرسائل عن الحمير الأخرى فحسب ، لقد اجهدت نفسي ، واردت ان احقق جديدا فى مجال الدراسات السبعية ، وان آتي بافكار أصيلة فى عالم البحث الجامعي ، وكان حظى ان عدت بخفي حنين : الاهانة والضياع ! » .

د. الطاهر احمد مكي



زيـــارة

شعر: جليلة رضا

.. وتساءل: من يهبط نحوى ؟ فأجاب الضيف : أنا الطيف
صلح المتسائل مذهولا : أتركت الأحياء ؟ وكيف ؟
رد الزائر فيم الدهشة ؟ اشتقت اليك ! اشتقت إليك ؟
وأتيتك في ثوبي الأبيض أتسلل لأنام لديك
افسح لي ركناً من فضلك .. فالحجرة تتسع لألف

● ●

عبر الزائر باب الحجرة .. حتى وافى كومة خرق
وتساقط ريش جناحيه في صوت كحفيف الورق
فأحس بخفة ساقيه واقتحم المسكن فى الظلمه
لكن القمة صدته .. فتحاشى ضربات القمه
وأندس بجانب كومته .. وتوسد صدر المستلقى

● ●

وتكلم،استوحى الذكرى واسترسل فى الشرح وأسهب
وتكلم .. قال لصاحبه كلمات أبداً .. لن تكتب
والنائم لا ينطق حرفاً .. مفترشاً فى صمت أرضه
وأنتبه الضيف على وخز فى طرف الاصبع كالعضه
وأحس الكومة فارغة .. لا صدر هنالك أو منكب !

● ●

وانتفض الزائر مذعوراً واستند الى السقف الخائر
مفتقداً أدراج السلم ليعود الى البيت الآخر
وتعثر في جسم صُلب فاذا على الأرض حصاة
قلّبها فى الكف برفق وعلى خديه العبرات ..
وتساءل وهو يناجيها .. واهاً .. أتكون هى الشاعر !؟

درس حضاري في التعامل مع التراث

بقلم الدكتور: أحمد عثمان

● أثيرت فى الآونة الأخيرة مسألة التعامل مع التراث القديم . واكتسبت نفس المسألة أهمية خاصة بمناسبة دخولنا القرن الخامس عشر الهجرى . وأرى أنه فى ظل الحماس القائم هذه الأيام لمبدأ إحياء تراثنا العربى الاسلامى القديم أن ننظر حولنا ونتأمل ما فعله الآخرون ممن سبقونا فى هذا المضمار بعدة قرون . ولقد وقع اختيارنا على شخصية واحدة من عصر النهضة الأوروبية إذ رأينا فيها مثلا بارزاً يجسد فكرة الاحياء كما كان لهذه الشخصية الفضل الأكبر فى إرساء دعائم الدراسات الانسانية ●

واذا كان الأديب الفيلسوف الفرنسى فولتير (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨) يتميز بانه لمس بنفسه تاثر كتاباته على جيله ـ وكان تاثيراً عميقاً وواسعاً ـ فان ارازموس ينازع فولتير فى ذلك فهو مثله يمثل ثورة فكرية متكاملة ، يزيد عن ذلك أن إرازموس هو الاسبق زمنياً ، كما أن تاريخ الأدب والفكر فى أوربا القرن السادس عشر والقرن الذى يليه هو الى حد بعيد سجل للتأثيرات التى احدثتها جهود ارازموس لاحياء التراث الكلاسيكى والاسترشاد به لتقويم ما أعوج من المعتقدات الدينية المسيحية ، ومن سخرية الاقدار أن اللغة اللاتينية التى استخدمها ارازموس فى كل كتاباته والتى جعلت منه كاتباً أوربياً ـ لا المانيا فقط ـ هى التى وقفت عقبة كأداء امام انتشار شهرة ارزموس لدى الاجيال التالية . والسبب فى ذلك أن اللغة اللاتينية نفسها تنازلت رويداً رويداً عن المساحات الشاسعة التى كانت تحتلها فى عالم الأدب لصالح اللغات الأوربية الحديثة الناشئة ، كان ارازموس مشهورا بين أبناء جيله أكثر من شهرته فى الاجيال التالية ، لأنه من محاسن الصدف أن يجيء مولده مع اختراع فن الطباعة . مما جعله أول كاتب فى العالم يتمتع بوسيلة نشر جماهيرية فاستغلها أحسن استغلال يضاف الى ذلك أن لارازموس علاقة مباشرة وتجربة شخصية مع هذا الاختراع الوليد ذلك أنه اشتغل عاملا باحد محلات الطباعة لفترة من الزمن .

مجموعة مؤلفاته

ولد ديزيديريوس ارازموس عام ١٤٦٦ بمدينة روتردام . تلقى تربية دينية ثم أصبح راهبا فى دير يتبع التعاليم الأوغسطينية وسمح له فيما بعد أن يترك حياة الرهبنة وأن يرتحل فى أنحاء أوربا الواسعة فزار بلداناً كثيرة منها انجلترا التى رحبت به أحسن ترحيب

وتمتد فترة نشاطه الأدبى الى ستة وثلاثين عاماً تقريباً تبدأ ببداية القرن السادس عشر نفسه ، واستطاع ارازموس فى هذه الفترة أن ينشر طبعات لكتابات آباء الكنيسة الأوائل ، أما أعمال ارازموس الرئيسية فهى كما يلى : «الوسيلة الجديدة» وهى عبارة عن طبعة للعهد الجديد مع تعليق شارح ونشر عام ١٥١٦ . يلى ذلك فى الأهمية كتاب بعنوان «مديح الحماقة» ونشر عام ١٥٠٩ وتم تاليفه بناء على اقتراح من السير توماس مور ومن الملاحظ أن العنوان اللاتينى فيه اشارة الى اسم مور نفسه وهى اشارة قصد بها المداعبة لأن كلمة « موريا » باللغة اللاتينية تعنى «الحماقة» وبعد ذلك يأتى بترتيب الأهمية كتاب «سلاح الجندى المسيحى» ونشر عام ١٥٠٣ ولقد ترجم هذا الكتاب الى لغات أوربية عديدة . ولارازموس مؤلف باسم «تعليم الأمير المسيحى» وآخر بعنوان «المحاورات» . وجمع الأمثال والحكم الكلاسيكية فى مؤلف سماه «الأقوال المأثورة» . وله مؤلفات أخرى كثيرة كما ترك العديد من الرسائل الشخصية وغير الشخصية شرح فيها مبادئه الفلسفية وآراءه فى الدين والأخلاق . وسنتناول بالحديث بعض هذه الأعمال ولاسيما التى لها دلالة خاصة بالنسبة لعصر النهضة وحركة إحياء التراث الكلاسيكى القديم .

خلاصة الثقافة الكلاسيكية

كانت الطبعة الأولى من كتاب

«الأقوال المأثورة» صغيرة جدا وقليلة التكاليف الى اقصى حد فلم تتعد الثمانمائة قول مأثور انتخبها ارازموس من نصوص الأدب الاغريقى واللاتينى. لكن ما ان ذهب ارازموس الى البندقية فى استضافة صاحب مطبعة مشهور هو الدوس مانوتيوس (١٤٤٩ ـ ١٥١٥) حتى نشر طبعة جديدة تبلغ اربعة أضعاف الطبعة الأصلية وسماها «آلاف الأقوال المأثورة» ضمت على وجه التحديد ٣٢٦٠ قولا مأثورا. ولم يتوقف ارازموس عند هذا الحد فظل يتوسع فى جمع هذه الامثال طيلة حياته فنشر فى بازل عام ١٥١٥ طبعة جديده تعرف باسم فروين وضمت ١٥٠ قولا مأثورا إضافيا. وأخذت الطبعات من هذا الكتاب تتوالى وفى كل طبعة تتزايد الأقوال المأثورة التى يجمعها ارازموس حتى جاءت الطبعة الأخيرة والتى نشرت عام وفاته ١٥٣٦ فضمت ٤١٥١ قولا مأثورا.

الملاحظات الشخصية

ويبدو من العنوان الذى اختاره ارازموس لكتابه أن الهدف الأصلى من وضعه هو ان يكون كتيبا صغيرا فى متناول اليد يضم الأمثال الكلاسيكية مع شرح وتعليق عليها ومقارنتها بغيرها من الحكم والأمثال المأثورة فى شىء من الايجاز. ولكن ارازموس لم يستطع أن يتحكم فى نفسه طويلا فبدأ يسهب ويطنب فى الشرح والتعليق واستمر فى اضافة المزيد من الأمثال كما حدث فى طبعة البندقية عام ١٥٠٨ وما تلاها من طبعات. والجدير بالذكر انه فى ترجمة انجليزية حديثة لهذا الكتاب نجد مثلين شيقين فقط يغطيان حوالى عشرين صفحة واحد هذين المثلين قول مشهور له دلالة كبيرة وفيه حكمة بليغة عن التانى ويقع فى كلمتين اثنتين «اسرع ببطء» ومن الأمثال اللاتينية ذائعة الصيت ما جاء فى كتاب ارازموس ايضا ذلك الذى يقول «الحرب لذيذة لمن لم يذقها» ولقد غطى هذا المثل وحده خمسا وأربعين صفحة لأنه يأخذ شكل مقال فى الحرب والسلام.

والجدير بالذكر أن هذا المثل الطريف قد مارس تأثيرا كبيرا فى الفكر الأوربى وطبع بمفرده أكثر من مرة. ويمكن أن نتلمس تأثير هذه الحكمة فى كتابات مونتانى (١٥٣٣ ـ ١٥٩٢). وهكذا لم يقتصر عمل ارازموس على جمع الطرائف الكلاسيكية بل امتد ليشمل الملاحظات والآراء الشخصية. ومن الملاحظ أيضا فى هذا الكتاب أن تمكن ارازموس من اللغة الاغريقية كان ينمو ويتزايد يوما بعد يوم. كما أن الاشارات الى الانجيل كانت فى الطبعات الأولى قليلة فزادت فى الطبعات التالية. فما أن تأتى طبعة عام ١٥١٥ وكان وضع ارازموس الكنسى قد استقر حتى نجد اربعة عشر اشارة الى العهد القديم وتسعا وخمسين اشارة الى العهد الجديد.

عقلية الباحث

ويكمن سر النجاح المذهل والانتشار الفورى لطبعات كتاب ارازموس «الأقوال المأثورة» فى الخلفية الثقافية العامة لعصر المؤلف إذ كان الناس آنذاك يتلهفون على الآداب الكلاسيكية ويلهثون جريا وراء الحصول على مفتاح سحرى ميسر للتراث الاغريقى الرومانى. وبعبارة اخرى فاننا نريد القول بأن ارازموس كان يتمتع بعقلية الباحث النابه وحاسة المؤلف المبدع الذى يسبق عصره بطموحاته وتاملاته ويلبى احتياجاته بكتاباته وأفكاره. وبالرغم من أن كتابا آخرين ولا سيما فى ايطاليا كانوا قد مهدوا الطريق ـ بفضل مطابع الدوس وفروين ـ إلا أن انتشار كتاب ارازموس بهذه الصورة التى لم يسبق لها مثيل يعود فى الأساس الى أن اسلوبه اللاتينى كان أرقى وأفضل من اسلوب أى مؤلف معاصر له. نعم فلم يتمكن احد من هذه اللغة مثلما تمكن ارازموس ولم ينازعه منازع فى حسن



التعبير بواسطتها فى سلاسة ويسر. أضف الى ذلك تعليقاته الشيقة على موضوعات هامة مثل الحروب العدوانية والنزعات الطغيانية ومحاولات التعتيم الفكرى فى المؤسسات العلمية وهجومه على النفاق الدينى والرياء الاجتماعى. وكل ذلك يأتى داخل اطار الأسلوب السلس الذى ينساب سرد الطرائف والقصص وشرح الأمثال والحكم.

وللتدليل على ثقافة ارازموس الشاسعة فى الأدب الاغريقى اللاتينى نشير الى أن السيدة «مارجريت مان فيليبس» وهى واحدة من اشهر دارسى ارازموس ومؤلفاته عكفت على اعداد قائمة بالمقتطفات الكلاسيكية الواردة فى كل طبعات «الأقوال المأثورة» ومن هذه القائمة تبين أن شيشرون (١٠٦ ـ ٤٣ ق.م) خطيب روما المفوه قد احتل المكانة الأولى فى عدد المقتطفات فله ٩٠٠ مقتطف ويأتى بعده هوميروس أول الشعراء الاغريق وأعظمهم (القرن التاسع او الثامن ق.م) وله ٦٦٦ مقتطف ثم بلوتارخوس (٤٦ ـ ١٢٠ م) كاتب السير والأخلاقيات المشهور وله ٦١٨ فاريستوفانيس (٤٤٨ ـ ٣٨١ ق.م) الشاعر الكوميدى الاثينى وله ٥٩٦. وتساوى عدد مقتطفات كل من بلاوتوس (٢٥٤ ـ ١٨٤ ق.م) شاعر الكوميديا الرومانى وهوراتيوس (٦٥ ـ ٨ ق.م) الشاعر الغنائى فلكل منهما ٤٧٥ مقتطف. اما افلاطون (٤٢٧ ـ ٣٤٨ ق.م) فله ٤٢٨ مقتطف. ولا يعنى هذا أن ارازموس لم يعرف غير هؤلاء المؤلفين ولكنهم فقط كانوا اهم من اعجب بهم فى التراث الكلاسيكى.

ووضع ارازموس كتاب «سلاح الجندى المسيحى» عام ١٥٠١ ونشره عام ١٥٠٣ فنال شهرة تضارع شهرة الكتاب السابق وإن اختلفت الأسباب فحتى عام ١٥١٥ كان ارازموس حريصا على أن يفصل بين ثقافته الكلاسيكية وديانته المسيحية وظهر ذلك جليا فى «الأقوال المأثورة». ولكنه لم يستطع الاستمرار طويلا لأن الكتيب الذى نتحدث عنه الآن بصفحاته المائة والخمسين قد صار أفضل مرجع لما سمى فيما بعد «فلسفة المسيح» ولا أدل على ذلك من انه طبع ثلاثين مرة فى غضون عشرين سنة فقط وكان أسلوبه المختصر

درس حضاري في التعامل مع التراث

وتعبيره الساحر وراء هذا الانتشار الواسع حتى انه صار كتاب الآلاف من الناس . واذا كان الاهتمام بالأخلاقيات إبان العصور الوسطى يدخل ضمن الحديث الدينى ، فان ارازموس قد نحى نحواً جديداً عندما استنبط المبادىء الأخلاقية من كتابات المفكرين الوثنيين اى الاغريق والرومان . ولقد مكنه ذلك من معالجة موضوع الأخلاقيات معالجة طريفة وشيقة بل وشاملة أيضاً . فجاء كتابه «السلاح» أو «فلسفة المسيح» جامعاً بين الثقافة الكلاسيكية الواسعة والنظرة الانسانية الأخلاقية . واستطاع ارازموس فى هذا الكتاب أن يرسم صورة لحياة الرسول المعلم أو المعلم ذى الرسالة وقدمها فى إطار ادمى بحت أى بعيداً عن التزمت الدينى المغلق والترديد الأجوف للمقولات المسيحية . وهكذا جاء كتابه دعوة هادئة للديانة المسيحية السليمة أو قل هى دعوة دينية وارشاد بلا انفعال .

والجدير بالذكر أن عنوان الكتاب هو لفظة اغريقية لها معنيان الأول هو «الكتيب الصغير فى متناول اليد» والمعنى الثانى هو «سلاح يدوى صغير» اى «الخنجر» . ولعل المؤلف اختار هذا العنوان ليشير الى المعنيين السابقين لأنه فى الجزء الثالث يتناول الأسلحة الخاصة بالسيد المسيح ويركز الحديث على سلاحين رئيسيين هما الصلاة والمعرفة والصلاة هى بالطبع السلاح الأقوى ولكن المعرفة لا تقل اهمية عنها . وفى نفس هذا الجزء من الكتاب يحث ارازموس الناس على الاهتمام بالأدب والفلسفة الوثنية ويعتبرهما المدخل الرئيسى والتمهيد الأساسى والضرورى لدراسة الكتاب المقدس . حقاً انه يحذر من الاكتفاء بقراءة ودراسة الوثنيات ولكنه فى نفس الوقت يعقد مقارنة ذات دلالة بين قوم يقعون فجاة على كتب اللاهوت وآخرين قبل ذلك يستعدون ويتزودون بالثقافة الانسانية غائرة الجذور فى التاريخ . ومن البديهى أن ارازموس لا يعتمد على نفسه فقط فى ارساء معالم هذه الدعوة الفكرية الجديدة ولكنه ليدعها يسترشد ويستشهد بكتابات آباء الكنيسة الأوائل ولاسيما القديس جيروم فهو افضلهم جميعاً بالنسبة له . ففى هذه الكتابات القديمة ظهرت أول بوادر التزاوج الحضارى بين الديانة المسيحية الناشئة والتراث الكلاسيكى القديم .

واذا تأملنا تعاليم ارازموس الأخلاقية وجدناها افلاطونية أو رواقية فى طابعها . وقد وضع حوالى اثنتين وعشرين قاعدة اخلاقية للسلوك ومنها يتضح أن الفضائل التى ينصح باتباعها هى فضائل مسيحية اصيلة لا ريب فى ذلك ولكن الثقافة الكلاسيكية هى التى ابعدته عن الحماس العاطفى وجنبته الاندفاع والانفعال .

حركة الاصلاح

اما كتاب «مديح الحماقة» المنشور عام ١٥٠٩ فهو الوحيد من بين كتب ارازموس الذى لايزال محتفظاً بشهرته الجماهيرية الى يومنا هذا فهو من ناحية القيمة الأدبية أروع وأبدع أعمال ارازموس جميعاً وهو كتيب صغير فى حجم الكتاب السابق تقريباً شرع ارازموس فى تاليفه من باب التسلية ــ أو «تضييع الوقت» إن صحت العبارة ــ أثناء رحلة العودة من ايطاليا فى طريقه لزيارة صديقه السير توماس مور بلندن حيث انهاه هناك . ومما سبق يتضح اننا بين يدى كتاب تم تاليفه تقريباً بعيداً عن المجلدات والمراجع التى تملأ رفوف ارازموس وفى ظروف رحلة هى بالنسبة لرجل مثله بمثابة وقت فراغ اجبارى . ولعل هذه الظروف نفسها هى التى جعلت هذا الكتاب يخرج قطعة ادبية اصيلة وانتاجاً ابداعياً رائعاً تظله الثقافة الواسعة بظلها الظليل دون أن تثقل عليه باشاراتها التوثيقية المملة أو حواشيها التفصيلية ذات الطابع البحثى الاكاديمى .

ومن الناحية الشكلية يعد هذا الكتاب تمريناً ممتازاً فى فن الخطابة باسلوب لوكيانوس (١١٥ ــ ٢٠٠ م) وفيه تلقى ربة الحماقة بنفسها الوعظ من فوق منبرها . اما جمهورها ــ وهم من عبادها المخلصين ــ فنجده يبالغ فى تركيز الانتباه والحرص على التقاط كل ما تقول وبالطبع فان كل ما تقوله الحماقة مرفوض شكلا ومضمونا وكل ما تثنى عليه ينبغى على العقلاء أن يدحضوه ويدينوه بكل وسيلة ممكنة . ولكن ارازموس وكأنه يسخر من قرائه ينسى أو يتناسى أحيانا ويخالف هذا النسق المتسق ويهاجم على لسان الحماقة ما قد يدينه هو شخصياً ويريد من قرائه أن يرفضوه . إذ كان المتوقع فى هذه الحالة أن يجعل الحماقة كالعادة تمدحه بصوت عال . وفى بداية الكتاب لا تبدو أية مفاجاة ذات قيمة فى حديث الحماقة فهى فقط تتعرض بالسخرية والتهكم للفلسفة ونظام الزواج والشباب والشيخوخة والسلام وما الى ذلك . ولكنها فى منتصف الطريق تقريباً تشرع فى الضرب على نغمة اكثر حدة وعنفاً وذلك عندما تتناول السذج من الناس والمؤمنين بالمعجزات والواثقين ثقة عمياء فى حماية القديسين لهم .

ومع انه لا يمكن التحدث عن البروتستانتية قبل ثمان سنوات من ظهور مارتن لوثر (١٤٨٣ ــ ١٥٤٦) ومع انه توجد فوارق عميقة بين عقائد كل من الرجلين . إلا انه لا يمكن القول بان ارازموس ولو بطريقة سلبية قد مهد الطريق امام حركة الاصلاح الدينى اللوثرية وذلك من خلال هجومه الهجائى الساخر وتاثيره التدميرى على العقيدة



الدينية التقليدية مما ادى فى النهاية الى حدوث الانشقاق . اكثر من ذلك ان ارازموس قد جمع فى شخصه بين متطلبات العلوم الاكاديمية الجديدة ومتطلبات الاصلاح الدينى . وجاءت الطبعة التى أصدرها للعهد الجديد عام ١٥١٦ لتظهر كيف أن الدراسات الكلاسيكية التى يقوم عليها العلم الجديد فيلولوجيا يمكن ان يضع الأسس السليمة للنهضة الأوربية الشاملة .

محاورات الفلاسفة

وقد ظهر كتاب «المحاورات» عام ١٥١٦ ولكن ارازموس توسع فيه بعد ذلك كما فعل فى الكثير من كتبه . وكان الهدف الأصلى من وضع هذا الكتاب هو ان يكون مرشداً فى تعليم اللغة اللاتينية ولكنه ـ ككل كتابات ارازموس ـ انطلق الى ما وراء الهدف الأصلى المحدود وتطور الى ان اصبح مقالات ممتازة عن موضوعات متباينة فى شكل حوار . ومع ان ارازموس يوحـــى لنا بان اراء المتحاورين فى كتابه ليست بالضرورة اراءه الشخصية إلا انه يحق لنا ان نتساءل عن ذلك الايحاء ونشكك فيه . على اية حال فان محاورات ارازموس تتناول موضوعات كثيرة مثل الألعاب الرياضية وصلات القربى والحياة الاجتماعية والشئون الدينية ومشاكل التعليم ووسائل التربية . وفى محاورة بعنوان «تدين الطفل» أو «الورع الصبيانى» يضع ارازموس أساساً متيناً من أسس العقيدة المسيحية السليمة عندما يقول «أؤمن بما اقرأ فى الكتاب المقدس وفى اعمال الرسل ولا أذهب الى ما وراء ذلك فاترك للاهوتيين امر الجدل وتعريف بقية الأمور إن هم ارادوا» .

وتأتى أشهر عبارة قالها ارازموس فى كل اعماله فى محاورة «المأدبة الالهية» فلقد قاده الحوار الى التحدث عن النبل الذى يظهره الوثنيون ولاسيما رجال مثل شيشرون وكاتو الاوتيكى (٩٥ ـ ٤٦ ق.م) وسقراط (٤٦٩ ـ ٣٩٩ ق.م) فيوافق الحاضرون من الضيوف على حقيقة ان المسيحيين لا يمكن ان يتفوقوا على فضائل هؤلاء الرجال ويقول احدهم مشيرا الى حديث سقراط وهو على وشك أن يشرب السم انصياعا لقوانين المدينة ـ الدولة وتنفيذاً لاحكامها رغم احساسه



بالظلم «اى سقراط المقدس صل من اجلنا» ولا نبالغ اذا قلنا ان هذه العبارة وحدها تكثف كل معانى عصر النهضة الأوربية ففيها تتبلور روح ذلك العصر لانها تضع أهله عند مفترق الطرق بين الفضيلة الوثنية والفضيلة المسيحية . وتبشر هذه العبارة بالجدل الطويل الذى استمر قرنين من الزمان .

وفى محاورة بعنوان «تاليه رويشلين» يثير ارازموس مسالة القديسين وذلك عن طريق معالجة موضوع محلى صرف . فقد كان رويشلين عالما بارزا فى الدراسات العبرية فلقــــد أعداؤه الغيوزون ـ ولا سيما الدومينيكان فى كولونيا فتبنى قضيته كل علماء الدراسات الانسانية وتحمسوا له تحمسا شديداً . ومات رويشلين عام ١٥٢٢ فكتب ارازموس هذه المحاورة التى تحكى كيف أن احد الفرنسيسكان راى فى المنام حلماً يصور رويشلين صاعداً ظافرا الى السماء ويختتم الحوار بابراز الفجوة العميقة بين فكرة القدسية الحقيقية والمعتقد السائد عنها بعد ان دخلته الكثير من الخزعبلات .

الريادة الفكرية

وهناك محاورة لارازموس بعنوان «حطام السفينة» وهى التى أوحت الى رابليه بفكرة العاصفة فى كتابه الرابع . وتصف هذه المحاورة رد فعل الناس عندما تتحطم بهم سفينة قرب ساحل القنال الانجليزى فنجد بعضهم يحيطون بالقساوسة فى هلع وفزع معترفين بكل خطاياهم وباذلين كل الوعود والنذور للقديسين وهم بالطبع سينسون أو يتناسون هذه النذور لو تحققت لهم النجاة . على اية حال فهم لا يفعلون شيئا الآن سوى ترديد الصلوات والتضرعات . وهناك اخرون بين ركاب السفينة يعترفون بذنوبهم فى هدوء وسكينة لربهم مباشرة ثم يسلمون انفسهم لرحمته ويسبحون ويصلون بالفعل الى بر النجاة بفضل ايمانهم السليم وعقيدتهم الصحيحة . ومثل الحياة الدنيا كمثل تلك السفينة إذ تضم كل تلك الانماط من البشر .

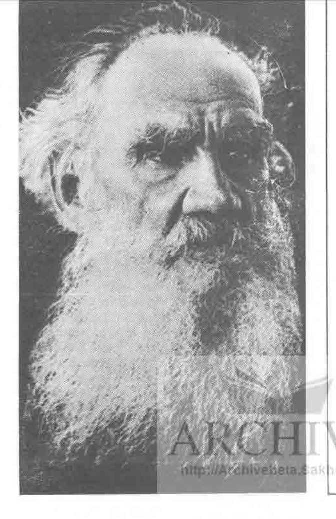
وعندما توفى ارازموس عام ١٥٣٦ كان قد رفض توا القبعة الكاردينالية وكان قد اكتسب احترام البابوات والاباطرة والملوك لأنه كان قد تربع على عرش الادب وانتصر على غرمائه المنافسين . وبلغ من علو شانه فى أوربا كلها أن مدنا كثيرة مثل لوفان وفرايبورج وبازل وغيرها قد تنافست فيما بينها على نيل شرف مجرد ان يقيم بها ارازموس بعض الوقت . لقد شعرت الأوساط الأوربية المثقفة كلها بالحزن البالغ والخسارة الجسيمة لفقدان ارازموس .

واذا كانت الدراسات الكلاسيكية قد خسرت بوفاته اكثر المدافعين عنها قوة وتاثيرا فانها ايضا تدين له بالكثير كباحث وعلامة خلف دراسات أكاديمية دفعت بالكلاسيكيات دفعة قوية الى الامام . ولاتزال مترجماته ومؤلفاته فى هذا المضمار منارا هاديا ومرشداً وافياً لدارسى التراث الاغريقى الرومانى . ولكننا ينبغى ان لاندهش عندما نعلم أن بعض الأوربيين قد شعر بشىء من الارتياح لموت ارازموس . حقا انه رجل فكر وانسانية لا يميل بطبعه الى العنف ولكنه بطريقة غير مباشرة احدث ثورة فكرية بفضل لغته القوية وتهجمه الساخر على كل النقائض الاجتماعية والثقافية بل والدينية .

لقد ولد ارازموس بذلك موجة من العنف اجتاحت المانيا وكل أوربا وكان هدفها الطغيان السياسى والفكرى والخزعبلات الدينية والجهل والاسراف والنفاق وكلها أمراض اجتماعية .

وبغض النظر عن الشخصيات الكبرى فى النهضة الايطالية لا توجد شخصية واحدة يمكن أن تنازع ارازموس حقه فى التربع على عرش القيادة ومركز الريادة للنهضة الأوربية فى شمال القارة .

د. احمد عثمان



في كتابه « قصص سباستوبول » قال تولستوى :

« بطلي الوحيد الذى احببته دائماً بكل روحي ، والذى حاولت تصويره بكل ماله من جمال وروعة .. هو الحـق . »

كان الحق الدنيوى والحق الأدبي هو ما يسعى تولستوى وراءه ، وهذا هو الذى يضفي على واقعية تولستوى تلك الخاصية الفريدة التى تميزه عن غيره من كبار الكتاب الواقعيين فى عصره .



جـــمال كـــنانى

لم تبخل الأقدار على تولستوى باى شيء مما قد يشتهيه اى انسان عاقل فقد عمر طويلا ونعم بصحة جسمية متينة ، وشهية قوية للتمتع بالحياة اليومية ، وعقل جبار مبتكر ، واحاسيس وعواطف عميقة مرهفة ، وفهم غريزى للطبيعة البشرية وسيكولوجيتها وكان فى ثرائه ومركزه الاجتماعى ، ما مكنه من ان يمارس هواياته وينفذ رغباته ... تزوج عن حب ورزق باسرة كبيرة كثيرة العيال، ونال فى حياته شهرة أدبية واسعة ، واثر على الناحية الأخلاقية فى العالم اثرا لا يمحى .

على ان تولستوى لم يقف من الحياة موقف الحكيم المشاهد من عزلته ، بل إنه

كان يعب الحياة عبا .. ذاق حلوها ومرها ولمس ما فيها من خيبة امل وكفاح وفشل وهو يسعى وراء حل نهائى لمشكلات الوجود ... قال تولستوى فى كتابه «قصص سباستوبول» «بطلى الوحيد ، الذى احببته دائماً بكل روحى ، والذى حاولت تصويره بكل ما له من جمال وروعة ، فهو الذى كان ومازال وسيظل ابدا اجمل ما هناك ــ هو الحق» ... كان الحق الدنيوى والحق الادبى هو ما يسعى تولستوى وراءه فلم يتردد فى تثوير الشرائع الاجتماعية والاخلاقية والدينية فى عصره ، ومعها حياته الشخصية ... وهذا هو الذى يضفى على واقعية تولستوى تلك الخاصية الفريدة التى تميزه عن غيره من كبار الكتاب الواقعيين فى عصره .

ولد ليو نكولايفتش تولستوى فى يوم ٢٨ اغسطس (حسب النظام القديم) عام ١٨٢٨ ، على ضيعة ياسنايا بوليانا فى اواسط روسيا وفيها قضى معظم ايام حياته ... كان ليو هو الولد الرابع لأسرة قديمة ارستقراطية ، احاطته بالمعلمين الأجانب ... وقضى ــ على حد قوله ــ «طفولة رقيقة وادعة شاعرية غامضة مليئة بالحب» ، احب لعبة الى قلبه فيها هى البحث عن «الصولجان السحرى الأخضر» الذى يحمل نقوشا فيها سر السعادة الكونية ... عاش قريبا من الطبيعة والغابات والقرية الروسية ، فتاصل فى اعماق نفسه فهم كامل وحب للفلاح يكاد يكون ابوياً .

من القانون الى الأدب

التحق تولستوى ، فى الوقت المناسب بجامعة كازان ليدرس اللغات الشرقية ، ولكن سرعان ما استعاض عنها بدراسة القانون ، ثم هجر القانون ليقرا كتب الأدب .. قرا فى نهم كتب جان جاك روسو كلها فاحبه وحمل صورته فى سلسلة حول عنقه «بدلا من الصليب» كما قال . وتاه تولستوى طويلا فى احلام يقظته إلا ان هذه الأحلام اخذت تتبلور حول تحقيق ثقافة ذاتية والوصول بذاته الى الكمال والعمل على اسعاد الفلاحين على نحو ما فعل بطل قصته «صباح صاحب ارض» ... على انه لم يكن حالماً طول وقته بل كان يزور العاصمة ــ موسكو ــ ليندمج فى مباهج حياتها الاجتماعية ... حتى انه اشار الى تلك الاعوام ١٨٤٨ ــ ١٨٥١ بانها «الأعوام التى ضاعت دون هدف» ...

فى عام ١٨٥١ التحق ليو تولستوى بسلاح المدفعية كتلميذ ضابط ، وخدم فى القوقاز ، ثم رقي الى رتبة ضابط اثناء حرب القرم ، إذ اثبت ذكاء وشجاعة .. ثم بدا الكتابة ....

اعترف النقاد بتولستوى اديبا بعد نشر كتابه «طفولة» ، وهو شبه سيرة ذاتية ، في شهر سبتمبر ١٨٥٢ . ثم رسخت اقدامه فى علم الادب بعد نشر كتابه «قصص سباستوبول» الذى مازه وصف بالغ الوضوح ، لأهوال الحرب وما فيها من وحشية . ولم يغير تولستوى نمط حياته بعدما اصاب من نجاح بل واصل العيش ، بعد ان تقاعد من الجندية فى عام ١٨٥٦ ، كسيد وقور يرعى شئون ارضه وعماله . وفى السنة التالية قام بجولة فى بلاد غرب اوروبا التى زارها بعد ذلك مرة ثانية فى عام ١٨٦١ ، حين قضى فى لندن ستة اسابيع وكان معلموه قد احسنوا تلقينه اللغات الانجليزية والفرنسية والالمانية التى كان يجيدها جميعا اجادة تامة ويتكلمها بطلاقة ... على ان بلاد غرب اوروبا لم تترك فى نفس تولستوى انطباعا طيبا .

فى عام ١٨٥٩ فتح تولستوى مدرسة فى قريته يعلم فيها اولاد الفلاحين واتجه كذلك الى تحرير عمال السخرة ..


روسو

وظهر كتابه «القوزاق» فى عام ١٨٦٣ رغم انه كان قد فرغ من كتابة مسودته قبل ذلك بعشر سنوات .. وهو فى هذه القصة يعالج حكاية «رجل متمدين» فشل فى محاولة العودة الى الحياة الطبيعية البدائية ، وانتهى تولستوى فى قصته هذه الى ان «السعادة لا تزيد عن ذلك ... لا تزيد عن ان يعيش الانسان لغيره» ...

قضى تولستوى الفترة بين عام ١٨٦٤ ــ ١٨٦٩ ، يعمل فى كتابه «الحرب والسلم» وهى رواية تعتبر إلياذة الأدب الروسى وأوديسيته ... ولا غرابة انها اكسبته شهرة عالمية ووضعته فى الطليعة ... ويذكر صاحب القصة ان زوجته نسخت سبع مسودات مختلفة لهذه الرائعة قبل ان يرضى تولستوى عن محاولته الأخيرة التى صور فيها حياته المنزلية السعيدة واتخذها مثلا اعلى «لحياة الأسرة» .

ورواية «الحرب والسلم» اشبه ما تكون بلوحة جدارية هائلة رسم فيها تولستوى المجتمع الروسى اثناء فترة الحرب النابليونية من ١٨٠٥ ــ ١٨١٥ .. او لعلها خشبة لمسرح ضخم يظهر عليها العديد من الاباطرة ووزرائهم وقادة جيوشهم ... وتتغير مناظرها من موسكو الى الريف الروسى ، ثم يصل المخرج ــ وهو تولستوى نفسه ــ بين كل هذه المناظر بواسطة هدف مسيطر ويضفى عليها التجانس دون ان يفقد اى منظر ما فيه من جمال وحيوية نابضة .

وعلى الرغم من تعدد الشخصيات وكثرتها ، نجد ان البطل الحقيقى «للحرب والسلم» هو روسيا نفسها اثناء كفاحها المرير ضد الأجنبى ، وتحتل الشخصيات الحقيقية مثل الاسكندر ونابليون مثل ما للشخصيات المبتكرة من مكانة . اما اهم شخصيتين يبرزهما تولستوى فى هذه الرواية فهما ماريا بولكنسكى شقيقة «اندرو» ، وهى الفتاة المتدينة التى تكرس نفسها لتجعل اخر ايام ابيها سعيدة ، وتختلف عن هذه تماما شخصية نتاشا روستو وهى صبية تفيض حيوية وجاذبية وسحرا وتتحرك فى طول القصة وعرضها مخلفة وراءها خطأ متصلا من عبير الحب ... يصورها تولستوى فتاة طيبة مستقيمة صارمة ولكنها تعيش اسيرة لرقة شعورها .. فعلى الرغم من انها مخطوبة للامير





نابليون

تمثال تولستوى فى روسيا

اندرو ، وهو الرجل الوحيد الذى تعشقه حقا ، تقع نتاشا فريسة لعاطفة قاتلة تشدها نحو مخلوق تافه هو كوراجوين .. فاذا ما تبينت خطاها وجدت نفسها امام اندرو وهو يحتضر بسبب جراح اصابته .. وهنا يبدع تولستوى إذ يعرض علينا دراسة ملهمة ، لما تفيض به الحياة من ماس ومصائب .

اجواء مختلفة

ويلذ لتولستوى ان يحيط شخصياته الواحدة تلو الأخرى ، باجواء مختلفة ، فنرى الرجل فى الجيش تارة وفى الريف تارة ، ثم ينتقل من اعماق الريف الى رقائق المجتمع الراقى ومباهجه وبذا يعرض الشخصية لتبادل النواحى الاخلاقية وتوافيقها .. خذ مثلا نكولا روستوف عند عودته من الجيش الى ملاذ بيت ابيه ، وانظر اليه عند انضمامه الى فرقة من فرق الجيش ، تجد انه شخص متغير ، له وجود خاص بكل مناسبة .

إن تولستوى يحلل النظرة المتبادلة بين شخصيتين يتحاوران ، فيرى فيها صداقة او خوفا ، أو شعوراً باستعلاء ينتحله احدهما لنفسه ... ويرى كل اطياف العلاقة بين هذين الشخصين دون ان يستسلم هو للعاطفة ... تولستوى يعمل عمل الطبيب ، يقيس نبض كل مريض وحرارته ، ويسجل حالة صحته الاخلاقية ... وقلما يقول تولستوى لقارئه هذا رجل طموح او انه رجل مقامر ... ولكنه يرسم الشخصية ويوحى اليها بان تتصرف بطريقة توحى الى القارىء بحقيقة امرها .

فى عام ١٨٧٣ بدأ تولستوى فى كتابة «انا كارينينا» بعد ان فشل فى كتابة قصة تاريخية عن الامبراطور بطرس الأكبر ... فاتم كتابة «انا» فى عام ١٨٧٧ وكانت اخر ما كتب من الادب القصصى قبل أن يمر بما اسماه «الأزمة الروحية» التى وصفها فى كتابه «اعترافات» ١٨٧٩ ــ ١٨٨١ ... ولم تكن تلك الأزمة طارئة غير متوقعة فتولستوى كان يحس من اواخر اربعينات القرن ١٩ بالفارق الكبير بين تفكير ونمط حياة الطبقة الارستقراطية ، وتفكير ونمط حياة الطبقة الفقيرة ... وملكت فكرة العودة الى الحياة البسيطة على تولستوى عقله فى خمسينات القرن ١٩ ــ ونلاحظ هنا اثر روسو عليه ــ وظهرت هذه النزعة جلية واضحة فى «الحرب والسلم» حيث صور تولستوى الفلاح بلاتون كاراتاييف رمزاً للحكمة المغروزة فى طبائع الناس ، وعبر عنها بطريقة اخرى فى «انا كارينينا» إذ وصف ما بين لفين وعمال ارضه من علاقات . وقام تولستوى فى نفس الوقت باعادة فحص الأسس الاخلاقية التى تقوم عليها حياته هو ، ويقوم عليها المجتمع فشجب حياة المدن والاحزاب السياسية والدولة والكنيسة .. وفنه هو كذلك . وطالب باعادة النظر فى التقاليد الدينية مع التاكيد على ناحية الاخلاق وحب الجار الذى تنادى به المسيحية ، وفكرة عدم مقاومة الشر بالقوة .

ووجد تولستوى نفسه فريسة للهجوم من كل صوب .. هاجمته الدولة ، وهاجمته الكنيسة الارثوذكسية التى حرمته عضويتها فى عام ١٩٠١ .

وهاجمه الاشتراكيون والليبراليون .. ولكنه فى الوقت نفسه جمع عدداً من الاتباع والمريدين ممن حاولوا وضع نظرياته وآرائه موضع التنفيذ .. اما هو فقد واصل الكتابة والف العديد من الكتب ، نذكر منها «قوى الظلام» ... وكانت قصصه الفولكلورية التى الفها فى هذه الفترة من حياته ، رائعة الأسلوب شديدة الوضوح .. كتب بين ١٨٩٨ ــ ١٨٩٩ رواية طويلة قوية اسماها «البعث» عمد فيها الى اتخاذ نزعة معينة وكتب «الحاج مراد» بين ١٨٩٦ ــ ١٩٠٤ فكانت اعظم اعماله الفنية واروعها .. فهى تقوم شاهداً على حيوية تولستوى العنيدة واحترامه الشديد للقوة الجسمية المجردة ولقوة الطبيعة كذلك .

كان للتطور العاطفى الحاد الذى اعتور معتقدات تولستوى نتائج مؤلمة بالنسبة للرجل نفسه إذ انه كان يتعذب لما فى طبيعته من ميل الى عدم الحسم .. وكانت زوجته تدافع فى هذه الفترة عن مصالح أولادها لما اخذت تقاوم رغبة زوجها فى التنازل عن حقوق تاليف كتبه .. كما انها اخذت تقاوم نزعة التقشف التى هددت صحته وحياته ... ونزل الستار على هذه الدراما العائلية لما هجر تولستوى بيته سراً فى صحبة صديق له ، وكان عمره إذ ذاك ٨٢ سنة ... ودهمه مرض قاتل وهو فى القطار فمات فى بيت ناظر محطة السكة الحديدية فى ٧ نوفمبر ١٩١٠ .

متناقضات متطرفة

كان تولستوى مزيجا عجيباً من متناقضات متناهية فى التطرف .. كان يجمع مثلا بين العقلانية والعاطفية ، بشر بالمساواة وعاش ارستقراطيا يضيق

صدراً بل ويستحقر كل الطبقات إلا الطبقة التى ينتمى اليها وطبقة الفلاحين .. كان عقلانيا يحب ممارسة الحرف اليدوية ، ويحب الألعاب الرياضية ويجيد الرماية ويحسن الحصاد بالمنجل ويتذوق الموسيقى ويطرب للشعر الغنائى .. كان فى مكتبته الخاصة اكثر من ٢٠٠٠٠ كتاب بعشرين لغة مختلفة . كانت له عبقرية عنيدة تنفذ الى قرار ما فى البشر من غرور وله مع ذلك قلب وديع ... وهو الذى وصفه برناردشو بانه «دون كيشوط فى زى فلاح» .

ومهما بلغت آراء تولستوى الجدلية من طرافة وصواب ، فان عظمته لاشك ترتكز على عبقريته كمؤلف .. يضيء شخصياته من الداخل بتقديم شرح تدريجى مفصل لنفسية كل منها واعماله .. لا يصف فى المرة الواحدة إلا ناحية مفردة من اخلاق هذه الشخصية او تلك فلا تكتمل معالم الشخصية فى ذهن القارىء إلا بعد عدة فصول من الكتاب .. شخصية «انا كارينينا» نفسها لا تتضح لنا إلا بعد حين ، فندرك اولا ان لها عينين رماديتين ، وحاجبين كثيفين ، وشفتين ورديتين ، وشعراً اسود فيه حلقات طبيعية تنساب وتتهدل الى ظهرها على مسار عنقها وفوق صدغها ..

ثم نرى بعد حين كتفيها الممتلئتين وصدرها الناهد كانما قده مثال من رخام او مرمر ... نراها جميلة .. فى جاذبيتها شيء قاس مخيف»

ويدفعنا السياق الى ذكران «انا كارينينا» ظهرت فى أول محاولة لتولستوى امراة سمينة مجردة من السحر والجمال . ولم يصل تولستوى «بانا» الى ما وصلت اليه حتى وقع بصره على ماريا هارتنج ، بنت بوشكن الشاعر ، فكانت القالب الذى صب فيه شخصية «انا» .

وتتميز رواية «انا كارينينا» بتوازن بنائها وفى ذلك قال تولستوى «كل عقد فيها مبنى بحيث لا يرى مرتكزه ، وهذا ما اردت تحقيقه ، فالبناء كله لا يرتكز على عقدة الرواية او فكرتها ، ولا على ما بين شخصياتها من علاقات ولكن على ما فيها من تناسق داخلى» .

وتساءل الناس عن الفكرة او المدرك الاساسى الذى يوفر لرواية تولستوى هذه ، ما فيها من وحدة داخلية ... وذهب النقاد مذاهب اربعة ... البعض يقول إنها رواية عائلية فتولستوى يرى أن الأسرة هى اساس المجتمع فيرسم عالما فيه جميع العائلات السعيدة ، وتشقى العائلات الشقية كل بطريقتها الخاصة .

ويرى فريق آخر ان تولستوى ، الذى يكره الرياء ويفضحه ويشهر به ، اراد أن ينقض الوضع الاجتماعى الذى حطم «انا» التى تحدث بشجاعتها مجتمع سانت بيترز برج .

بطرس الأكبر



اما المدرسة الثالثة فتذهب الى ان لب فكرة الرواية هو التناقض بين حياة المدن ـ وهى حياة خمول ـ وحياة الريف وهى قريبة من الطبيعة ...

وتؤكد الفئة الرابعة أن المشكلة تقوم على مستوى مختلف وهو معتقدات تولستوى الاخلاقية والدينية .. فالرواية كتبت وتولستوى على عتبة الأزمة الروحانية التى مر بها .

عايش تولستوى هذه الأزمة حتى بلغت أشدها فى عام ١٨٧٩ حين فكر فى الانتحار ... كان يفكر فى الغرض من الحياة وقاسى طويلا وهو يبحث عن جواب لهذا السؤال ، واقتنع اخيراً بأن فى تعاليم السيد المسيح كما وردت فى العقد الجديد جواباً على سؤاله عن معنى الحياة والغرض منها .

عاش تولستوى وهو يعلم ان نقاد الأدب فى العالم يجمعون على انه اعظم كتاب الأدب الروائى بغير منازع ... وعرف كذلك انهم اختلفوا على مكانته كمفكر ... ومهما يكن من امر هؤلاء فان تولستوى قضى عمره فى بحث متواصل عن المطلقات فى عالم تنقصه المعرفة وبين ناس يعوزهم الكمال ... وكان هناك ثمة علاقة بين افكاره والأفكار اللبرالية التى سادت فى القرن التاسع عشر ... كان من رايه ان نجاح الحركة التقدمية نحو عالم خال من الطبقات والدول ، يتوقف على نمو الكمال الأخلاقى لكل فرد يراعى القانون الأعلى للحب ويشجب كل الوان العنف .. وهو فى ذلك يناقض الماركسية التى تعتمد على الجبر الاقتصادى والكفاح العنيف بين الطبقات .

جمال الكنانى ـ لندن

سـقراط .. يتحدى

ايها الأثينيون : إنى امجدكم واحبكم ولكن لانى أطيع الله اكثر مما اطيعكم ، فلن أدع الفلسفة مادمت حيا . ساواصل أداء رسالتى . سادنو من كل من يصادفنى فى الطريق وأهيب به قائلا : ألا تخجل يا صاح من انكبابك على طلب الجاه والثروة ، وانصرافك عن الحق والحكمة ، وعن كل ما يسمو بروحك . إن من يحارب مخلصا فى سبيل الحق ، لن يمتد به الأجل إلى حين ، ومن اجل هذا ، فانا لا أخاف الموت : اجل إنى لا اخافه ، ولا أعرف طعمه ، ولعله شيء جميل . غير انى على يقين من أن هجران واجبى شيء قبيح .. ولذا ، فحين اخير بين الموت الذى يحتمل أن يكون جميلا ، وترك الواجب الذى هو من غير شك قبيح ، فانى لا أتردد فى اختيار الأول فورا .

شاهدت مصر احداثاً انتقالية هامة عام ١٨٤١ وذلك عندما وقعت الدول الأوربية بالاشتراك مع السلطان عبد الحميد اتفاقاً فى « لندرة » يقضى بتثبيت محمد على باشا والياً على مصر مدة حياته وعلى الأصقاع السودانية التى فتحها ، وتوليه « سواكن » و « مصوع » لقاء جزية يؤديها عنهما للدولة . ونص ذلك الفرمان أيضاً على الا يتجاوز عدد الجيش المصرى ١٨٫٠٠٠ جندى وان يدفع محمد على ربع ايرادات الجمارك والضرائب لخمس سنوات جزية للدولة ، وان يضرب النقود باسم السلطان

فى ذلك العام الهام فى تاريخ مصر ، ولد عبده الحامولى فى مدينة طنطا ، وتنشا فى اسرة تمتعت بقدر من الثراء حيث كان ابوه تاجراً .

أحمد شفيق أبو عوف

عبده الحامولي

رائد الغناء العربي

١٨٤١ - ١٩٠١

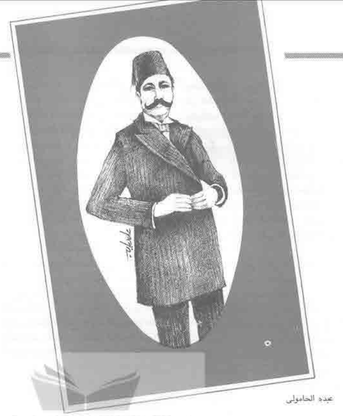
لقب بالحامولى نسبة الى بلده «حامول» من اعمال مركز تلا مديرية المنوفية . ودرس فى الكتاب شان معظم ابناء الريف إلا أنه لم يصب قدراً من النجاح فى دراسته حيث بدأت موهبته الموسيقية تدفعه الى قضاء معظم ساعات النهار والليل فى الاستماع الى المنشدين فى حلقات الذكر والمقرئين المجيدين فى المساجد . لاحظ الوالد انصراف ابنه الى الموسيقى والغناء فاغلظ له القول عساه يعود الى حظيرة الهداية بحفظ القرآن وترتيله . إلا أن موهبة الطفل كانت اقوى من قسوة الأب . واستمر الحال على هذا المنوال ، حتى اضطر الصبى الصغير الى الهرب من بيت أبيه مصاحباً اخاه الأكبر وسارا على الأقدام على غير هدى الى ان القت بهما المقادير عند رجل اسمه شعبان الذى أوى الهاربين تلبية واستجابة لنداء القدر الذى املى أن يهيء رجلاً ليضع أصول الغناء العربى فى مصر . كان شعبان هذا يشتغل بالغناء ويجيد العزف على آلة العود . وخلال الأيام الأولى من اقامة الأخوين الحامولى فى

الخديوى اسماعيل

محمد عثمان

منزله ، استطاع أن يكتشف ان الأخ الصغير صاحب صوت جميل واذن مرهفة حساسة . أخذ «المعلم» شعبان يعطى دروساً فى الغناء للصبي الصغير عبده الحامولي وقدمه فى بعض الحفلات فى مدينة طنطا فاصاب قدراً من النجاح ، الأمر الذى شجع المعلم والصبى ان يرحلا الى القاهرة بحثاً عن فرصة اكثر رحابة للعمل والفن والشهرة. بدأ الحامولى يغنى فى قهوة عثمان اغا التى كانت تتوسط حديقة الأزبكية ونجح فى أول حياته الفنية فى جذب المستمع المصرى الذواق . سعى «المعلم» شعبان الى أن يوثق صلته بهذا النجم الصاعد ، فزوجه ابنته طامعاً فى أن تتوطد الصلات الفنية بينهما . كان محمد المقدم مغنيا يمارس صناعة الغناء قبل حضور عبده الحامولى الى القاهرة ، ولما شعر بالمغنى الشاب يحقق النجاح تلو النجاح اغراه لأن يلتحق بالتخت الذى يعمل معه ، ونجحت مساعيه خصوصاً عندما طلق الحامولى ابنة المعلم شعبان ليلتحق بعد ذلك بتخت محمد المقدم .

وحانت له الفرصة بعد ذلك ليغنى فى



عبده الحامولى

سرادقات الأفراح والاحتفالات الخاصة والرسمية . وهكذا انصرف الناس عن قدامى المغنين الذين سبقوا او عاصروا الحامولى أمثال محمد المقدم ومحمد سالم وعبد الحى حلمى وغيرهم . وما ان اطمان صاحبنا على امتلاكه لناصية الغناء العربى بعد أن بدأ حياته الموسيقية مقلداً ثم تطور وأصبح مبتكراً مجدداً ، حتى انصرف بعد ذلك الى أن يغنى من اعماله بحذق ونبوغ ومهارة فائقة ، فاجاد وامتاز اكثر مما كان يغنى أعمال الآخرين أمثال محمد عثمان وغيره من الملحنين .

رسخت فى موهبة الحامولى عقيدة التجديد فى كل ما يبتكر من جمل موسيقية رائعة وخالدة خصوصاً فى أدواره الغنائية . وفى هذا الخصوص كتب المؤرخ الموسيقى المصرى قسطندى رزق منذ أكثر من ستين عاماً فى كتابه ... «الموسيقى الشرقية والغناء العربى» يقول : «اخذ المرحوم عبده الحامولى بما حباه الله من مواهب فذة فى صقلها وتهذيبها مضيفاً اليها ما عن من النغمات تمشياً مع نواميس الرقى والاصلاح ونغمها بروح مصرية وكساها بجلباب عربى ووسمها بطابع بهيج وذوق سليم فزماه لذلك المحترفون الرجعيون بالزندقة وقاطعوه بشدة لشروده عن الليالى من غنائهم وتبديل نبرة الحلبى بالأنغام المصرية فافرغها فى قالب على اسلوب رشيق ضاربا عرض الحائط بكل الأغانى التى تعتورها الركاكة ويتجاذبها التنافر مما تنقبض له الصدور وتسامه النفوس ، فانتهى به الأمر أن انتصر عليهم جميعاً واضطروا الى الجرى على منهاجه بعد أن باءوا بالذل والخسران» .

الله يصون دولة حسنك

عاش الحامولى فى عصر رأى فيه الخديو اسماعيل يجعل من مصر قطعة من أوربا . وعندما اطمان الى هذه الرغبة تطلع الى الآستانة حيث كانت الخلافة الاسلامية معقودة بها ، فسافر الى هناك فى معية الخديوى اسماعيل ، وأغرق نفسه فى لُجج الموسيقى التركية قديمها وحديثها وتخير منها ما يوائم المزاج المصرى . فلما حضر الى مصر استخدم مقامات موسيقية لم يكن للمصريين سابقة عهد بها مثل مقام «الحجاز كار» الذى لحن منه أدواره الخالدة « كنت فين والحب فين » « مليك الحسن فى دولة جماله » « و الله يصون دولة حسنك » وهو الدور الغنائى الذى قدمته الفرقة الاستعراضية الغنائية فى الكوميديا الموسيقية الخالدة « الليلة العظيمة » واستمر يؤدى على المسرح لمدة عامين متتالين لما فيه من قيم جمالية أسرة أخذت بالباب المصريين والعرب على حد سواء .

تربع الحامولى على عرش الغناء فى مصر بعد ان توفرت لديه عبقرية الخلق واعجاز الاداء ولم تجتمع هاتان النعمتان لرجل واحد فى مصر الا وبلغ أوج الشهرة واوج الثراء واول هؤلاء عبده الحامولى وآخرهم محمد عبد الوهاب . وقد استطاع الأول – وهو لاريب رائد الغناء العربى – أن يجند الفن ويسخر العلم ليضع قالباً موسيقياً جديداً هو الدور الغنائى المصرى الذى جعل له تقليداً فى التلحين والأداء لازال متبعاً حتى اليوم ، ليس فى مصر فحسب وإنما فى البلاد العربية جمعاء . ولاقى هذا القالب قبولا لدى كل مستمع عربى ذواق حيث استهله بالمذهب ليستعرض المقام الموسيقى للدور ثم الجزء الرئيسى (وهو جسم الدور) الذى أبرز مقدرته فى أن يصول ويجول بين المقامات الموسيقية القريبة التى تنتمى الى أسرة المقام الأصلى . ثم يتصيد جملة موسيقية مواتية لتقديم الحوار الغنائى بين المغنى الاصلى ومجموعة الكورس ، هذه الفرصة التى انتهزها معاصره محمد عثمان لتقديم الترديد الجماعى الذى اطلق عليه كلمة «الهنك» . وهكذا استطاع عبده الحامولى بالمامه بالروح المصرية من ناحية ثم درايته العريضة باصول استخدام المقامات المصرية والعربية ، استطاع بكل ذلك ان يوفر الرصانة والوقار والشمول والتنوع والسمو والتاثر الروحى العميق للدور الغنائى المصرى ، علاوة على تفرده



ونبوغه فى الخلق للجملة الموسيقية تنضح بالمصرية وتتضوع باريج العروبة . لذا كتب لأعماله الخلود ، وأصبح فى عصره نجما ساطعا تزدان بصوته السماوى الساحر مجالس الملوك والأمراء والأثرياء وعلية القوم علاوة على عامة الشعب الذى خص لهم جانبا من غنائه دون مقابل لاسعادهم .

الأدوار الغنائية

وإذا فحصنا انتاج عبده الحامولى نجد انه اقتصر على تلحين الادوار الغنائية التى وضع اصولها استجابة للذوق المصرى العام الذى جس نبضه فعرف قصده وادرك مكامن مزاجه واحاسيسه .

ومن أدوار الحامولى المفعمة بالنبض الجمالى دور «فؤادى جد به حالات» مقام راست ومن كلمات الشيخ الدرويش . ودور «مالك الجمال لك السعادة» مقام سوزناك ومن كلمات الشيخ علي الليثى .


اسماعيل صبرى باشا

ودور «يا منية الارواح جد لي بوصلك يوم» مقام نهاوند . ثم دور «انا من هجرك احكى خصرك» مقام عشاق . ثم دور «كان مالى فى حبك كان مالي» مقام صبا . ثم دور «ياللى خليت م الحب» كلمات الشيخ محمد الدرويش ومقام عراق . ثم دور «قلبى فى حبك» مقام راست . ثم دور «عشق الجمال لى جميل» مقام عراق . ثم دور «يحاول عزولى سلو الجمال» مقام نهاوند . ثم دور «مليك الحسن فى دولة جماله» كلمات الشيخ محمد الدرويش ، مقام حجاز كار . ثم دور «فؤادى اسالك قول لى» من كلمات الشيخ علي ابو النصر مقام عراق . ثم دور «انت فريد فى الحسن» كلمات اسماعيل باشا صبرى مقام حجاز . ثم دور «كنت فين والحب فين» كلمات الشيخ محمد الدرويش مقام حجاز كار . ثم دور «الصبر محمود لمثلى» كلمات مصطفى نجيب . ثم دور «شربت الصبر من بعد التصافى» كلمات الشيخ علي الليثى مقام عشاق . ثم دور «الحلو لما انعطف» كلمات اسماعيل صبرى باشا مقام بياتى . وأخيرا دور «سبانى سهام العين» مقام عراق .

وهكذا وضع عبده الحامولى ستة عشر دورا غنائيا تعد كلها ذخيرة لحنية كتب لها الخلود من جهة واصبحت بعد ذلك نبعا فياضا يستقى من ورده كافة المتعطشين الى صياغة الالحان العربية الشيقة والمثيرة والمعبرة عن كافة خلجات النفس المصرية والعربية . لذا فان الدارس لألحان عبده الحامولى بعد الاستماع اليها سوف يلحظ انها تحمل بين طياتها كل ملمح من ملامح الحياة المصرية بما فيها من نشاط واسترخاء وحلاوة ومرارة وحياء وجراة وفقر وثراء . فى الحان الحامولى نلمس طيبة قلوبنا ، وتواكلنا وسرعة فرحنا وافراط حزننا وكل نوازع الخير . فى الحانه تزاحمت عاداتنا خيرها وشرها . وتقاليدنا بسموها وضحالتها . وهكذا فان الحامولى استطاع أن يعكس الروح المصرية فى كل الحانه دون استثناء ومن ثم توفرت اصالتها وكتب لها الخلود .


احمد شوقى

وعندما توفي الحامولى انشد امير الشعراء احمد شوقى قصيدة عصماء فى رثائه جاء فيها :

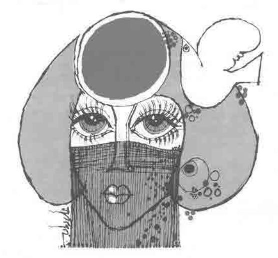
ساجع الشرق طار عن اوكاره
وتولى فن على اثاره
غاله نافذ الجناحين ماض
لا تفر النسور من اظفاره
سلب الفن الحن الطير فيه
والمتين المكين من اوتاره
كان مزماره فاصبح داود ...
كئيبا يبكى على مزماره
(عبده) بيد أن كل مغنى
عبده فى افتنائه وابتكاره
يخرج المالكين من حشمه الملك
وينسي الوقور ذكر وقاره
بصبا يذكر الرياض صباه
وحجاز ارق من اسحاره
وانين لو انه من مشوق
عرف السامعون موضع ناره
زفرات كانها بث قيس
فى معانى الهوى وفى اخباره
يسمع الليل منه فى الفجر يا ليل
فيصغى مستمهلا فى فراره
يحبس اللحن عن غنى مدل
ويذيق الفقير من مختاره
يا مغيثا بصوته فى الرزايا
ومعينا بماله فى المكاره
ومجل الفقير بين ذويه
ومعز اليتيم بين صغاره
وعماد الصديق ان مال دهر
وشفاء المحزون من اكداره

●●

رحم الله الحامولى الذى ازدانت بعبقريته وفنه السماء المصرية والعربية على حد سواء فكتب له الخلود .

احمد شفيق أبو عوف

البحث



شعر : شهاب غانم
دولة الإمارات العربية

وما زلتُ ابحثُ دون انقطاعْ
وما زال يغمرُ دربى الضياعْ
أطوّف فى كل صقع وارضٍ
فحيناً باقصى المشارق اطوى الشراعْ
وحيناً لإقصى المغارب امضى
وحيناً أولّي جنوباً فالقى الرحالْ
وتحت اسنةِ شمسِ الزوالْ
تموتُ حِيالي الرمالْ
وحيناً على العشب تحت أشعةِ شمسِ الشمالْ
وحيناً بغابِ الصنوبرِ اسرحُ فوق التلالْ
اعب الهواءَ العليلْ
واسند ظهرى لبعض الجذوعْ
وافرح بالشمس تلقى الدنانيرَ بين الظلالْ
وترسم لوحاتِ زيتٍ
حَوَتْ الفَ لونٍ ولونٍ من الاخضرارْ
فاذكرُ ما فيكِ من بهجة واشتعالْ ..
وحيناً بشط البحيرات اجثو ،
وألقى على صفحة الماء بعضَ الحصى
وأمضى اناجى الدوائرَ تنداحُ لا تلتقى
كذلك نكبرُ ..
والعمرُ يمضى ولا نلتقى
ويوماً فيوماً سنكبر حتى التلاشى
فيا حلوةَ الروح ..
يا عالماً فى فؤادى رقيقَ الحواشى
ويا وردةً فى بهاءٍ وعطرٍ
ويا سرّ اروع ما قال شعرى
وما لم يقلْه ..
وما لا يقالْ
ويا منبعاً لمعانى الجمالْ
ويا قدحاً بابلىّ الرحيقْ
ويا نجمةً فذةً فى البريقِ وراء غيومِ الدُّجَى تختفى
حنانيك .. رحماكِ .. لا تسرفى
متى ينتهى البحثُ ؟ .. إنى سئمتُ الطريقْ
تعبت .. فمالك لم تتعبى
متى يا حياتى ؟
.... وانى يكون الوصالْ ؟

● ●

قعدت بظل الخميلةِ بالأمسِ وحدى
افكر فيكِ
وارخى عنان الخيالْ
فيطرق ، يطرق فكرى السؤالْ
افكر فيكِ .. فأجزم انكِ انتِ مدى امنياتى
وانك انت القريبُ البعيدْ
ولكنى إذ اطلت التأملَ
.. حين توغلتُ فى عمق أعماق ذاتى ،
هنالك ادركتُ انى اردتُ المحالْ
ومنك طلبت الذى لا ينالْ
لانك وهمٌ عديمُ الوجودْ !!
.. شظايا مثالْ .



كان للعرب

وزراء للنفط منذ القرن الثالث الهجري

بقلم : عبد التواب يوسف

يتصور البعض ان علاقة العرب بالبترول بدات مع الثلث الثاني من القرن العشرين وانهم لم يتعرفوا على النفط الا قبيل الحرب العالمية الثانية باكتشافه في اراضيهم .. لكن كتب التراث العربي تقول بغير هذا .. ان هذه الكتب الصفراء ـ بلون الذهب وقيمته ـ فيها الكثير عن الذهب الاسود، وتحفل صفحات هذه الكتب الثمينة ـ التي حاول البعض جاهدين ان يزهدونا فيها ويكرهوننا على اهمالها ـ بسطور تاريخية عن «النفط» ، يحلو لنا ان نستخرجها من بطون هذه الكتب : ذهبا فكريا ، بعد ان طالت حفاوة اوربا بما يتضمنه تراثنا ، اذ خرجت منه بروائع اسهمت اسهاما خطيرا في حضارتها الحديثة .. وغفلنا نحن عما احتوته هذه الكتب من ثروات تضاهي النفط ، وقد تتفوق عليه .

تعالوا نبحث عما قالته هذه الكتب عن النفط

ابن نفطويه

فى القرن الثاني للهجرة ـ ونحن قد خطونا الى القرن الخامس عشر ـ اشتهر بين العرب شاعران كبيران ، تناقل الناس قصائدهما ، وحفظوها عن ظهر قلب ، ورددوها فى البوادى والحضر .. احدهما هو : ابن دريد ، وكان لغويا مرموقا معروفا فى عصره ، أما الثاني فكان عالم نحو ، واسمه « ابن نفطويه » .. وقد قامت بين الشاعرين مساجلات طويلة وهجا كل منهما الآخر بمرارة ، وتتبع الناس « المعركة » الدائرة بينهما فى اهتمام وشغف ، وصار لكل منهما مريدون ، مرددون لما يقوله كل منهما في الآخر ، يذيعونه ويشيعونه بين الناس ..

وقد استطاع ابن دريد أن يقذف زميله ببيتين من الشعر ، اثارا في ذلك الحين عاصفة من الضحك والمرح ، وحفظهما لنا التاريخ ، كي يؤكد أن العرب قد عرفوا النفط معرفة جيدة ، حتى لقد تسلل الى قصائدهم .. قال ابن دريد :

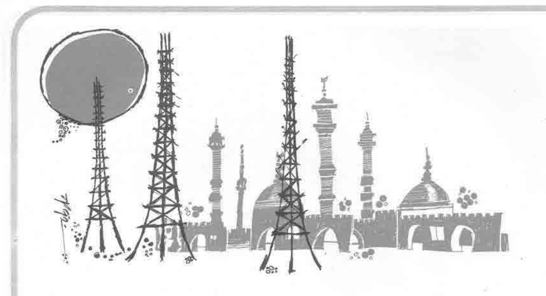
اف لـــذا النحـــو واصحابـــه
قد صار من أصحابه « نفطويه »
أحرقـــه اللـــه بنصـــف اسمـــه
وصـــير البـــاقي صراخـــا عليـــه!!

لقد تلاعب ابن دريد باسم « نفطويه » قائلا : احرقه الله بنصف اسمه ، اى بالحروف الثلاثة الاولى ، وهى « نفط » ، أما نصف اسمه الباقي ، وهو « ويه » فهو صراخ المراة عند الفاجعة ..

إذن ، فقد عرف العرب « النفط » قبل مايزيد على الف عام ، وعرفوا انه يحرق ، وانه مادة مشتعلة .

بيان بن سمعان

وفي عهد هشام بن عبد الملك ـ



الخليفة الأموى ـ اشتهر رجل اسمه «بيان بن سمعان» وفوجيء به الناس يدعي الألوهية ، وأعلن لاصحابه انه يستحق منهم العبادة .. فما كان من الخليفة إلا ان امر رجاله ان ياتوا إليه بهذا «المدعي» ، وحاكمه محاكمة علنية ، وكان واضحاً ان الرجل ـ كما قال عنه قضاته ـ «ملتاث» عقلياً ، ومع ذلك فقد اصدروا الحكم عليه بالاعدام حرقاً !

وكان يوماً مشهوداً ذلك اليوم الذى تجمع فيه الناس فى دمشق وقدموا اليها من كل صوب وحدب ، واحتشدوا فى الساحة الكبيرة يرقبون ذلك الحدث الكبير حرق «بيان بن سمعان» . اوثق الرجل بالحبال ، وامسك الناس انفاسهم وهم يرون الجند يحملون مادة سوداء غريبة ، لا يعرفونها ، وتساءل الناس عنها وهي تسكب فوق راس «الرجل» ، وما كان الكثيرون فى ذلك الحين على علم بها او باستخدامها وعرفوا ساعتئذ انها «النفط» . واوقدت النار فى هذه المادة فاذا بها تندلع عالية اللهب متوهجة ـ وذكرت الناس بتلك النار التى أوقدت لسيدنا ابراهيم عليه السلام ، لكن نار هشام بن عبد الملك لم تكن برداً وسلاما على «بيان بن سمعان» ، بل امتدت السنتها عالية ، محرقة ، مهلكة ، حتى اتت على هذا «المدعي» فى لحظات قصيرة ، وصيرت هذا الاله المزعوم رماداً .. وتناقل الناس الحديث طويلا عن «النفط» كاعجوبة .

القزويني

وقد جاء ذكر النفط فى كتاب «عجائب المخلوقات» للقزويني .. وهذا كتاب يجب ان نتوقف عنده طويلا ، فهو واحد من الكتب التراثية الرائعة ، بل لقد اعتبر الاتحاد السوفييتى «عجائب المخلوقات» من تراثه ، لان مؤلفه ولد عند بحر قزوين، لذلك ترجم الكتاب الى عشرين لغة من لغات جمهورياته ، وطبع منه ما يزيد على خمسين مليون نسخة ! .. والكتاب يعرض لكل المخلوقات الانسان والحيوان والنبات ، البر والبحر والفضاء ، وهو يطوف بقارئه فى سياحة حول هذا كله ويكشف عن كل غريب وعجيب فى مخلوقات الله .. وقد اخذ البترول او النفط الكثير من اهتمام القزويني ، باعتبار النفط من «مخلوقات» الله عز وجل .. وتحدث الرجل طويلا عن معرفة العرب للنفط ، وقال انه كان لديهم للنفط وزراء وولاة يتصرفون فى امره منذ القرن الثالث الهجرى .. الأمر الذى قد يدهش البعض ، لأنهم يتصورون أن منصب «وزير النفط» قد استحدث فى بلدان الوطن العربي كثمرة للاكتشافات الاخيرة .

وتحدث القزوينى فى كتابه «عجائب المخلوقات» عن النفط ، مؤكداً انه علاج ناجح ، ودواء يشفي الكثير من الامراض وعلى راسها الم المفاصل ، والأمراض الجلدية كالجرب ..

حرب البترول

وتناقلت كتب التاريخ احاديث مطولة حول استخدام العرب للنفط كسلاح يحاربون به ويقاتلون الأعداء ، وتحفل صفحات عدة بالكلام عن المعارك العسكرية التى استخدم فيها العرب «كرات النار» ، وقذفوا بها اعداءهم ..

كانت تلك الكرات عبارة عن خرق من القماش يكورونها ، ثم يغمسونها فى النفط ، ويشعلون فيها النار قبل انطلاقها من المنجنيق لتسقط وسط معسكرات الأعداء ، فتحرق خيامهم وتفزع خيلهم وترعب جنودهم .. ان كرات النار هذه كانت واحدة من وسائل النصر والفتوحات والغزوات التى قاموا بها شرقا حتى وصلوا الصين ، وغرباً حتى الأندلس .. وعلى ذلك فليس غريباً ولا عجيباً ـ وقد عرف العرب النفط منذ اكثر من الف عام ـ ان يكتشف ، او يعاد اكتشافه فى ارضنا ، الزاخرة به منذ فجر التاريخ ..



تنويعات على اللون الأسود

بقلم: مصطفى أبو النصر

حاولت ـ عدت مرات ـ أن ادقق النظر لاكتشف كل صغيرة ، ولكنى ـ فى النهاية ـ اقتنعت بفشلي . قلت : لابد أن أبدأ من جديد ، وقلت : قد يكون السبب هو اننى لست شديد الملاحظة ، او اننى لم انظر بالانتباه اللازم ، وقلت اخيرا : ربما يكون بصرى قد اضمحل . ولم يكن فى وسعى ـ فى هذه اللحظة ـ ان اجزم بأى من هذه الأسباب هو الحقيقى . سأبدأ من جديد .

الخلفية سوداء تماماً . لاشيء يشوب هذا الامتداد الأسود . لا توجد نقطة واحدة بيضاء . هذا لا يكفى . لابد ان أتاكد . من الافضل أن أقترب ، وأتأمل الخلفية جزءاً جزءاً ، وبدقة . ربما توجد نقطة صغيرة ، بالغة فى الصغر ، لايمكن للعين المجردة ان تكتشفها . إذن ، من الضرورى أن يكون لدى عدسة مكبرة . ليس لدى عدسة مكبرة . كيف احصل الآن على عدسة مكبرة ؟ من الواضح أننى اختلق العقبات . إذا كانت العدسة

غير موجودة الآن ، فمعنى ذلك اننى يجب أن اتوقف ، واترك العمل ، وارتدى ملابسى ، واغادر البيت ، واذهب لشراء عدسة مكبرة .

اننى احاول ان اعوق كل شيء . احاول ان اجعل من شيء صغير تافه ، ضرورة ملحة يتوقف عليها تقدم العمل كله . إننى اضع نفسى عقبة كاداة ، لا سبيل للتغلب عليها إلا بالتوقف ـ نهائياً ـ عن العمل . هل اتوقف والقى بالريشة ، واترك اللوحة ؟

إن الشك الذى بدأ يسيطر علي ـ الآن ـ هو من قبيل الوهم . من الذى اوحى الي بان نظرى قد بدأ يضمحل ؟ اننى لا اشكو من مرض فى عينى ، ولم يحدث ان احتجت ـ فى يوم ما ـ الى نظارة طبية او شمسية ، فضوء الشمس لا يؤذى عينى حتى فى ايام الصيف القائظ والشمس فى السمت تقذف لهباً حارقاً . هذه هى الحقيقة المجردة . إذن ، لا ضرورة اطلاقا للتوقف ، او للشك فى ان الخلفية السوداء القاتمة ، ربما تكون فيها نقطة صغيرة بيضاء .

اننى ادقق النظر من جديد . لم لا اقترب واعيد النظر ؟ إن ذلك ادعى للتأكد فضلا عن الاطمئنان ومواصلة العمل فى ثقة .

آه .. من الأفضل ان أوجه ضوء المصباح على الخلفية السوداء ، سيكون الضوء مضاعفاً ، ولا مجال ـ بعد ذلك ـ للشك . لقد استحالت الخلفية السوداء ، الى بقعة منيرة من الضوء الأسود . إننى الآن انظر ، اتملى ، احملق . هذا الجانب اسود فعلا ، ولكن ماذا ؟ يبدو أشد سواداً من الجانب الآخر . سابتعد قليلاً وانظر . المساحة كلها سوداء . مامعنى هذا ؟ اقترب من الجانب الآخر . ماذا ؟ إنه سواد مشوب . ماالذى جعل هذا الجانب اقل عمقاً فى سواده من الجانب الآخر ؟ قد يكون السبب هو الزاوية التى وجهت منها ضوء المصباح على الخلفية السوداء . علي إذن أن أغير من وضع المصباح : ان أجعله مباشراً ، حتى يكون الضوء المسلط على سطحها بلا ظل . إن وجود الظل يضاعف من عمق السواد وحدته ، فتزداد قتامته . بالتأكيد هذا هو السبب .

امسكت بالمصباح . بدأت أوجه ضوءه والبقعة السوداء تتضح تماماً . مجرد بقعة سوداء ، ولكن ما بالها لا تقول معنى معيناً ؟ لابد للون ان يقول معنى ما . لا يكفى ان تكون الخلفية سوداء ، ليعتقد المرء انها سوداء ، إن ذلك لا يعنى شيئاً . إن اللون الأسود هو فى واقع الأمر أسود لا يمكن ، ولا اظن ان انسانا يجرؤ على القول بان اللون الأسود هو من وجهة نظر معينة احمر او اخضر او اصفر . ربما أمكن تحليل اللون الى عناصره التى يتركب منها ، غير ان هذا شيء اخر .

حينما نعلم الطفل ، ناتى له بلوحة عليها دوائر ملونة : هذه دائرة حمراء ، هذه دائرة خضراء ، هذه دائرة صفراء ، هذه دائرة زرقاء ، أما هذه فدائرة بيضاء . انظر ، وهذه ـ بالطبع ـ دائرة سوداء . بهذه الطريقة يعرف الطفل الألوان . ولكن هذا ـ بطبيعة الحال ـ لاشيء . مجرد الوان لا معنى لها ، اللون فيها محايد لا يقول شيئاً ، ولا يستطيع النطق لون اخرس . على اننا نقبل هذه الألوان الخرساء ، حينما نكون اطفالا ، وبشرط الا تخرج عن الدوائر ، فان هى خرجت عن محيطها ، لتلون الأشياء ، فلابد ان ينطق اللون .

اذهب مع ابى الى بائع الدراجات ليشترى لى واحدة . اقف واتامل ، عيناى تدوران . احتفال رائع من الألوان . هذه دراجة حمراء ، وهذه صفراء ، وتلك خضراء ، اما هذه فزرقاء . يطلب ابى منى ان اختار . انا فى حيرة . اريد كل الألوان فى دراجة واحدة . الحمراء ظريفة ، الصفراء مدهشة ، الخضراء رقيقة . ساختار . أشير الى الزرقاء . يسحب البائع الزرقاء ، لا .. لا .. أريد الحمراء . انها تنظر الي ، تطلب منى ان آخذها ، إنها الوحيدة التى تكلمنى . ولكن الخضراء لون الجنة ، الجنة خضراء .. والنار حمراء . لا .. لا .. أريد الخضراء . يترك البائع الزرقاء ، ويمسك بالخضراء فيسحبها ، يخرجها من بين الدراجات . تقف وحيدة بعيدة عن زميلاتها . مجرد دراجة خضراء ، تبدو لى منكسة الرأس ، ثم ان لونها ، ماذا ؟ يتحول بصرى بسرعة فلا يقع إلا على الحمراء . الحمراء تنادينى ، انها شجاعة ، تفرض نفسها علي ، تقول لي : أنا الحمراء ، الدراجة الحمراء ، الا ترى ان دراجة صاحبك «عادل» زرقاء ، ولكن انا حمراء . اتعجبك حقا الخضراء ؟ يسحب البائع الدراجة الخضراء الى باب الدكان . صارت دراجتى هى الخضراء . ابى فى الداخل . الدراجة الخضراء تنتظرنى عند الباب . ولكن .. التفت ورائى ، يقع بصرى على الحمراء . إنها تضحك وتسالنى : اتعجبك الخضراء حقاً ؟ إننى حمراء ، سيرانى « عادل » وسيقول : اركب انت الزرقاء مرة ، واركب انا الحمراء مرة . «بابا .. بابا .. اريد الحمراء . » ابى يبتسم . البائع يبتسم ويسحب الخضراء ويعود بها ليضعها بين الدراجات ، ويأتى بالحمراء . الدراجة الحمراء تقترب منى . دراجتى إذن حمراء ، ودراجة عادل زرقاء . دراجتى انا هى الحمراء .. الحمراء .. الحمراء .

ماذا تعنى إذن هذه الخلفية السـوداء ؟ ولكن هل هى حقاً سوداء ؟ اريد أن اسمع صوتها وهى تقول لي : إننى خلفية سوداء تماما . ولكن ماذا تعنى بانها سوداء ؟ يجب أن اسمعها وهى تشرح لي سبب كونها سوداء . هل هى سوداء لمجرد انها سوداء ؟ إن هذا لا يختلف كثيرا لو انها كانت بيضاء أو رمادية او زرقاء . هل هي سوداء لمجرد انها مظلمة ؟ أم انها حزينة ؟ أم لأنها لا تريد أن تكشف عن نفسها ؟ ام لأنها تتظاهر بالوقار والقتامة والجدية ؟ ولكن، لم لا يكون سوادها هذا دليل انغلاقها وانطوائها وكابتها ؟ لم لا تكون كتوماً قليلة الكلام لا تقول اكثر من انها خلفية سوداء ؟ من الضرورى أن يكون سوادها ناطقاً ، لا يعنينى ماالذى يقوله ، ولكن لابد أن ينطق ويقول شيئاً .

حينما ترتدى امراة ثوبا اسود ، فان ذلك يعنى اشياء كثيرة : ربما كانت حزينة . سيقول لي اللون ذلك . لون أسود قاتم ، خال من اى شيء . مجرد ثوب أسود ترتديه امراة . هناك عوامل مساعدة ، كان يكون الوجه عاطلا من المساحيق ، وشعرها ممشط فى بساطة وعفوية وربما فى اهمال ايضاً : فرق فى الوسط ، والشعر مرسل على الجانبين . الحذاء أسود ، والجورب ـ إن كان الوقت شتاء ـ أسود ايضاً . عندما ارى هذه المراة ساقول : « هذه المراة حزينة ، لأنها ترتدى ثياب الحداد . » هنا يقول اللون الأسود انه لون حزين باك ، لون تقطر منه دموع الأسى والفراق . ومع ذلك فان اللون الأسود نفسه ، يستطيع ان يقول شيئاً

تنويعات على اللون الأسود

آخـر .

(حفل مسائى . الحفل مقام فى فندق كبير . القاعة الكبرى تتلألأ بالأنوار . الموسيقى الحالمة تنبعث من فوق منصة فى ركن من الأركان . الموائد مصفوفة على شكل دائرى ، يجلس حولها المدعوون . اللون الغالب هو اللون الأسود . الرجال يرتدون ملابس السهرة السوداء : الصدر أبيض ، ربطة العنق ، فراشة سوداء . ثمة امرأة ممشوقة القوام ، بيضاء ، جيدها اتلع ، تجلس كملكة ، ترتدى ثوبا أسود سابغا ، يلمع لمعة خفيفة ، تضع ساقا على ساق فيبدو طرف حذائها اللامع . فى الصدر ، وفى المنتصف تماما ، هلال من الماس ، يتلألأ ، يشع ألوانا بنفسجية وزرقاء . تعتمد المرأة بمرفقها على سطح المائدة المستديرة التى تجلس بجانبها ، فيظهر سوار من الماس حول معصمها . شعرها أسود صفف بطريقة جعلت منه تاجا فوق رأسها . حاجباها : قوسان رقيقان سوداوان ، سواد قاتم محدد ، غير انه يلقى بظل واهن ـ لا يكاد يرى ـ على الجفنين ، فيضفى على العينين نعاسا يحيلهما الى حلم . هنا نطق اللون الأسود . قال انه لون الليالى الرائعة ، لون الاستعلاء ، لون الظهور ، لون يفرض نفسه ، يحدد قيمة لابسه فيضعه فى مكانه الصحيح) .

يجب ان يصرح لى هذا المسطح الأسود بما فى داخله . لا يكفينى طمس اللوحة به بحيث لا يبدو فيها راس دبوس أبيض . شتان بين أسود وأسود .

سيقول رجل عابر ، وبطريقة مبتذلة ، كأنها بديهية لا تحتاج الى اثبات : ماذا؟! إن هذه الخلفية سوداء ، ألا ترى ؟! إنها سوداء ، هذا كل مافى الامر . لن يحاول بعد ذلك ان يقف أمامها ليتأملها جيدا ، وليتحقق ـ فعلا ـ من كونها سوداء ، او لماذا هى سوداء ؟

ابتعدت الى الخلف قليلا . إننى اقف الآن بعيدا نوعا ما . لماذا لا اجعلها رمادية ؟ إن اللون الرمادى لون متغير كثير الدرجات . كلها رمادية ، ولكن حينما اجعلها رمادية بدرجة معينة ، فان ذلك سيدعو ـ حتما ـ المشاهد الى التفكير . لماذا لم تكن رمادية داكنة ؟ لماذا لم تكن رمادية مشوبة ببياض خفيف ؟ أو لماذا لم تكن رمادية مشوبة بسواد ؟ أو لماذا هى رمادية أصلا ؟ كان الأحرى ان يجعلها سوداء . تلك هى المشكلة التى يجب ان اتوقف عندها . ان اللون الاسود لون صامت ، لون قليل الكلام ، لون كتوم متحفظ ، انه ـ هنا ـ اسود فقط . الالوان الأخرى الوان متكلمة ، ثرثارة ، تتحدث الى من ينظر اليها فتكشف عن نفسها . ولكن ألا يكون ذلك اهدارا للون حقيقى ، وتجاهلا لتلك القدرة الخارقة التى يستطيع اللون الأسود ان يمنحها ؟ .

(هذه امرأة ترتدى السواد . المرأة تجلس فى الاتوبيس متشحة بطرحة سوداء . المرأة جاوزت الستين . على جانبها امرأة فى حوالى الثلاثين ، ترتدى ثوبا زاهى اللون . المرأتان تتحدثان . ام وابنتها . الحديث باسم ، لا هموم ، لا اشجان . لا استطيع ان اقول ان هذه المرأة حزينة ، ولكن يمكننى ان اقول : إنها كانت حزينة ذات يوم . ربما كان ذلك منذ عشرة او عشرين او خمسة وعشرين عاما . حينما مات زوجها . كانت المرأة حزينة حزنا صادقا ، عميقا ، غير انها تماسكت ، واستطاعت ان تعيش وتربى ابناءها . صار الحزن بعيدا . والذكرى شاحبة ، وفى لحظات ربما تتخايل امامها ملامح زوجها ، ولكن ما بال الصورة غير واضحة ، والملامح حائلة ! لقد أتى الزمن على الصورة كلها ، ومع ذلك فهى لا ترتدى إلا الملابس السوداء . صار اللون الأسود لونا مألوفا كبقية الألوان ولم يعد يعنى شيئا بالنسبة لها . ربما فكرت ذات يوم فى ان تستبدله حينما الح عليها أبناؤها ان ترتدى ولو ثوبا كحليا او بنيا ، إلا انها رفضت . لم تقل انها مازالت حزينة ، لم تقل ان ارتداءها السواد مازال حزنا على ابيهم ، لم تقل شيئا من هذا ، انما قالت : « لا يليق وانا فى هذه السن . » فاللون الأسود هنا ليس علما على الحـزن ، وليس احتراما لذكرى رجل مضى ، ولكنه ـ فقط ـ لا يليق بامرأة فى سنها ان تخلعه ، وقد ارتدته فى شبابها)

لقد بدأت أمل النظر الى الخلفية السوداء . بدأت أشعر بشيء ما ، داكن كئيب يتسلل الى نفسى . هل هذا من فعل إطالة النظر الى اللون الأسود ؟ أم لأن الغرفة مغلقة وقد عبق هواؤها برائحة الدخان ؟ .

سافتح النافذة ، ليتجدد هواء الغرفة واستنشق هواء نقيا .

هبط الليل ، ولكن الشارع منير بتلك الانوار الشمسية التى تقتحم العين وتفرض الرؤية . هانذا اعتمد بذراعى على قاعدة النافذة . الشارع تحتى منبسط . السيارات تندفع . إذا نظرت الى شمالى عشيت عيناى من اضواء السيارات القادمة ، فاحولها بسرعة الى اليمين لأعجب بتلك الأضواء الحمراء المتناثرة كحبات الرمان . اننى اتنسم هواء باردا ، هواءً خريفيا يبشر بقدوم الشتاء . ارفع بصرى الى السماء . المنظر متكرر . رقعة سوداء قاتمة . نجوم متناثرة تومض من بعيد . النظر الى السماء لا يقبض النفس ولا يثير الكدر . ربما تكون النجوم هى السبب ، ولكن لو كانت السماء بغير نجوم ، بل انها كثيرا ما تكون خالية من النجوم ، ومع ذلك فان سوادها لا يوحي بكآبة ، كما انه ليس سوادا اخرس لا ينطق . إن سوادها يناجينى ، يقول لي أشياء كثيرة ، انه سواد يحجب ما وراءه من اسرار وأسرار

دخلت وأغلقت النافذة . عدت أتأمل الخلفية السوداء . ماالذى تحجبه ؟ اريد ان أعرف السر . سرها . اقترب من اللوحة ، ابتعد عنها ، أعود فاقترب منها ، لا ألبث وابتعد .

(رجل اعمى دخل غرفة مظلمة ، للبحث عن قطة سوداء ، لا وجود لها)

غدا ، سأغير لون الخلفية .

مصطفى أبو النصر



بغداد في التاريخ

بلند الحيدري

لا أعتقد أن ثمة مدينة فى التاريخ نال من اسمها التحريف والتحوير واختلاف اللغات التى جاءت على ذكرها ، مانال من اسم «بغداد» حتى كاد أن يكون لها ما ينيف على عشرين اسماً . فهى بغداد وبغداذ ، وبغدان ، وبغدين ، ومغذان ، ومغدان ، وبغدام ، ومغدام ، وبهداد ، والزوراء ، ومدينة السلام ، ودار السلام ، وقبة الاسلام ، وحاضرة العباسيين ، ودار الخلافة ، ودار الامارة ، وأم العراق الى غير ذلك من التسميات ، إلا ان ما صح لها واشتهرت به هو ما اجازه أبو الحسن الكسائي ــ توفى عام ٨٠٥م ــ لها بتسميتها « بغداد » على الأصل ، فاحكم بناء لفظها بدالين مهملتين .

وتبعا لذلك اتسعت لها مظان فى كتب التاريخ والسير والجغرافية ، تذهب مذاهب شتى فى تعليل اسم « بغداد » واستصدار الروايات والأباطيل عنها وافتعال احداث لتبريره ، انطلاقا من استقراءات لغوية ساذجة تقوم غالبيتها على الرأى القائل بانها مركبة من جزئين ، ولكل جزء منها معنى فى هذا التفسير او ذاك كالقول بانها مركبة من كلمتين « باغ » و « داد » اللتين تشيران الى بستان « لدادويه » ، وهى عند اخر « بغ داد » وتعنى عطية الصنم ، وهي لدى اخرين « بغ داذ » اى هدية الشيطان ، ويحملها غير هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء ، بعيداً إلى ان تكون مشتقة عن اللغة الصينية ، حيث كانت بغداد فى تلك الأيام مشهورة بكونها سوقاً يؤمه

بغداد في التاريخ

منظر لبغداد فى الليل والأضواء تتلألأ على ضفتي دجلة

الكثيرون من تجار الصين ، وكان اسم ملك الصين يومذاك « بغ » ، فاذا ما انتهوا من بيع تجارتهم ، وقفلوا عائدين الى بلادهم قالوا : بغ داد ، اشارة الى ما حققوا من ارباح واموال فى رحلتهم هذه وانها من فضل الملك « بغ » .

ويرى المسكين جرجس ، الملقب بابن العميد ـ ١٢٠٥ ، ١٢٧٣ ـ ان اسم بغداد مشتق من اسم كاهن معروف كان يقطن في ذات المنطقة ، وانه المسؤول عن ادارة شؤون الكنيسة القائمة هناك ... وهي « الزوراء » لأنها شيدت عند منعطف من منعطفات نهر دجلة ، بينما لا يرى لخرون هذا الرأى ، فالتسمية عندهم وردت بأثر من إزورار القبلة فى جامع المنصور ، الذى قام بتشييد المدينة التى توسطها جامعه وقصره .. وهي مدينة السلام لأنها اقيمت على نهر دجلة الذى كان يكنى بوادى السلام .

وتكاد الحجة ان تنهض براي لنخبة من الباحثين العراقيين كالمطران إغناطيوس فى كتابه « رحلة الى الهند » ومثله المؤرخ يعقوب سركيس ومثله يوسف غنيمة الذين اجمعوا على القول الذى حمله عنهما يوسف غنيمة ، ومفاده « ان اسم بغداد ارمي ، مبنى ومعنى وهو مؤلف من كلمتين ب ، المقتضبة من كلمة بيت عندهم ، وكثيرا ما تقع فيأوائل اسماء المدن مثل بعقوبه وباطنايا وباعشيقا وباغدرا وباجرمي وغيرها ، واللفظة الثانية هى لدادا بمعنى غنم او ضان » .

اقول : تكاد ، لكثرة ما نجد من التصاق حرف « الباء » بعدد من اسماء المدن فى غير قطر من الأقطار العربية ، لولا ما وقع الينا من التنقيبات الأثرية التى قام السير هنري رونبسون فى منتصف القرن التاسع عشر ، وتاكيده من خلال عدد من الرقم ، على وجود مدينة غائرة فى القدم ، مشيدة باجر بابلي ، وفى ذات الموضع الذى شيدت فيه بغداد الخليفة ، المنصور وان







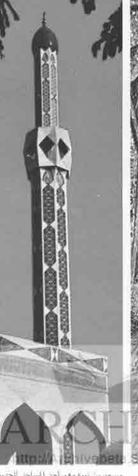
تشتهر بغداد الحديثة بتماثيل الميادين العامة . والصورة لتمثال على بابا والأربعين حرامي .

اسمها قريب من اسم بغداد ، وان قطع الاجر التى عثر عليها فيها كانت مختومة باسم « نبو خذ نصر » وببعض القابه ، وهو ما يؤكده البحاثة رزوق عيسى فى مقال نشرته له مجلة «لسان العرب» للأب انستاس الكرملي ـ ١٨٦٦ ـ ١٩٤٧ ـ يقول فى الصفحة ٣٨٧ من تجميعها الجديد : « ان اسم بغداد قديم إذ ورد فى تاريخ الاشوريين قبل المسيح بألف وتسعين سنة ، فقد جاء فى التواريخ المسمارية الخط ، المكتوبة على الآجر : ان الملك اشور بلكلا رتق ما فتقه ابوه ، فاخذ بغداد واكتسح بابل واضطر الملك مردوك الى ان يطلب الصلح ، وقد وجد العلماء فى نفس مدينة بغداد اجرا كثيرا ، مكتوبا عليه بغداد وبعض الوقائع التى جرت فيها ، وعليه فان القول إن اللفظة فارسية او ارمية او غير تلك هو من باب التكلم على اساس غير ثابت واما معناها فى اللغة الاشورية فلم يهتد اليه العلماء » .

البحر والبر والجيل

وما كانت بغداد الخليفة ابي جعفر ، عبد الله بن محمد المنصور ـ الخليفة العباسي الثاني ولد عام ٧١٤ وتوفى عام ٧٧٥، وحكم مابين ٧٥٤ و ٧٧٥م وإليه ينسب بناء بغداد ـ بمنجاة من مثل تلك التاويلات والشائعات التى تعاورتها العامة ، والتى وصلت ظنتها الساذجة حتى الى الطبرى ـ محمد بن جرير توفى فى بغداد عام ١٩٠٣م ـ إذ زعم ان تشييد المنصور لمدينة بغداد قد جاء تلبية لنبوءة شاعت وذاعت عن بعض كتب الرهبان القديمة تتحدث فيها عن قيام مدينة عظيمة فى يوم ما على نهر الصراة ودجلة ويقوم بانشائها رجل يدعى «مقلاص» ، وان الخليفة ابا جعفر المنصور ماكاد يسمع بتلك النبوءة حتى عقد العزم على تشييدها لان « امى كانت تلقبنى فى صغرى مقلاصا » نسبة الى اسم لص اشتهر بسرقاته





الوان من الزخرفة الاسلامية التى تنتشر فى مساجد بغداد ومبانيها الثرية

مسجد بن نبية وهو احد المساجد الحديثة فى بغداد

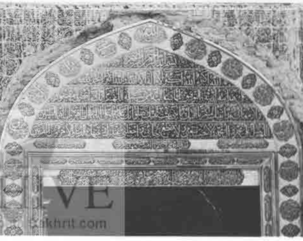
وغزواته ، وانه – اى المنصور – يوم ان كان صبيا سولت له نفسه ان يسرق غزلا باعه لتسديد تكاليف وليمة أعدها لبعض معارفه واصدقائه .

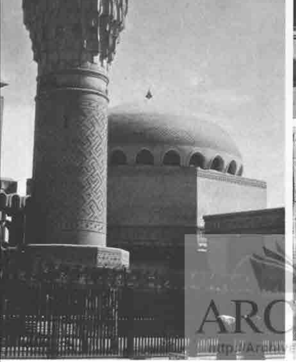
ويتراخى الزمن ، وهمة المؤرخين كثيرا ، فلم يختلف الينا إلا النزر اليسير عن اخبار بغداد ما بين توغل خالد بن الوليد فيها عام ٦٣٤م (١٣هـ) ، وبين قيام ابى جعفر المنصور بتشييدها عام ٧٦٢م ، وان تلك النتف من الأخبار المتفرقة تشير الى انها كانت موقعا لبعض الاديرة التى اقامها رهبان نساطرة ، وأن الملمين بشؤون تلك المنطقة هم الذين اشاروا على المنصور باقامة مدينته فيها ، على ما يروى الجغرافى العربي شمس الدين المقدسي – توفى عام ٩٩٠م – ، وانهم برروا ذلك له بقولهم : انك اذ « تنزل فى بغداد تصير بين اربعة طساسيج ، – جمع طسوج ، اى ناحية – طسوجان فى الجانب الغربي وطسوجان فى الجانب الشرقي ، فاللذان فى الغربي قطربل و بادوريا ، واللذان فى الشرقي نهر بوق وكلواذى ، فانت تكون بين نخل وقرب ماء ، فان اجدب طسوج وتاخرت عمارته كان الآخر عامرا ، وانت يا امير المؤمنين على الصراة ، تجيئك الميرة من الغرب وفى الفرات تجيئك طرائف الشام ومصـــــر وتلك البلدان ، وتجيئك الميرة فى السفن من الصين والهند والبصرة وواسط فى دجلة ، وتجيئك الميرة من ارمينية وما اتصل بها حتى تصل الزاب ، وتجيئك الميرة من الروم وامد والجزيرة والموصل فى دجلة ، وانت بين الانهار لا يصل اليك عدوك إلا على جسر او قنطرة ، فاذا قطعت الجسر واخربت القناطر لم يصل عدوك ، وانت بين دجلة والفرات لا يجيئك احد من المشرق والمغرب إلا واحتاج الى العبور ، وانت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسواد كله ، وانت قريب من البحر والبر والجبل » .

وما ان اقتنع بما اشاروا به عليه حتى انتبذ لمدينته بقعة من الأرض تمتد ما بين الكاظمية والكرخ – منطقتان من مناطق بغداد المتجاورة – على مساحة اختلف فى تحديدها بدقة ، فان نحن اعتمدنا الارقام والقياسات التى اوردها بعضهم لطولها وعرضها وقعنا الى شكل محرف للدائرة ، وإن نحن اخذنا انفسنا بمقاسات غير هؤلاء لمدينة بغداد وقعنا الى خارطة لها ، كاملة الاستدارة ولكن بنسب دون ما يفترض ان تكون عليها ، وتتناقض مع التقديرات المسافية التى اوردت لجدران الاسوار الثلاثة وعرض الشوارع الداخلية والخارجية حيث امر المنصور « .. بان يكون عرض الشارع خمسين ذراعا ، والدرب ستة عشر ذراعا ، ولكل سكة ودرب اسم لقائد مشهور يسكن فيه ، او رجل نبيه ، او اهل البلد الذى ينزلونه » كما يقول الدكتور عبد الجبار الجومرد فى كتابه « المنصور : داهية العرب » ... ولو اضفنا الى ذلك المسافات ما بين الأسوار الثلاثة ، وما بين الأبواب ، ثم سماكة السور الكبير وعلوه وحجم الآجرات المستخدمة للبناء لقطعنا جازمين بان المدينة كانت اكبر مما زعموا وأوردوا من تقديرات .

ولعلنا إن اعتمدنا ما نصت عليه غالبية المصادر التاريخية عن ان ابا جعفر المنصور قد اثر ان يتلمس عيانا سعة المساحة لمدينته وهى مثبتة بوضوح على الأرض فامر بتحديدها بخط دائرى من الرماد ، وان ينثر عليه حب القطن المبلل بالنفط وتوقد فيه النار ليكون له ان يتبين







الى اعلى المدرسة المستنصريه التى انشئت فى العصر العباسى ، وكانت من أهم جامعات العالم . والى اليسار مسجد الخلف ـ من اهم المساجد التاريخية .

من فوق هضبة يرتقيها ، حدود مدينته . ولعلنا لو قدرنا قدرة العين المجردة على الاحاطة بالمنظر . وارتفاع الهضبة ولابد ان يكون قليلا نسبة لطبيعة المنطقة . مضافا الى ذلك المدة التى تم تشييد المدينة فيها وهى اربع سنوات ونيف ، وعدد الصناع الذين انتدبوا للقيام بالعمل وهم قرابة الف عامل وصانع ، ثم نوعية المواد المستخدمة للبناء . لكان لنا ان نفترض أن ما جاء في كتاب « جي . لسترانج » من استقصاءات وتقديرات للمسافات اقرب للدقة بعد أن ناقش ما أورده الآخرون فى كتابه « بغداد فى عهد الخلافة العباسية » حيث يقول: « فتبين لنا من ذلك ان مقدار طول قطر الدائرة الخارجية حول الخندق ، من باب الى باب ، نحو ثلاثة آلاف ومائتى ياردة ، وكانت فى وسط المدينة رحبة مدورة واسعة لم يشيد فى بعض جنباتها ، بادى ذى بدء غير القصور والجامع . إلا انها على توالى الأيام اخذت تزدحم بالأبنية نظير بقية اقسام بغداد . فكانت مساحتها نحو الفى ياردة طولا فى مثلها عرضا » .

وقد قام بوضع اللبنة الاولى ، الخليفة المنصور بيده وهو يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله ، والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ثم اردف : « ابنوا على بركة الله » . واقر لها اسما تعرف به وهو « مدينة السلام » الذى اعتمد رسميا فى المراسلات الحكومية ، كما سكت به النقود . غير ان اسم بغداد بقى هو الاسم الشائع على الالسنة .

وقد اقيم للمدينة فى اول الأمر سوران هما السور الخارجي والسور الكبير . ثم الحق بهما سور ثالث يقوم حاجزا للقصر والجامع اللذين توسطا المدينة ، فتالفت من مجموع تلك الاسوار الثلاثة دوائر تحيط بمركز المدينة حيث الجامع والقصر الذى عرف باسم قصر باب الذهب لأن بابه بالفعل كان مرصعا بالذهب . وقد اقيمت فى السور الكبير اربعة ابواب ترتفع على كل منها قبة عالية وبين الواحدة والاخرى من تلك القباب ، ثمانية وعشرون برجا ، بينما اعتلت القصر قبة فى غاية الفخامة هى القبة الخضراء التى انتصب على ذروتها تمثال من البرونز الاصفر لفارس بكامل عدته ، يدور على نفسه بأثر من مجرى الرياح وقد امسك برمحه الذى يشير به الى اتجاهاتها .

تخطيط المدينة

ويستخلص « جي لسترانج » فى كتابه الآنف الذكر ، فى اراء من ارخوا لمدينة بغداد فى هذه الفترة بان الخليفة « المنصور اول من ابتكر فى تخطيط المدينة الاسلامية هذا النوع من الأسوار المحيطة بالرحبة المركزية ، وكان من رأيه ان المدور من حيث قسم كان مستويا ، لا يزيد على هذا ولا هذا على هذا ، فيكون السلطان على بعد واحد من الجميع » وذلك رغبة فى ابراز وتاكيد روح العدل والمساواة بين الرعيه كما توحي بها خطوط الدائرة واستداراتها وحسب خصوصية كل فئة من الفئات التى يتعامل معها .. ولعله بسبب من ذلك ، انتدب ، او اجبر الامام ابا حنيفة النعمان ابن ثابت على ان يكون واحدا من اربعة مراقبين آخرين عهدت اليهم مهمة مراقبة سير العمل فى انشاء مدينة بغداد والتكفل بشؤون وأمور البنائين والمساحين والحرفيين الذين استقدموا من كل حدب وصوب ليتفاضلوا بابراز مهاراتهم





● يعتبر النخيل من اكبر ثروات العراق حيث يوجد بالملايين فى ارض الفراتين ويحيط بالعاصمة بغداد وان كانت كثافته تتركز فى البصرة وشط العرب والمنطقة الوسطى .

فى هذه المدينة المتميزة بكونها احد الانجازات الرائعة فى تاريخ المعمار الاسلامي ، رغم قصر الفترة الزمنية التى شيدت بها ، ورغم انه كان بالامكان ان ينجز العمل فيها باقل من تلك لو لم تشغل الخليفة ابا جعفر المشاكل الجانبية والفتن الداخلية التى اضطرته الى أن يرجىء بسببها مواصلة العمل فى بنائها غير مرة .

ويوم ان استوت على قدميها ، امر بشق قناتين لها تتكفلان ، بايصال المياه اليها ، عبر مجار من الخشب السلج ، يرفد الاولى منهما نهر دجلة ويرفد الثانية نهر الفرات وكان ان أوصل بين القناتين عدداً من القنوات المعقودة بالآجر تقوم بتوزيع الماء على جهات المدينة المختلفة .

اما ابواب الاسوار فقد تم اعدادها واقامتها بحيث يكون لاحداها ان تنفتح على مثيلتها فى السور المقابل لتؤدى بالتالى الى شبكة من الطرق الرئيسية ، توصل ما بين مركز المدينة والخارج ، وقد اطلق على كل باب من تلك الابواب اسم يعرف به ويحدد توجهه والسبل المؤدية اليها ، وهي :

اولا : باب البصرة

ويقع فى القسم الجنوبي الشرقى ، ومرماه الى حيث الارباض المنتشرة على شاطىء دجلة ومصب فروع نهر عيسى .

ثانيا : باب الكوفة

وموقعه فى الجهة الجنوبية الغربية ، ويسير بنا الطريق المتصل به جنوبا نحو الحج ، وان كلا من بابى البصرة والكوفة يشرفان على نهر دجلة ويتصلان بالجسر الكبير ، ومنه الى حيث هاتان المدينتان اللتان طالما تقاسمتا ابرز النشاطات الحضارية العربية .

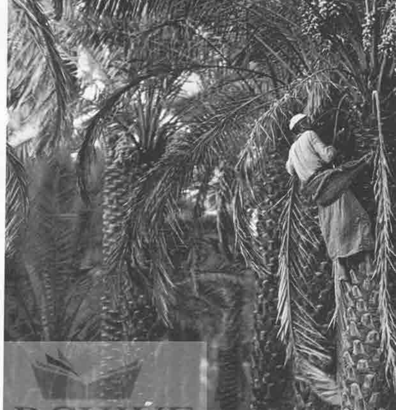
ثالثا : باب الشام

ويقع فى الشمال الغربي ومنه يتفرع فرعان ، يتجه احدهما يسارا فى الطريق الى الانبار والثاني يتجه يمينا الى حيث المدن القائمة على ضفة دجلة الغربية شمال مدينة بغداد .

رابعا : باب خراسان

ويدعي المؤرخ المشهور علي بن الحسين المسعودى ــ توفى عام ٩٥٦ م ــ بانه كان يطلق عليه قديما ، اى يوم تشييده ، اسم «باب الدولة» او «باب الاقبال» وانه يؤدى الى نهر دجلة ، ولعل سبب تسميته بباب الدولة او باب الاقبال يعود الى ان الخليفة المنصور كان يقضي فى الغرفة المقامة عليه اكثر ساعات نهاره ، مترصدا المقبلين عليه والوافدين لعرض شؤونهم وشتى قضاياهم وشكاواهم .

ويصنف المؤرخون مصادر تلك الأبواب التى اقيمت فى الاسوار بمصدرين رئيسيين ، فمنها ما امر بصنعها الخليفة نفسه طبقا لما تستوجبه طبيعة الاسوار ، ومنها ما يعود بها الزمن الى أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى سنة ٧٠٣ م ، وانها كانت من بعض ابواب مدينة واسط ، وهى تتمايز بشدة ضخامتها وثقل اوزانها بحيث لا يمكن ان تفتح او تغلق إلا بتعاون رهط من الرجال الأشداء ، وان الواحد منها ، كما يصفه احمد بن واضح اليعقوبى ــ توفى عام ٨٩٧ م ــ يتسع لدخول فارس منه وقد رفع رايته عاليا ، او رامح وقد شهر رمحه الطويل ، دون أن يكون اى منهما بحاجة الى امالة علمه او احناء رمحه ، وهو قول يتجانس ويتناسب ما وصل الينا من علم بمتانة الأسوار ، التى يقف بينها السور الكبير كالمتراس ، مزهوا بشموخه الذى يبلغ تسعين قدما ، وان سماكة عرضه فى القسم العلوى منه تحد الى مسافة اثنتى عشرة باردة ونصف الباردة ، وان تلك الأسوار كانت تحيط برحاب المدينة من كل جوانبها ، وبطرقها الجانبية والفرعية ، التى اظلتها عن الشمس ، صفوف من الطوق ذات الأشكال المتناظرة ، تتوزع بينها اسواق المدينة



ويوجد بها ٣٢ مليون نخلة .

التي سرعان ما امر الخليفة باجلائها عن مكانها داخل الأسوار وإقامتها في بعض مناطق الكرخ حفظا على نظافة المدينة ودفعا لضوضاء الأسواق .

وقد اسهبت كتب التاريخ لتلك الفترة في وصف قصر الخليفة ، وجامعه ، باعتبارهما أبرز معالم مدينة بغداد المنصور ، من حيث جمالها وضخامتها وما أفرد لها من فسحة تحيط بهما وقد اخليت من الابنية باستثناء مركزين للحرس والشرطة ، ثم يليها وتدور معها كما يقول اليعقوبي « منازل أولاد المنصور الأصاغر ، ومن يقرب من خدمته من عبيده ، وبيت المال وخزانة السلاح وديوان الرسائل ، وديوان الخراج وديوان الخاتم ، وديوان الجند ، وديوان الحوائج ، وديوان الاحشام ومطبخ العامة وديوان النفقات » ، وكان المسجد الذي شيد على يد القاضي الحجاج بن أورطه ـ توفى عام ٧٦٢م ـ ملاصقا للقصر ، ويرى بعض الدارسين بان سبب انحراف المسجد عن القبلة قد جاء نتيجة لهذا الالتصاق بالقصر وتمشيا مع تشييده على موازاته .

وتقدر مساحة المسجد بما يساوي ربع مساحة القصر ، ثم ازدادت اتساعا تبعا لتزايد عدد المصلين فيه ، وقد جدد بشكل جذري على عهد الخليفة المعتضد ـ ولد عام ٨٥٧م وتوفى عام ٩٠٢م ـ وزين سقفه بالاهلة المذهبة وتوزعت جدرانه نطاقات مرصعة بقطع الفسيفساء الخضر المحاطة بالواح من الخشب الساج ، ويقدر الطبري في كتابه « تاريخ الأمم والملوك » ما أنفق « على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والاسواق والفصلان والخنادق وقبابها وابوابها » بحوالي ثمانية عشر مليون دينار من الذهب اي ما يعادل تسعة ملايين دينار من العملة العراقية الحالية .

وعلى مستوى ما كان لحكم الخليفة المنصور أن يستتب ويتوطد كانت مدينة بغداد تتسع خارج اسوارها الثلاثة ، فتعمر الارباض الرحبة المصاقبة لها بالابنية والأسواق ، وكان الربض العظيم المتد من باب الكوفة الذي يعرف باسم «الكرخ» حيث خص له بان يكون ملتقى للتجار يتبادلون فيه بضائعهم ويتجرون ويساومون عليها بعد أن اصدر الخليفة المنصور أوامره بمنع البيع والشراء داخل أسوار المدينة ، ويزعم بعض الدارسين بان اسم «الكرخ» قد اخذ من اسم احدى القرى التي كانت مقامة في ذات الموقع قبل الاسلام .

وقام غرب المدينة ربض «باب المحول» ، وكان في شمال باب محلة الحربية ، وان اسم هذه المحلة ينتسب الى اسم قائد من قواد أبي جعفر المنصور ، عرف باسم «حرب» ، كانت قواته تعسكر في تلك المنطقة .. وتقع خلفها مقابر قريش من الجهة الشمالية ، وعلى مقربة منها محلة «باب التبن» وفيها يقوم مشهد الامام موسى بن جعفر الذي احاطت به مدينة الكاظمية الشاخصة الى يومنا هذا .

ويروي اليعقوبي في كتاب البلدان ، ما صار لمدينة بغداد من مكانة مرموقة وجمال اخاذ قائلا : «إن ابا جعفر وزع عند الانتهاء من بناء المدينة القطائع خارج اسوارها ، وفي الجانب الشرقي من نهر دجلة ، على خاصته ورجال دولته وكبار القادة ، فعمرت بالأشجار والبساتين واجريت المياه فيها ، وبنيت القصور ثم أصبحت فيما بعد رقعة خضراء ذات جمال وبهاء ، واخذت المباني تنتشر فيها حتى بدت بقصورها وضواحيها من اعظم مدن العالم في ذلك العهد» .

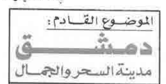
وقد امتدت حركة العمران والبناء الى الجانب الشرقي فعرف بعسكر المهدي نسبة الى الخليفة المهدي بن منصور ٧٤٤ ـ ٧٨٥م الذي شيد فيه قصره وانشأ على مقربة منه المسجد الجامع .

ثم كان ان اتسع اكثر فاكثر الجانب الشرقي من بغداد حيث قامت فيه ثلاثة محلات هي :

- محلة الرصافة المطلة على نهر دجلة ، وفيها مشهد الامام ابي حنيفة «٦٩٩ ـ ٧٦٧ م» الذي احاطت به منطقة الأعظمية العامرة الى يومنا هذا .
- محلة الشماسية وتقع فوق محلة الرصافة على نهر دجلة .
- محلة المخرم وتقع تحت محلة الرصافة .

ويحيط بمجموع تلك المحلات سور نصف دائري ، مبتدئا من الجهة الشمالية لمحلة الشماسية ، ومنتهيا بالجهة السفلى من محلة المخرم وعلى محاذاة للنهر ، ولم يبق في هذا السور ما يدل عليه عيانا ، ففي الفترة الزمنية التي امتدت طوال خمسة قرون للخلافة العباسية ، شهدت بغداد تغيرات كثيرة أصابت خططها وارباضها بسبب من اتساعها من ناحية وبسبب ما اصاب بعض اقسامها الأخرى من خراب نتيجة الحروب الداخلية التي اتقدت اثر وفاة الخليفة هارون الرشيد من ناحية ثانية ، ومن ناحية ثالثة ما كان من اثر عليها بسبب انتقال مركز خلافة المعتصم «٧٩٥ ـ ٨٤٢ م» من بغداد الى سامراء ، ودفعها الى المركز الثاني ، إلا ان عودة مركز الخلافة اليها ثانية بعد قرابة خمسين عاما اعاد اليها الشيء الكثير من رونقها السابق .

بلند الحيدري





الحاكم المتوج تحوط به الحاشية .

ماجد يوسف

عبقرية الإبداع الإسلامي بين مقامات الحريري ....

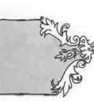
● يكاد يجزم المؤرخون للفن بأن فن الرسوم المصاحبة للكتب الأدبية هو فن عربي اسلامي خالص ، وبرغم انه لم يصل الينا شيء من هذا الفن قبل هذا التاريخ - ربما من القرن التاسع الميلادى على الأقل - ما يشير الى معرفة العرب لهذا الفن ، وإن كان ما وصلنا منه فعلا يعود الى القرن الثالث عشر الميلادى .. ولعل اشهر هذا الذى وصلنا أن يكون المخطوطات العديدة لمقامات الحريرى المصورة ، واقدمها والمحفوظة بمكتبة باريس الأهلية .



مأتم

....ومنمنمات الواسطى

والجدير بالملاحظة أن هذه المخطوطة هى أول عمل فى التصوير الاسلامي يعرف منشؤه على وجه التحديد .. كما وانها تعد من أهم المخطوطات افصاحا عن الخصائص الفنية لمدرسة بغداد فى التصوير الاسلامي .. ولعل وجود هذه المخطوطة قد دحض بما لا يدع مجالا للشك تلك المقولة الخاطئة والشائعة حول الفن الاسلامي وكيف انه غير انسانى ولا يفصح عن شخصية مبدعه .. فنحن مع مخطوطة الواسطى بإزاء شخصية فنية متبلورة ، ولها سماتها



عبقرية الابداع الاسلامي
بين مقامات الحريري..

المتميزة ورؤيتها الواضحة والخاصه لواقع مجتمعها وعصرها .

ومع أن الواسطي جمع فى منمنماته بين التأثيرات المسيحية الشرقية والتأثيرات الايرانية ، إلا أنه خلق من كل ذلك اسلوباً اسلامياً خاصا به من ناحية ، وخاصا بالتصوير الاسلامي من ناحية ثانية ، فلقد تجلت فى هذه الأعمال خصائص مدرسة متقدمة وأصيلة من مدارس التصوير الاسلامي هي « مدرسة بغداد » حتى اعتبرت مخطوطة الواسطى ـ بحق ـ اكمل مثال لهذه المدرسة فى التصوير ، وأوضح نموذج وصل الينا لمنهجها فى الرؤية والأداء ، ولقد كان لتنوع موضوعاتها ما بين مشاهد الطبيعة والحياة اليومية والدينية والقضائية وما عبرت عنه من اشكال العمارة والبناء .. اثره فى كونها اضحت خير شاهد على هذه الفترة الهامة من تاريخ الحضارة الاسلامية .

منمنمات الواسطي

وكما كانت المقامات نفسها مرآة صادقة لمشاكل العصر وصراعاته وطبيعة علاقاته وتركيباته الاجتماعية .. كانت منمنمات الواسطي تنويعة تشكيلية وبصرية على اللحن الاجتماعي الناقد الذى عزفه الحريري بمقاماته ، وإن لم تكن بحال مجرد تابع للعمل الأدبي .. وإنما تحدد فضل العمل الأدبي فى انه كان مصدر وحي والهام فجرا الطاقة الابداعية لدى الفنان الكبير ، فكانت المقامات المكتوبة بالنسبة لموهبته محض متكأ مبدئى انطلق منه الفنان ليحلق فى آفاق عالية ولذلك كان من الطبيعي أن يتجاوز الواسطي عن الكثير من احداث المقامات المكتوبة ويقف عند بعضها فحسب ، وهذا البعض الذى كان قادراً أن يعطي الفنان اقصى قدراته على التصوير والتعبير .

والجدير بالملاحظة ان تلك المشاهد التى استوقفت الفنان فى المقامات الحريرية كانت هي المشاهد المفعمة بامكانات هائلة على تصوير أعرض القطاعات فى المجتمع العربي الاسلامي وأبرز اللمحات فيه وتلك القادرة بذاتها أن تشكل أكثف اللحظات المعطاءة من ناحية التشكيل ، أو بصيغة أخرى ، لقد نجح الواسطى فى استخلاص كل الممكن التصويرى من المقامات الأدبية ، ولذلك فليس غريباً أن نعرف من قراءتنا لتاريخ الأدب والفن أن هذه المقامات قد التف حولها المصورون فى مختلف العصور يستلهمونها في منمنماتهم ، حتى وصل التصوير الاسلامي الى القمة من خلال محاولاته العديدة والمتصلة لتصوير المقامات .. وبرغم السمة الزخرفية الواضحة التى تغلب على منمنمات الواسطى لمقامات الحريرى فى معالجاته للموضوعات المختلفة ، إلا اننا لا نبالغ إذا قلنا ان

● رسم لفيلسوف اثناء عمله .



.. ومنمنمات الواسطي

أداءه اتسم بقدر كبير من الواقعية بمنظور عصره ، ونكاد نصل من خلال أعماله على بانوراما كاملة وعريضة لهذا العصر .. بملابسه وأسواقه ومتاجره ومساجده ومكتباته وسفنه وعماراته وملاعبه وعاداته وتقاليده . وكل ما يخطر على البال من التفاصيل الدقيقة للحياة بكل جوانبها ومناشطها .

السمات الفنية

وإذا انتقلنا الى السمات الفنية الخاصة بفن الواسطي فسيلفت انظارنا للوهلة الأولى مفهومه الخاص والمتميز للمنظور ، وهو هنا مفهوم لا يمت الى مفهوم « الرينيسانس » التقليدي ، بل ان الفنان المسلم يبتكر منحاه الخاص في التعبير عن البعد الثالث دون التزام بقواعد المنظور الهندسية .. وإنما يكاد منظوره هنا ان يكون منظورا معنويا يتأتى عن طريق تسليط الضوء على بعض عناصر اللوحة دون سواها ، او باسباغ الأهمية على أجزاء في العمل عن طريق المساحة واللون والكثافة والنغمة تجعلها أول شيء تراه عين الرائي ، والواسطي بهذا المنهج يؤدي بطريقة تشعر المشاهد بوجود الأبعاد الثلاثة دون الارتباط بقواعد المنظور .. ويقتصر الواسطي في منمنماته على استخدام عدد محدود من الألوان .. ويكتسب اللون المفرد في أعماله أهمية فكرية وشعورية وحسية بقدر علاقته بالألوان المحيطة وتتميز الشخوص في رسومه برؤوس كبيرة الحجم ، وبرغم لا لواقعية النسب لدى شخوصه إلا أنهم يفيضون بالحياة والحيوية ، والوجه في أعماله ليس وجها نمطيا – وإن كان محايدا في تعبيره – وإنما نكاد نلمح ملامح خاصة وشخصية لكل بطل من أبطال منمنماته ، كما لا يغيب عن المشاهد محاولاته للتعبير عن مضمون الشخصية المرسومة من خلال حركات الأيدي والأجسام .



● تحضير الدواء – من منمنمات الواسطي



● أبو زيد أمام حاكم (رحبة) في إحدى المقامات التي تصور النفاق والشر

الواسطي ومدرسة بغداد

وإذا انتقلنا من هذه الخصائص الخاصة بالفنان الواسطي لنرصد تلك السمات المشتركة بينه وبين مدرسة بغداد .. فسنجد أنها تتلخص وبشكل رئيسي في التناول الزخرفي للعالم .. فالطبيعة تنعكس في أعمالهم انعكاسا زخرفيا .. فمثلا .. حينما يصور الواسطي قصرا أو بناية لا يهتم بالحقيقة البصرية الواقعية للقصر أو البناء ، وإنما يحوره تحويرا زخرفيا يشير إشارة رامزة – وإن كانت معبرة – لهذا القصر أو تلك البناية .. أو حينما يستدعي خلفية من الطبيعة لشخوص منمنماته نراه يكتفي بشجرة أو شجرتين لا أكثر ليوحي لنا بالطبيعة

فالتمثيل الطبيعي هنا ليس همه الأساسي وإنما التمثيل الدلالي أو الاشاري .. والواسطي شأنه شأن مدرسة بغداد في التصوير الاسلامي لا يلقي بالا لتفاصيل أجزاء الجسم أو التشريح بالمعنى الحديث ، ولا يلتزم النسب بين الأعضاء .. وقد يجمع بين مشهدين في صورة واحدة .. وبرغم ما تبدو عليه الوجوه من حيادية التعبير وكأنها أقنعة إلا أن مسحتها العربية لا تغيب عن المشاهد .. الى غير ذلك من الملامح والسمات .

ويبقى من المؤكد أن مخطوطة الواسطي لمقامات الحريري واحدة من روائع التصوير الاسلامي ومدرسة بغداد وأن الفنان العربي يحيي بن محمود الواسطي كان فنانا واقعيا مسلما عاش في العصور الوسطى .

ماجد يوسف



المثال جمال السجيني

أعلن الحرب على أتباع المدارس الأوربية في فن النحت

صبحي الشاروني

مصر التى انجبت المثال «محمود مختار» ، انجبت ايضا «جمال السجينى» .. كان الاول ريفيا عاش طفولته بين الحقول ، وكان الثانى قاهريا تفتحت عيناه على حارات احياء الجمالية وباب الشعرية بجوار دكان نجار حيث كانت النجارة هى حرفة اسرته ...

ولد السجينى فى ٧ يناير عام ١٩١٧ ، وما إن تخطى المراهقة حتى بدات اسرته الرقيقة الحال فى البحث عن عمل حرفى لينخرط فيه ويترك التعليم نهائيا . اقترح الفنان الرائد يوسف كامل على اسرة الفتى ان يطرقوا ابواب الدراسة فى «الفنون الجميلة» ، واجتاز جمال السجينى اختبار القبول بتفوق ، وتعرف على اسرار الابداع الفنى ، واساليب اقامة التماثيل مضيفا خبراته البصرية وما اخترنه من اشكال خلال حياته ...

ظهر نبوغه مبكرا ، ففى ١٩٣٧ فاز «بجائزة مختار للنحت» وهو لم يزل طالبا يدرس الفن .. وعندما تخرج ١٩٣٨ حصل على دبلوم فن النحت بدرجة ممتاز .

كانت دراسته على يدي الفنان الفرنسي «كلوزيل» وهو من اتباع الفنان الرومانتيكى «رودان» الذى اهتم بالتعبير عن العواطف المتاججة والمواقف الحالمة فى فن النحت ، بالاضافة الى لمسة «تاثيرية» فى طريقة الصياغة تجعل ملامح التمثال تبرز بغير تحديد وكانها لم يتم نحتها او كانها تعرضت لعوامل التعرية بعد ان كانت مكتملة الدقة .

تمثال العروسة
متحف الفنون الجميلة بالاسكندرية



مزارع، تصوير زيتي من أعمال الفنان ١٩٧٣

● ظهر نبوغه مبكرًا ففي عام ١٩٢٧ فاز بجائزة مختار للنحت وهو لم يزل طالبًا يدرس الفن

● بدأ السجيني مراحله الفنية بالاتجاه الرومانتيكي.. بينما وصف البعض هذه المرحلة بأنها واقعية اجتماعية

● كانت حالات البؤس والمآسي هي التي تشغله. وكان يعتقد أن مهمة الفنان هي تصوير مشاكل الناس

● قامت الحرب العالمية الثانية فقطع دراسته في باريس وسافر إلى إيطاليا لنفس الهدف. لكن الحرب أعادته للقاهرة

المثال جمال السجيني

هكذا بدأ السجيني مراحله الفنية بالاتجاه الرومانتيكي .. بينما وصف البعض هذه المرحلة بانها «واقعية اجتماعية» تميزت بالثورية والاحتجاج . لكن الحقيقة هي ان الجانب الثوري في اعمال السجيني الاولى كان يتعلق بالموضوعات التي تناولها فقط ، اما الاسلوب فكان استمرارا لاسلوب الفنان الرائد محمود مختار الذي توفي عام ١٩٣٤ بالاضافة الى التعاليم الاوربية التي سار عليها المثالون المصريون حتى منتصف الاربعينات .

وصف السجيني اعمالـــه في هذه المرحلة بقوله : «كانت حالات البؤس والماسي هي التي تشغلني ، وكنت اعتقد ان مهمة الفنان هي التعبير عن مشاكل الناس التي كنت اراها من زاوية عاطفية . لهذا كان اسلوبي رومانتيكيا لانني اعتقدت انه افضل الأساليب الفنية التي تتلاءم مع هذه الموضوعات ، كان ذلك عام ١٩٣٨ عند بدء حياتي الفنية ، ولكنني انتقلت بعد ذلك الى مراحل ثورية في الاسلوب وفي الموضوع» .

كما ذكر في حديث اخر حول مكونات فنه فيما يشبه الاعترافات : «حقيقة انى تاثرت في بداية حياتي الفنية منذ كنت طالبا بمدرسة الفنون الجميلة بماساة التعبير والتشكيل عند المثال الفرنسي «رودان» إذ وجدت في ثنايا «تشنجاته» التشكيلية ترديدا عجيبا للنغمة الحزينة التي كنت اعيشها وتعيشها معي بيئتي المصرية . ثم سافرت الى فرنسا عام ١٩٣٨ عقب تخرجي مباشرة وعشت فعلا مع «رودان» في اعماله الموجودة بباريس . طوال هذه المدة كنت اعيش درامية التعبير» .

كان سفره عقب تخرجه لاستكمال دراسته يشبه نوعا من معاندة القدر .. فقد واجهته الظروف العالمية وكانها تتكاتف على احباطه .. لقد عمل معيدا بكلية الفنون الجميلة وحصل على البعثة ليستكمل كفاءته في تدريس الفن لكن الحرب العالمية الثانية اندلعت فقطعت بعثته واضطر للانتقال الى ايطاليا ليكمل دراسته هناك . ومرة ثانية قطع بعثته عندما دخلت ايطاليا الحرب ضمن دول المحور ضد الحلفاء وعاد الى القاهرة دون ان يبلغ هدفه ولينتظر سنوات طويلة مملة متضرعا الى الله ان تضع الحرب اوزارها ويعم السلام ليستكمل فرصته التي اخفق في تحقيقها من قبل .

بدأ مشاركته الايجابية في المعارض العامة ابتداء من ١٩٤٢ بتماثيله العاطفية الرومانتيكية الاتجاه .



سيد درويش ــ جبس

صوت الفنان

تعتبر اعوام الحرب العالمية الثانية بمثابة الفترة التي دخل فيها الفن الحديث مصر ، وقد بدأ الاسلوب الحديث ظهوره في فن الرسم والشعر قبل الحرب العالمية من خلال جماعات «الدعاية الفنية» ، و «الفن الحر» ، و «المحاولون» و «الفنانون الشرقيون الجدد» ، وفي خلال الحرب تكونت جماعة «الفن والحرية» و «الفن المعاصر» و «جانح الرمال» و «الفن المصري الحديث» وغيرها .. ويلاحظ ان كل هذه الجماعات كانت تضم رسامين وادباء ولا تضم اى مثال .. فقام جمال السجيني مع مجموعة من زملائه الرسامين والنحاتين الشباب في ذلك الوقت بتكوين جماعة «صوت الفنان» ، التي مارست نشاطها لمدة عامين ونصف عام . وقد ضمت هذه الجماعة عددا من المجددين في الفن .

وهكذا بدأ ميلاد العلامة الثانية في تاريخ النحت المصري الحديث بعد «محمود مختار» الذي وضع العلامة الاولى .. وذلك لان اتباع محمود مختار ومقلديه ظلوا طوال الفترة الممتدة من عام ١٩٣٤ حتى انشاء جماعة صوت الفنان لا يجرؤون على مناقشة المقاييس الجمالية التي اتبعها مختار او تلك التي تعلموها من الفن



توفيق الحكيم ـــ جبس

الاوربى التقليدى .. حتى جاء السجينى واعلن الثورة من خلال جماعته ، على اسلوب محمود مختار فى النحت وعلى تقاليده الفنية .

كان السجينى ابن مرحلة الاضطراب والتململ التى شهدتها مصر طوال الاربعينات ، وقد تطور ونضج خلال هذه السنوات التى تعتبر سنوات التكوين بالنسبة له .

بدا يتبع الأسلوب الرمزى فى صياغة تماثيله بعد ان كانت اعماله تعتبر امتدادا لأسلوب الفنان «رودان» الرومانتيكى . إن الأسلوب الرمزى يزدهر خلال فترات الكبت وتقييد الحريات كاداة لمقاومة هذه الظروف .. والفنان الرمزى يكثف الفكرة المعنوية ويركزها فى رموز قليلة تعبر عنها ، فيعبر عن الفجر بالديك الذى يصيح وفى نفس الوقت يرمز به الى الثورة المنتظرة ، وعندما يصور الفلاح او العامل يبالغ فى حجم قدميه وكفيه للتعبير عن استخدامهما فى الانتاج ، ولتمجيد العمل اليدوى فى نفس الوقت .. وهكذا التزم السجينى بالتعبير عن المشاكل الاجتماعية والظروف السياسية فى معظم اعماله طوال تلك المرحلة .

كان المثالون الأكبر سنا من السجينى لا يوقعون على تماثيلهم .. لم يكن هذا التقليد متبعا فى فن النحت ، الرسامون فقط هم الذين كانوا يوقعون على لوحاتهم .. بل ونادرا ما قام نحات بانبات توقيعه على لوحة من النحت البارز قام بصياغتها .

ابتدع جمال السجينى فكرة التوقيع على التماثيل فحفر الحروف الاولى من اسمه متداخلة ليصنع منها شكلا غريبا مميزا ، لكنه جميل فى استدارته حيث يتحقق لاسنان السين ايقاع موسيقى داخل استدارة الجيم .. وهكذا اتبع المثالون الاصغر سنا وكلهم من تلامذته تقليد التوقيع باسمائهم على تماثيلهم من بعده .

الى باريس

الفنان الرائد «يوسف كامل» استاذ الرسامين التاثريين المصريين جميعا ، هو صاحب الفضل فى اقتراح التحاق جمال السجينى بالفنون الجميلة .. وقد ظل الفنان الشاب وفيا لأستاذه .. وراى السجينى الآنسة هدى ابنة استاذه فتعلق بها ..

فى ذلك الزمان لم يكن هناك مجال لقصص الحب ومغامراته . ولكن الزواج اعقبته سنة كاملة من الكفاح .. فقد سكن العروسان حجرة فى سطح عمارة عقب زواجهما عام ١٩٤٤ ، وادخرا كل قرش بل كل مليم لكى يحققا ما بداه جمال قبل الحرب وعانده القدر فلم يستكمله .. وما ان انتهت الحرب حتى باعا الأثاث والحلى وكل ما يملكان فى مصر وسافرا الى باريس ليتم دراسته الفنية على نفقتهما الخاصة . ولم ينضم الى البعثة التعليمية المصرية فى روما إلا عام ١٩٤٧ فحصل على دبلوم فن النحت ودبلوم فنون الميدالية وسك النقود عام ١٩٥٠ .

وانجبا ابنهما الوحيد : مجد .

إن اضافة عضو جديد للاسرة الصغيرة له مباهجه التى انعكست على فنون الأب ، فرسم الفنان لوحة بمناسبة تحقيق هذا «المجد» .. فيها صور جميع افراد اسرته واسرة زوجته وهم يتجمعون للتهنئة بهذا الميلاد ، وكانهم ابطال احد لوحات المعابد الفرعونية : يتقدمون حاملين القرابين والهدايا . ضمت : الجد يوسف كامل رائد فن التصوير التاثرى ، وزوج خالة الطفل «كامل مصطفى» عميد كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية فيما بعد ، وزوج الخالة الثانية حسنى البنانى رئيس قسم التصوير الزيتى بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة حتى احالته للتقاعد . وزينب السجينى ابنة العم الأستاذة حاليا بكلية التربية الفنية .. ثم بقية افراد الاسرتين .

اختار الابن بعد ان كبر نفس طريق الفن الذى سار فيه والده ومعظم افراد اسرته ، لكنه تخصص فى فنون التصوير الزيتى وتخرج من كلية الفنون الجميلة حيث عمل بها قبيل وفاة والده معيدا ومحققا ما كان ينتظره من مجد .

عمل السجينى بعد عودته عام ١٩٥١ مدرسا لفن النحت بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة وتدرج فى مراتب التدريس حتى وصل الى وظيفة استاذ .

ومن الطريف انه كان يفضل الدراجة كوسيلة مواصلات ولم يرض عنها بديلا طوال حياته .

المثال جمال السجيني

إن مبنى مسكنه ومحترفه قائم عند الطرف الشمالى لجزيرة الزمالك للطل على منطقة يتسع فيها مجرى النيل حتى يبلغ الكيلو متر عرضا .. من هذا المسكن الهادىء كان الفنان يتطلع الى صفحة النهر التى تسبح فوقها ببطء المراكب الشراعية يحملها التيار شمالا او يدفعها الهواء جنوبا عندما تنتفخ اشرعتها بالهواء .. والفنان يرسم العديد من اللوحات لهذه المراكب بل ويحاول اقامة تماثيل تشبهها .

اما كلية الفنون الجميلة فهى تقع بمنتصف جزيرة الزمالك على بعد نحو كيلو مترين من منزل السجينى ، الشوارع الهادئة بين المنزل والعمل تغرى بركوب الدراجة وتجعلها وسيلة مواصلات مناسبة تماما ، وقد شجعه على استخدامها دون بقية وسائل المواصلات الاكثر تطورا استاذه الفنان «بيبى مارتان» الذى كان يسكن فى بيت الفنانين بالقلعة ولا يقبل اية وسيلة مواصلات اخرى غير الدراجة ليقطع المسافة بين مسكنه بحى القلعة وعمله بجزيرة الزمالك .

يتطور اسلوب الفنان فى النحت متاثرا باعمال الفنان البريطانى «هنرى مور» الذى ذاع اسمه بعد الحرب العالمية الثانية ، واستفاد السجينى من طريقته فى تبسيط الملابس والسطوح ، بينما التفت الى النحت المصرى القديم يستلهم منه حلوله الموفقة فى اقامة تماثيل ذات كتلة متماسكة وأسطح عريضة صريحة .

الهجوم على الفن المحافظ

بهذه الادوات اعلن السجينى الحرب على اتباع المدارس الاوربية العتيقة فى فن النحت وعلى مقلدى فن محمود مختار ، ولم يكن يمتدح من بينهم إلا الفنان محيى الدين طاهر الذى حافظ فى اعماله النحتية على الجوانب الحية والاصيلة فى فن الرائد الاول لفن النحت المصرى الحديث . اما السجينى فكان ينشد التجديد وإدخال الأساليب المعاصرة فى فن النحت ، وقد ساعده على استخدام هذه الأساليب ميله من البداية الى التعبير العنيف والمسرحى عن القضايا الاجتماعيةوالسياسية .

واكتملت ادوات التعبير عند السجينى بعد ثورة ١٩٥٢ .. واصبح اسمه ملء الأسماع وسيرته وفنه على كل لسان متزعما حملة الهجوم على الفن المحافظ واصحاب الأساليب الأكاديمية .. وهدفا لهجوم هؤلاء الذين التزموا الأساليب الطبيعية والتسجيلية فى الفن .

تميز بغزارة الانتاج ، وبان اعماله الفنية تثير الكثير من الجدل والمناقشات ، وهى ظاهرة تصاحب كل اتجاه جديد فى الفن ، وإن يختلف حوله الناس ما بين مؤيد ومعارض ، البعض يعجب به والبعض يرفضه .. وقد تطور فن السجينى مارا بعدة مراحل ، هذا بالاضافة الى تنوع الخامات التى عالجها من نحت مجسم بطريقة البناء الى تماثيل خزفية الى لوحات النحت البارز ، ثم تشكيل المعادن عن طريق لحام الاوكسجين ، الى تصميم وتنفيذ الميداليات ، بالاضافة الى لوحات النحاس المطروق الرائعة الجمال والمتقنة الصياغة ، مع كم كبير من

« باليـــل »
نحاس مطروق
١٩٦٨



تمثال الامومة ـ بمطار القاهرة الدولى

اللوحات الزيتية التى عالج فى معظمها موضوعين رئيسيين «المراكب الشراعية فى النيل» و «عروسة المولد» .

وعندما انشات الإسكندرية «المعرض الدورى الدولى لدول حوض البحر الأبيض المتوسط» المعروف باسم «بينالى الاسكندرية» ، فاز السجينى بجائزة النحت على القسم المصرى فى اولى دوراته عام ١٩٥٥ :

وفى العام التالى فاز بجائزة الانتاج الفنى فى مصر فى فرع النحت .

ثم شارك باسم مصر فى معرض موسكو الدولى عام ١٩٥٧ وحصل على الميدالية الذهبية لهذا المعرض ضمن ١٢ فنانا من مختلف دول العالم فازوا بهذه الميدالية .

فاز بالجائزة الأولى عام ١٩٥٨ فى المسابقة التى اجراها «المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب» لتصميم تمثال امير الشعراء «احمد شوقى» ، الذى نفذه بعد ذلك فى خامة البرونز واقيم فى حدائق «بورجيزى» بمدينة روما . ومن عجب ان يوسف كامل كان يجلس امامه كموديل ليعكس له من خلال جلسته .. تشريح الجسد !

شارك فى معرض بروكسل الدولى عام ١٩٥٨ وفاز بميدالية المعرض الذهبية .

فى عام ١٩٥٨ كان ضمن اربعة فنانين من مصر اختيرت رسومهم لتحفر على الكرستال الذى ينتج يدويا بمصنع «ستبوين» بولاية نيويورك الأمريكية ، وعرضت اعماله فى عدد كبير من عواصم العالم ضمن «معرض رسوم الفنانين الاسيويين على الزجاج» .

كان ضمن ثلاثة فنانين اختيروا فى اول تجربة للتفرغ للانتاج الفنى بمصر لمدة عام واحد سنة ١٩٥٨ ، ولكنه تخلى عن التفرغ قبل اتمام السنة .

عند انشاء كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ١٩٥٨ انتقل السجينى اليها ليتولى رئاسة قسم النحت بها .

المرحلة المعمارية

فى اواخر الخمسينات اضاف السجينى عنصرا جديدا الى اسلوبه فى النحت عندما اتجه الى العمارة الريفية والاسلامية يستلهمها فى تماثيل ذات طابع بنائى . وقد عبر عن السبب فى هذا الاتجاه عندما قال : انه شعر بالاغتراب يسيطر على وجوده نتيجة حركة البناء الواسعة فى القاهرة وانشغال الاراضى الخلاء بعمارات خانقة لا قرابة بينها وبيننا ، واحساسه بانعكاس هذه البيئة على أخلاق الناس حتى هددت بتحطيم انسانيتهم ، فاختفت المحبة وسيطر الاحساس بانك تعيش معركة يومية تبدا بالخروج من منزلك حتى تعود اليه .

كان هذا هو الدافع الذى جعل السجينى يلتمس «العمارة الحضارية» ليلتقط عناصر المستوى الرفيع فى البناء حيث الفنان المعمارى يعرف رسالة العمارة ويحافظ على اتصال علاقتها بالانسان والحياة .

واصبحت تماثيله اقل اهتماما بالموضوعات الاجتماعية والسياسية بينما زاد اهتمامه بالعناصر الشكلية الخالصة ، وانتج فى تلك المرحلة تماثيل تشبه الى حد بعيد النماذج المصغرة للمشروعات المعمارية ، فيها القباب والأسطح والمآذن والابراج وغيرها من العناصر التى تستخدمها العمارة الريفية والاسلامية .

انعكس هذا الاتجاه على تماثيله الموضوعية ، فانصرف عن قاعدة الكتلة المتماسكة فى النحت ، وهى القاعدة التى تميز بها الفن المصرى القديم . واتجه الى تجويف كتلة التمثال ليتخللها الضوء والهواء والفراغ ، ومن هذه الأعمال تمثاله عن الامومة الموضوع فى مطار القاهرة الدولى ، وكذلك تمثاله للموسيقار سيد درويش .

اوضح الفنان فى احاديثه السبب فى اتجاهه الى التماثيل المعمارية ، انه الحنين الى الماضى ، وعندما عاش طفولته فى حى سيدنا الحسين حيث كانت المشربيات والقباب والحجرات الفسيحة تميز هذه الطفولة ، ثم حرمته من عطر هذا المكان المكعبات الشبيهة بعلب الكبريت الميتة التى تبنى بها المنشات السكنية حاليا إذ ان العمارة الحديثة فى مصر هى صورة مشوهة للعمارة الموجودة فى اوربا وفى الغرب عموما .. لهذا احس الفنان بالحنين الى رؤية سليمة الى الوجود العمرانى الحضارى ، مع الحنين الى الحياة فى ابنية تتجاوب مع البيئة والتراث الذى نشا فيه ، بطابعه الشرقى والعربى الصميم ولكى يحقق لروح الفنان الذى يعيش فى القرن العشرين جوا اصيلا بدا يحلم بعمارات جميلة وعملية وحضارية ، فتولدت فكرة استلهام الطرز

المثال جمال السجيني

المعمارية الريفية والقبطية والاسلامية في خلق علاقات تشكيلية تتجاوب جماليا وروحيا مع العصر الحاضر وتقدم في نفس الوقت اشعاعا تجريديا له اثر موضوعي عميق على المشاهدين .

في ١٩٦٢ تقرر منحه «جائزة الدولة التشجيعية في فن النحت لعام ١٩٦١» عن تمثاله «يقظة افريقيا» ، ولكنه رفض الجائزة على اساس انها جاءت متاخرة بعد ان تخطى مرحلة التشجيع .

لكنه عندما نال وسام العلوم والفنون الذي يعطى عادة للحاصلين على جائزة الدولة التشجيعية قبله دون الجائزة باعتباره تكريما من الدولة لا يرتبط بالتشجيع ، كما حصل ايضا على وسام الشرف من الحكومة الايطالية بدرجة «فارس» .

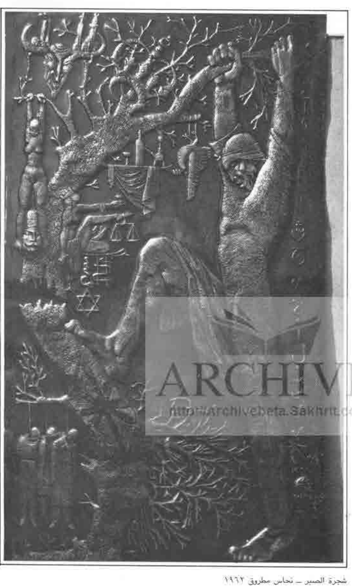
وفي عام ١٩٦٢ ايضا سافر في جولة فنية حيث عرض اعماله في اسبانيا وبلجيكا .

عام ١٩٦٤ عاد من كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية الى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ليعمل استاذا ورئيسا لقسم النحت بها حتى احالته الى التقاعد .

عقب انتقاله الى القاهرة نال منحة التفرغ للانتاج الفني للمرة الثانية ابتداء من مارس ١٩٦٤ ، لكنه لم يستمر متفرغا سوى اربعة اشهر عاد بعدها الى عمله كرئيس لقسم النحت بكلية الفنون الجميلة ، واعلن انه احس بالعزلة التي قد تضر بانتاجه ، وان عمله في الكلية لا يعوقه عن مواصلة الانتاج الى الحد الذي يجعل التفرغ ضروريا بالنسبة له .

فاز ايضا عام ١٩٦٤ بالجائزة الاولى في مسابقة لتصميم لوحات «النحت الغائر» على قاعدة نصب شهداء بورسعيد ، ويبلغ امتداد هذا النحت على واجهات القاعدة الاربع ٢٠٠ متر طولا . اما قيمة الجائزة فكانت ٢٠٠٠ جنيه . لكن التصميم الذي راى الفنان ضرورة تنفيذه في احجار الجرانيت لم ينفذ حتى الآن .

وعين السجيني عام ١٩٦٥ عضوا بلجنة الفنون التشكيلية في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية .



شجرة الصبر — نحاس مطروق ١٩٦٢

بعث فن النحاس المطروق

كان الميدان الذي اجمع كل متابعي فن جمال السجيني على انه فارسه الاول بغير منازع هو ميدان صياغة لوحات النحاس المطروق .. لقد اختلف الناس حول تقدير تماثيله ، وحول اسلوبه في النحت المجسم .. ولكنهم جميعا عبروا عن اعجابهم باعماله في النحاس المطروق فهي تمثل قمة شامخة في الاداء والتعبير .

إذ تخصص في دراسة فن «الميداليات» وبرع وتفوق في هذا التخصص ، ولهذا انتقل الى احياء فن النحاس المطروق الذي بلغ ذروته في الفن الاسلامي القديم .

توصل الفنان الى اكتشاف الامكانيات الجمالية لهذا الفن الذي اقتصر انتاجه لزمن طويل على اعمال الحرفيين في حي خان الخليلي بالقاهرة . وهو الانتاج الذي يقبل على شرائه السياح وأثرياء الريف .. ولقد حول السجيني رقائق النحاس الى خامة للتعبير الشكلي مستخدما اسلوب الطرق ليخرج لوحات مشغولة كالدانتيلا . وقد يحسبها المشاهد قطعة حلي خرجت من يد صائغ بارع ، وفي نفس الوقت نجح في استخلاص واستخراج اقصى طاقة تعبيرية لهذه الخامة النبيلة .. لقد حقق السجيني في معالجته لهذه الخامة طابعا عربيا مميزا مع شخصية فنية متفردة حظيت باعجاب الجميع في مصر والخارج .

إن المضمون الذي يعبر عنه السجيني في

لوحاته من النحاس المطروق ، والموضوعات التى يتناولها هى التى اتاحت له ان يستمر فى استخدام الاسلوب الرمزى فى التعبير فهو يحشد فى القطعة الواحدة كل ما يجول بخاطره عن الفكرة التى يتناولها . فيلجأ الى تحويل المعانى المجردة وما يكتنفها من اشكال الى رموز تعبر عنها .

وقد انطبعت هذه اللوحات بمميزات الفن الإسلامى الرئيسية ككراهية الفراغ والميل الى الزخرفة ، واستخدام حروف اللغة العربية وكلماتها كعناصر تجميلية قد لا تكون مقروءة وإن كان من الواضح انها حروف وكلمات .

كان الفنان يتجه الى زخرفة الاسطح وشغلها . لان الزخارف وانكسارات السطح تضيف الى استمتاع المشاهد بالعمل الكلى متعة اخرى عند تتبع التفاصيل .. وفى بعض لوحاته النحاسية اتجه الى تسجيل اجزاء من قصائد الشعراء فحولها بذلك الى عنصر تشكيلى زخرفى يشغل به فراغ اللوحة ويستهوى المتفرج الى فك رموزها والتعرف على وسيلة لقراءتها فيجبره بذلك على الوقوف طويلا امام لوحاته فى وقت لا تحظى فيه الاعمال الفنية فى المعارض والمتاحف باكثر من دقيقة واحدة لكل عمل ـ على الاكثر ـ من المشاهد .

وقد ركز حسين بيكار فى كتاباته على استخدام السجينى المتميز لحروف اللغة العربية : فهو لم ينس مصريته فى يوم من الأيام . لاحظ اجداده الفراعنة يقرنون الكتابة الهيروغليفية بمنحوتاتهم . فاخذ عنهم هذا الاسلوب وادخل الكتابة فى تماثيله . ولكن عربية .. «سجينيه» فقد ابتكر نوعا من الحروف المتقطعة لم يسبقه اليها احد . وجعلها جزءا من التشكيل الذى كان مزيجا من العمارة والموسيقى والشعر والمعانى الانسانية .. واخيرا النحت .

برع جمال السجينى فى فن «الميدالية» ونفذ الكثير من الميداليات التى تخلد احداثا هامة مثل «عيد الأم» ، وميدالية جائزة الدولة التقديرية ، وجائزة السينما ، والمهرجان الآسيوى الافريقى ، وميدالية السد العالى ، وافتتاح مطار القاهرة الدولى ، وجميع ميداليات معرض «بينالى الاسكندرية» فى دوراته الاثنتى عشر التى اقيمت خلال حياته .

مارس الفنان بالاضافة الى فن النحت والميدالية والنحاس المطروق .. فنون الرسم والتصوير الزيتى والخزف .. وتنتشر اعماله فى عديد من المتاحف والمجموعات الخاصة مثل : المكتبة الاهلية بنيويورك ومتحف بوشكين فى موسكو ـ متحف الفنون فى بكين ـ متحف الفن الحديث بالقاهرة ـ متحف كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ـ مصنع «استيوبن جلاس» بامريكا ـ متحف بورسعيد القومى ـ متحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ـ والمجموعات الخاصة فى رومانيا والمجر وايطاليا وامريكا وفرنسا ومصر .

ورغم كل هذا فكان السجينى يعلن فى كل مناسبة ان اعماله يجب ان يضمها متحف خاص ، وان المكان الطبيعى لفن النحت هو الساحات والميادين ..

يلقى بتماثيله فى النيل

ولكى تصل دعوته الى الآذان قام عام ١٩٦٩ بحركة احتجاج على تجاهل مطالبه فى شكل القاء عدد من تماثيله فى النيل عندما زاحمته فى مسكنه ولم يجد مكانا لتماثيله الجديدة التى يواصل انتاجها باستمرار . ورغم هذا لم يبدأ العمل الجاد من اجل اقامة متحف لاعماله إلا بعد وفاته وتحت إلحاح زوجته هدى التى قامت بجمع تماثيله ولوحاته المتناثرة ، وحولت المصنوعة من الجبس الى خامة البرونز ورتبتها فى تتابعها الزمنى تمهيدا لوضعها فى متحف خاص بها يجمعها ويوضح للاجيال دلالتها كشاهد ومعبر عن عصر باكمله .

وفى عام ١٩٧٠ اقام المثال التمثال النصفى للزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، ونفذه فى خامة البرونز بايطاليا من عدة نسخ تنتشر فى السفارات المصرية ومداخل الهيئات العامة .

كما اقام عام ١٩٧٥ تمثالا صرحيا يعبر عن «العبور» من خامة الحجر الصناعى اقيم فى مدخل مدينة بنى سويف .

كما وضع تصميم تمثال «نصر اكتوبر» ونفذ نموذجه المصغر ليقام فى مدخل قناة السويس بارتفاع ٣٥ مترا مكان تمثال ديليسبس ، وذلك ضمن المجموعة الصرحية التى شارك معه فى





وجهان لميداليتي
معرض بينالي الاسكندرية العاشر

تصميمها الفنانان منصور فرج وصلاح عبد الكريم .

بالاضافة الى المعارض العامة العديدة التى شارك فيها فى مصر والخارج اقام السجينى عشرة معارض خاصة لأعماله بمصر ، كان اخرها عام ١٩٦٩ بالمركز الثقافى التشيكوسلوفاكى بالقاهرة .

احيل الى التقاعد فى يناير ١٩٧٧ لبلوغه سن الستين .

بعد تقاعده عن العمل بكلية الفنون الجميلة اهتم بفن «البورتريه» (التماثيل الشخصية) حتى سافر فى اول اكتوبر عام ١٩٧٧ الى اسبانيا على نفقة هيئة الاستعلامات حيث اقام معرضه الشامل الحادى عشر فى مركز دراسات البحر الابيض المتوسط وليقضى هناك ثلاثة اشهر هو وزوجته .. لكنه توفى يوم ٢٣ نوفمبر اثناء وجوده فى اسبانيا وعاد جثمانه الى القاهرة حيث شيعته الحركة الفنية الى مثواه الاخير وادرك الجميع فداحة الخسارة فى فقده .. لكن اعماله ستبقى لتحك
ستبقى لتحكى للاجيال المقبلة عن كفاحه وخياله وعبقريته .

التماثيل الشخصية

فى الشهور التسعة الاخيرة من حياته بعد إحالته الى التقاعد انهمك جمال السجينى فى اقامة مجموعة من الدراسات للوجوه الشخصية لعدد من معاصريه الفنانين والكتاب وهى تتميز بانها دراسات راسخة تحمل طابع الشغف بالفن «الصرحى» اى تجعل من يراها يتمنى لو نفذت بحجم كبير لتقام فى كل مكان .

كان السجينى يتمتع بقدرة هائلة على التركيز على الفكرة التى يعبر عنها وكانت انامله مدربة على معالجة الطين والصلصال الذى يبنى منهما تماثيله .. وكان قد وضع يده على الأسس الاصيلة للثقافة المصرية فاستلهم التراث الفرعونى والاسلامى لمصر مع تفتح على فنون النحت المعاصر . وهكذا تميزت هذه الوجوه باحساس معمارى بنائى وبساطة لا يستطيع تقديمها إلا فنان متمكن ، وفى نفس الوقت تضمنت الى جانب التعبير عن وجوه أصحابها ابراز ملامح شخصياتهم من وجهة نظر الفنان ، حتى نستطيع ان نقول انه جعل من كل تمثال شخصى موضوعا متكاملا عندما تناوله فى القالب الشكلى الذى يلائمه .

إنه لم يكن من هؤلاء الفنانين الذين يضعون جميع الموضوعات داخل اطار الاسلوب الذى اجادوه ونجحوا فيه .. ولهذا تميزت اعمال السجينى بارتباطها بارض الواقع فى مصر .. اما عن ارتباطه بالجماهير وتعبيره عنها فكما قال :

«... هذه المعاناة التى أعيشها خلقت فنا لا ازعم انه مرتبط بالجماهير تماما ، بل اقول الصدق اننى اجتهدت دائما ان اعبر عن الجماهير» .

صبحى الشارونى

د. عبد المحسن صالح

حول قضية الخلاف على تحديد الأعياد

الكون ساعة مضبوطة فلماذا لا نضبط معها؟



عندما تدور الأرض على محورها، فان المرصد الفلكي يلتقط مسارات النجوم فتظهر وكأنما هي في مدارات.. وفي مركز الصورة يوجد النجم القطبي. ترى ماذا كنا نعرف؟!

بعد ايام ، ينتهى شهر الصيام فتتكرر قصة كل عام ، ويهرع شهود بزوغ الهلال من ائمة المسلمين أو شيوخهم ، ليشخصوا بأبصارهم الى الفضاء ، علهم يرون مولد الهلال، وعند ذلك تختلف الآراء ، فمنهم من يقول أنه راه ، ومنهم من يفتى انه لم يظهر ، ويقع المسلمون نتيجة لذلك في متاهات ، فمن يصدق من ؟ .

لازلت أذكر منذ صباى وشبابى المبكر ـ ولعلكم لازلتم تذكرون ذلك معى ـ كيف كان غرة شهر رمضان ، وحلول المواسم والأعياد محددة من البداية تحديدا لا تلاعب فيه ولا أهواء ، وكانت الدول العربية وقتها لازالت تجمعها رابطة من التالف والاخوة والمحبة ، لكن يبدو أن الخلاف في الآراء السياسية ، أو الزعامات العربية ، قد انعكس أيضا على خلاف فى أمر من أمور الدين ، أو بالتحديد فى الاتفاق على توقيت مضبوط يهييء لهم من امرهم رشدا !

ان هذا الخلاف قد يعرض المسلمين الى التهكم والقيل والقال من غير المسلمين ، فكل الأديان تحدد تاريخ اعيادها ، وتعرف مقدما مواقيت صيامها، ولا تختلف فى ذلك ،لكن الحال غير ذلك مع الامم الاسلامية ،حتى أن شامتاً قد سخر يوماً من الارتباك الذى يتعرض له المسلمون فقال متهكما : لقد اختلفتم فى كل شيء .. حتى فى تحديد مواقيت صيامكم واعيادكم !

ونحن لا نلومه فالعيب فينا ، وليس العيب فى الدين ، حتى لكأنما ينطبق علينا قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا
وما لزماننا عيب سوانا

وقد نختلف فى ارائنا السياسية ، ونظم حياتنا الاجتماعية ، أو غير ذلك من أمور تخضع لمبدأ الاجتهاد ،لكن أن ياتى بيننا فى أمر من أمور الدين ، أو فى سنة من سنن الكون ، فهذا ما لا يرضاه مؤمن ، ولا يقره عاقل ، وعندئذ ، فسوف نتخبط فى تحديد أيام أعيادنا وصيامنا ، مادام بعض ائمة الاسلام او شيوخه يصرون على تحديدها برؤية الهلال ، ولا يريدون ان يتطوروا ، أو ياخذوا باسباب العصر الذى نعيش فيه .. فكل شيء فى هذا العصر واضح ومقدر ومحسوب حسابا دقيقا .. «ولكن اكثر الناس لا يعلمون» !

بالرؤية .. أم بالحساب ؟

إن أول اعتراض قد يقابلنا فى هذا المجال ، هو ما يستند اليه ائمة الاسلام فى الحديث الشريف الذى يقول «صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ،فان غم عليكم، فاكملوا العدة ثلاثين يوما» .. وواضح من الجزء الثانى من الحديث أن الأمر فى رؤية الهلال قد يحتمل فيه الغمة ، أى عدم الوضوح لأسباب يطول شرحها .

هذه واحدة .. اما الثانية ، فان الرسول نفسه ، أو غيره ممن عاشوا فى عصره ، او بعده بمئات السنين لم تكن لديهم وسائل علمية لكى يقدروا بها التوقيت المضبوط . ولو كان ، لأخذ بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون أن يكلف قومه مشقة التطلع الى الهلال ، مع ما فى ذلك من غمة قد تكمن فى الأفق أو الأبصار .



أحد المناظير الفلكية العملاقة (التليسكوب) المقام فى المرصد الفلكي ، وتراه هنا وهو يتوجه صوب السموات فيكشف من انبائها كل ما هو مثير وغريب ، وبهذا تطورت معلوماتنا عن الكون بدرجة هائلة !

الكون ساعة مضبوطة فلماذا لا ننضبط معها؟

والثالثة : ان القرآن الكريم لم يشترط فى هذا الأمر شرطا تعسفيا ، حتى ييسر ولا يعسر ، وذلك بدليل قوله تعالى «شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه» .. والواقع ان لكل حرف ولكل كلمة فى القرآن معنى يعرفه أهل النحو والبلاغة ، ولذلك – وعلى قدر اجتهادنا – فان الجزء الأخير من الآية قد حدد الأمر تحديداً لا لبس فيه ولا غموض .. فلم يقل مثلا ، فمن شهد منكم الشهر فلتصوموه ، بل ان الذى يشهد يصوم ... والذى لا يشهد لا يصوم، حتى يشهد ، فان غم الأمر علينا ، فلتكمل الشهر ثلاثين يوماً .

والرابعة : ان بعض أئمة المسلمين المرموقين يميلون الى الأخذ بالحساب الفلكى ، ونذكر هنا رأيا للدكتـــــور عبد المنعم النمر «من الضرورى للفقيه أن يعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشر بالاعتماد على الرؤية وحدها فى قوله «صوموا لرؤيته» ، إلا لأنها كانت الوسيلة الوحيدة التى يمكن الاعتماد عليها فى ذلك الوقت ، وان هذا التوجيه لازم لكل قوم لا يحسنون الحساب الفلكى ولا يتيسر لهم ، وذلك من باب التيسير على الناس وتوجيههم للاعتماد على ما يستطيعونه ، ويمكن أن ندرك هذا ادراكاً واضحا من تعليل الرسول للاعتماد على الرؤية حين قال «انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب» .. أى الحساب الفلكى الذى يمكن الاعتماد عليه» !

والخامسة : اننا اذا اختلفنا على شىء ، فلنرده أولا الى أحكام القرآن الكريم ، فان لم نجد له حلا ، فلنرده الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، لكنه أحيانا كان يترك للناس التصرف فى أمور دنياهم ، لأنهم أعلم بها ، وهناك أحاديث تؤيد ذلك ، ومنها – على سبيل المثال لا الحصر – ان الرسول صلى الله عليه وسلم مر على قوم يؤبرون النخيل ، فاقترح عليهم عدم تأبيره (أى اخصابه بالطلع) ، فلم يأبروا ، وعندئذ لم تنتج ثمرا ، فلما حدثوه فى ذلك ، قال لهم «سبحان الله ، انما أنا عبد الله ورسوله ، انتم أدرى بشئون دنياكم» .. وفى غزوة بدر اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منزلا بعيداً عن الماء ، فسأله الحباب بن المنذر : أهذا منزلا أنزلكه الله يا رسول الله ؟ .. أم هو الــرأى والحـــرب والمكيدة ؟.. فقال صلى الله عليه وسلم «بل هو الرأى والحرب والمكيدة» .. فقال الحباب : ليس هذا منزلا ، إنما المنزل أن ننزل على الماء ، ونصطنع عليه سوراً ، فنشرب نحن ، ولا يشرب المشركون .. ونزل الرسول صلى الله عليه وسلم على رأى الحباب بن المنذر ، فكان ذلك من أسباب نصر الله للمسلمين فى غزوة بدر .. ومن هذا وغيره يتضح أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن متعصباً لرأى رآه ، ثم ثبت بعد ذلك عدم جدواه ، خاصة فيما يتعلق بشئون الدنيا .. لا الدين !

الحساب بنص القرآن

ومن هذا المنطلق ، وتأسيسا على ما قدمنا فاوجزنا ، فان الأمر متعلق بعد ذلك على أخذنا أو عدم أخذنا بأسباب العصر الذى نعيش فيه ، فلا أحد يستطيع أن يجادل أو ينكر أن مفهوم الكون والحياة يختلف اختلافا واضحا عندنا الآن عن هذا المفهوم فى العصور السابقة ، فكل شىء يتطور بسرعة مذهلة ، وما لم نأخذ فى حياتنا بهذا التطور ، فان الزمن



من أعماق الفضاء ، التى تقدر بآلاف الملايين من السنوات الضوئية ، يستقبل هذا التليسكوب الموجي (أو الراديو تليسكوب) سيلا من الموجات ، تتوجه الى حاسبات اليكترونية لتصنفها وتحللها ، فتكشف عن أحداث السموات أمورا تحير العقل

لا يرحم المتخلفين ، فالمعروف علمياً - أو حتى عقلياً - ان الزمن والتطور سمتان متلازمتان ، او ان احدهما يعبر عن الاخر ، فعدم التطور مع الزمن ، يؤدى الى ركود ، والركود جمود ، والجمود قتال «لو كنتم تعلمون» !

فالذين لا يثقون فى الحسابات الفلكية أو المناهج العلمية ، إنما هم قوم متخلفون ، لأن الحسابات الفلكية لا تنشأ من فراغ ، ولا هى من عمل الشيطان بل جاءت اساساً من التامل العميق فى حركة الكون ذاته ، لان الحركة والزمن صنوان .. فالحركة زمن ، والزمن حركة ، او ان احدهما ينبع من الآخر !

ولكى نوضح ، كان لابد ان نشير الى ان تعاقب الليل والنهار ، إنما ينبع من حركة الأرض أو دورانها حول نفسها ، ولولا هذه الحركة لعشنا فى ليل سرمدى ، أو نهار سرمدى ، وعندئذ لن نعرف شيئا اسمه زمن .. ثم ان هذه الحركة المتقنة قد اودعناها فى تروس وعقارب ، لتدق دقات ايقاعية منتظمة ، تفصلها فترات زمنية محددة ، وبها نحدد الزمن بالثوانى والدقائق والساعات ، وعليه نرتب مواعيد صلاتنا وصيامنا ، وكل مقومات حياتنا ، ولا يهم بعد ذلك ان نتطلع الى شروق الشمس وغروبها ، مادامت الاتنا الزمنية متزامنة تماماً مع حركة الأرض حول محورها .

وكالأرض تكون الشمس او القمر او الكواكب او النجوم ، او اى جرم سماوى صغر شانه او كبر ، ذلك ان الكون كله ، فى حركة متقنة ودائبة ، وهو بمثابة آلة زمن دقيقة غاية الدقة ، متقنة اعظم الاتقان ، ولا يعرف ذلك حق المعرفة ، إلا كل من درس فحصل فجمع فاوعى !

والغريب حقاً ان الذين يعترضون على الأخذ بالحساب الفلكى ، او ينكرونه انما هم - فى الواقع - ينكرون المعنى العميق الذى انطوت عليه بعض ايات القرآن الكريم ، فلقد اشارت الى هذا المعنى تلميحاً لا تصريحاً ، وايجازاً لا اسهاباً ، فلم تكن العقول مهيأة فى زمن الرسول (ص) ، ولا بعده ، لكى تخوض فى معمعة علمية كالتى نعرفها فى زماننا هذا ، ثم ان القرآن الكريم هو فى الأصل كتاب هداية وتشريع وعقيدة ، وليس هو بالكتاب الذى تناقش فيه الاصول العلمية ، ولا الحسابات الكونية ، ومع ذلك فقد تعرض لاساسياتها فى ايات واضحة تماماً .

والى الذين عم عليهم الامر ، وجادلوا فى امور لا تقبل الجدل .. الى هؤلاء نسوق بعض الآيات القرآنية ، لعلهم يرشدون .. « والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها ان تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » (يس اية ٣٨/٤٠) .. « فالق الاصباح ، وجعل الليل سكناً ، والشمس والقمر حسباناً ، ذلك تقدير العزيز العليم » (الأنعام اية ٩٦) .. ثم يجيء فصل الخطاب فى آيتين « هو الذى جعل الشمس ضياء ، والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » (يونس اية ٥) .. « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل ، وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب ، وكل شيء فصلناه تفصيلا » (الأسراء - آية ١٢) .

كل هذه الآيات وغيرها تشير بوضوح الى ان الزمن الفلكي أو الكوني أو الأرضي أو القمري أو الشمسي .. الخ ، انما هو انعكاس حقيقي لحركة الكون وما حوى ، والفضاء وما طوى ، وطبيعي أن رجل الدين لا يستطيع أن يرى الاتقان فى التقدير ، والدقة فى التسخير ، والابداع فى التسيير ، والانضباط فى الأفلاك ، إلا إذا درس القوانين الصامدة ، والشرائع الراسخة ، والمعادلات الأصيلة التى تحكم هذه الاجرام العظيمة ، وعندئذ قد تريه ، ما لا يستطيع هو الاجتهاد فيه ، أو الاعتراض على ما تطويه ، إذ كيف يعترض على « صنع الله الذى اتقن كل شيء » وهو الذى « خلق كل شيء فقدره تقديرا » !

حسابات فلكية مذهلة !

ومما يدعو الى الدهشة والأسى ، اننا لا نتعلم ولا نستفيد مما يجرى حولنا ، ولكم كان وقع الاسى على نفسى شديداً ، عندما عدت من الولايات المتحدة ، لتقع عينى على خبر منشور فى صحيفة مصرية يومية يشير الى نفس القصة المكررة كل عام ، أى استطلاع هلال شعبان ، ومن بعده - بطبيعة الحال - هلال رمضان ، ثم هلال شوال .. الى اخر هذه الاستطلاعات التى ما انزل الله بها من سلطان ، هذا فى الوقت الذى شاهدت فيه على الطبيعة هناك التقدم العلمى فى كل المجالات ، وبالأخص علوم الكون

احد المراصد الفلكية التى راها كاتب هذا المقال فى ولاية كاليفورنيا ، وامام المرصد نصب تذكارى لعلماء الفلك الذين طوروا مفاهيمنا عن الكون وما حوى ، والفضاء وما طوى ، وفى داخل هذا المرصد يستطيع الانسان ان يرى «ما لا عين رات ، ولا اذن سمعت ، ما لا يخطر على بال احد



الكون ساعة مضبوطة فلماذا لا ننضبط معها؟

الحياة .. وسر هذا التقدم لا يخفى على لبيب ، لانه يبحث اساسا فى شرائع الله فى كونه العظيم ، ولقد زرت مرصداً فلكيا على قمة جبل فى ولاية كاليفورنيا ، فرايت « ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .. فلم يعد الانسان يعتمد فى كشف الغاز الكون على عينيه ولا اذنيه ولا اية حاسة من الحواس الأخرى ، لأن هذه الحواس قاصرة عن ان ترينا الأسرار الضخمة التى ينطوى عليها الكـــــون العظيم

ولهذا استعاض العلماء عن عيونهم بعيون علمية جبارة ، ممثلة فى التليسكوبات الضخمة ، وعن اذانهم باذان جد حساسة . لتلتقط الموجات غير المنظورة ، وهذه ممثلة فى التليسكوبات الموجية (الراديو تليسكوب) ، وعن عقولهم البطيئة ، «بعقول» اليكترونية تستقبل سيلا جارفا من المعلومات ليل نهار ، ثم تقوم بتصنيفها وتحليلها وتسجل احداثها على هيئة نتائج يهول العين مراها ، وعندما يرى الانسان الأجهزة العلمية الكثيرة التى تعمل فى تالف وتناسق مذهل ، فلابد أن يخشع ويسلم بان اسرار الكون أعظم وأضخم وأروع من كل ما عرفه الأقدمون والمحدثون !

لقد تمنيت وقتها ـ ولازلت اتمنى ـ لو أن بعض ائمة المسلمين ، وشيوخ الاسلام ممن لا يعرفون عن المنهج العلمى فى كشف اسرار الكون شيئاً ، تمنيت لو انهم رأوا ما رأيت ، عندئذ فربما يهيىء الله لهم من أمرهم رشداً ، ويعودون الى الاعتراف بما يمليه عليه عصرهم من انجازات هائلة لا نستطيع لها هنا حصرا ، ومن اهمها ان الكون نفسه بمثابة ساعة دقيقة غاية الدقة .. تروسها اقمار وكواكب ونجوم ومجرات ، وعقاربها حركات ودورات ، وزمنها محكوم بقوانين ومعادلات ، ومنها تنشا الأرقام والحسابات ، وهو ما اشرنا اليه فيما سبق من ايات محكمات ، ولا يعرف ذلك حق المعرفة إلا كل من كانت له مع اسرار الكون صولات وجولات ، ثم يأتي ـ بعد كل هذا ـ من ينكر المنهج العلمى الأصيل ويعتمد على عينه القاصرة ، وافكاره غير المتطورة ، ونظرته الجامدة ، فيضع المسلمين فى حيص بيص ، وكانما هو ـ فى هذه الحالة ـ يسير على مبدأ « خالف تعرف » ، حتى ولو كان ذلك على حساب ايات القران الكريم التى اشارت الى امكان حساب الزمن من حركة الأجرام !

ولا شك ان علماء الفلك يستطيعون الآن ان يحسبوا الزمن لجزء من الف جزء من الثانية ، أو ربما أقل من ذلك ايضا ، لأن حركة الأرض والقمر والشمس وغير ذلك من اجرام سماوية ، تسير فى أفلاك أو مدارات غاية فى الدقة والانضباط ، وهذا من شانه ان يتمخض عن زمن اضبط واتقن من زمننا الذى نقيسه بالات قياس الزمن التقليدية ، إذ لولا هذا الانضباط الكونى الدقيق جدا فى حركته وزمنه ، لاختلت السماوات بعد عشرات أو مئات الالوف من السنين ، لكنها ـ فى الواقع ـ ظلت صامدة لبلايين السنين ، وسوف تظل كذلك لبلايين اخرى ، الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ! .

ثم ان الحسابات الفلكية تستطيع ان تقدر بدقة بالغة عدد مرات الكسوف التى تحدث للشمس ، او الخسوف الذى سيحل بالقمر ، .. ليس فقط لعام واحد قادم ، ولا لعشرة أعوام ، بل لمئات السنوات القادمة .. ليس هذا فحسب ، بل تحدد ايضا مكانه على سطح الكرة الأرضية ، وزمانه فى السنة والشهر واليوم ، وبالساعة والدقيقة والثانية ، وطول فترة الكسوف والخسوف .. ان العام القادم مثلا ـ عام ١٩٨٢م ـ سوف يشهد اكبر عدد من مرات الكسوف والخسوف ، إذ ستنكسف الشمس فيه اربع مرات ، وسينخسف القمر ثلاثا ، وعلى الذين يرتابون فى ذلك ان ينتظروا ما سوف تتمخض عنه الأحداث فى العام القادم ، ليعرفوا الخبر اليقين ، وعندئذ يحق القول الكريم « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ! .

اضف الى ذلك ان الحسابات الفلكية تشير الى احداث بعيدة المدى نسبيا ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، سوف تنكسف الشمس فى موقع محدد بجنوب المحيط الأطلنطى لمدة سبع دقائق ، و٢٨ ثانية فى يوم ١٦ يوليو عام ٢١٨٦ ، اى بعد مرور ٣٠٥ عاما من الآن .. أطال الله فى اعماركم ! .

لقد ولى الزمن الذى يعتمد فيه الانسان على الرصد بعينيه القاصرتين ، وحلت محلهما أجهزة الرصد تستقبل وتحلل وتقدر وتحسب .. والصورة توضح جانبا من هذه الأجهزة المعقدة والحساسة .. ثم انها لا تعرف الكذب والخداع .. فما بالنا نتخلف عن منجزات العصر الذى فيه نعيش ؟!



أمور متناقضة

والغريب بعد ذلك أن جماهير المسلمين تثق ثقة عمياء فى التوقيت الزمنى المثبت فى نتائج الحائط أو الجيب أو ما شابه ذلك ، فتفطر أو تمسك عن الطعام على مواقيتها ، أو تصلى الفرائض على زمنها ، دون أن ترجع فى ذلك الى الوسائل القديمة .. اى استطلاع الخيط الأبيض من الأسود عند الفجر ، أو رصد شروق الشمس وغروبها ، ثم مواضعها فى السماء بعد ذلك ، فكل هذا قد يسره العلم على الناس ، وهو ايضا نتيجة حتمية للحسابات الفلكية التى تحدد المواقيت بدقة تامة فى مشارق الارض ومغاربها ، وعلى اية بقعة فيها ، ليس فقط من اجل تحديد مواقيت العبادات ، بل هى لازمة هامة جدا فى حياتنا العصرية ، وانشطتنا العلمية ، فاطلاق اقمار صناعية لتكتشف اسرار الكون عامة ، والمجموعة الشمسية خاصة ، أو الهبوط على القمر ، أو اى كوكب من الكواكب ، لا يتم هكذا اعتباطا .. بل إن كل شئ محسوب مقدما بدقة فائقة .. حركة الأرض وزمنها ، وحركة الصاروخ أو القمر الصناعى وزمنه ، وحركة القمر والكواكب وزمنها .. ذلك أن كل ما فى الكون يتحرك ، ولكل فلكه الذى يسبح فيه ، ولكل زمنه ومكانه بالنسبة للآخر ، واى خلل فى الحسابات – حتى ولو كان طفيفا – سوف يؤدى الى ما لا تحمد عقباه . وطبيعى أن الحسابات دقيقة وعويصة ومتداخلة وكثيرة ، وتحتاج فى اجرائها الى عقول تقوم بانجازها بالآلاف فى كل ثانية ، وهذا ما تعجز عنه العقول البشرية ، ومن اجل هذا استعان الانسان عليها « بالعقول » أو الحاسبات الاليكترونية ، التى تنجز فى ثوان ، ما ينجزه الانسان فى سنوات !

ان الانجازات العلمية الهائلة تشهد بأصالة العلم ، وتأتى تلك الاصالة من دراسة الانسان لشرائع الكون ، وسنن الوجود ، ثم ربطها فى نسيج من المعادلات والقوانين ، وهذه تعنى أن الكون منظم اعظم تنظيم ، ومنضبط كادق ما يكون الانضباط ، ثم إذ بنا نشذ عن هذا الانضباط ، ونركب رؤوسنا ، وكأننا نحن نريد أن نخضع الكون لعقولنا ، ونرقبه بعيوننا ، ونسيره بأهوائنا ، وكان الأحرى بنا أن نخضع العقول ذاتها للكون ونواميسه ، حتى ندرك أسراره ، ونعلم انضباطه : حركة وزمنا ونظاما وخلقة واتساعا ، ربما ايضا مصداقا للآية : الذى خلق سبع سماوات طباقا ، ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ، فارجع البصر ، هل ترى من فطور ، ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير » (الملك – اية ٣ – ٤) .. والأمر ذاته ينطبق على عيون العلم الحديث (أى التليسكوبات) ، فرغم أن بعضها أقوى من العين البشرية بمليون مرة ، إلا أنها مع ذلك لم تكشف منه إلا نزرا يسيرا ، رغم أنها ترى فى أعماقه لمسافات تقدر بعدة بلايين من السنوات الضوئية ! .

إذا .. لماذا ناخذ حينا بأساليب العلم ، ثم ننكص على اعقابنا فجاة حينا اخر ، كلما أقبلت مناسبة دينية لها علاقة بالزمن ؟ .. أو ليس هذا بأمر يحمل بذور التناقض ؟

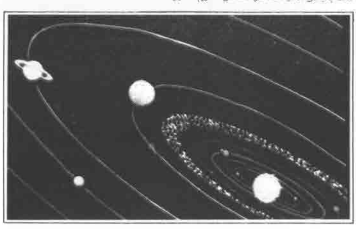
لا شك فى ذلك .. لكن التناقض ينبع اساسا من عقول البعض الذين يريدون جرنا الى متاهات ، قد لا يسعدون هم بها ، وفى الوقت ذاته يجلبون البلبلة والشقاء والاضطراب كلما أقبل رمضان أو حل عيد من الأعياد .. هذا رغم أن التوقيت القمرى محسوب مقدما ، وبدقة تامة ، ولكل بقعة من بقاع العالم ، وعلماء الفلك يستطيعون تحديد بزوغ القمر وأفوله بالدقيقة والثانية ، خاصة وأن غزو هذا الجرم السماوى بالأقمار الصناعية يستلزم هذا التوقيت الدقيق .. ولا احد يستطيع أن يتفلسف ويتعالى على مثل هذه الحسابات .. فلقد أشارت اليها ايات القرآن الكريم أولا ، ثم طبقها العلم ثانيا ، لأن العلم بدوره منهج تطبيقى ، وله انجازات لا تنكر ، وأهداف لا تجحد ، واسألوا أهل العلم ، إن كنتم غير مصدقين . !

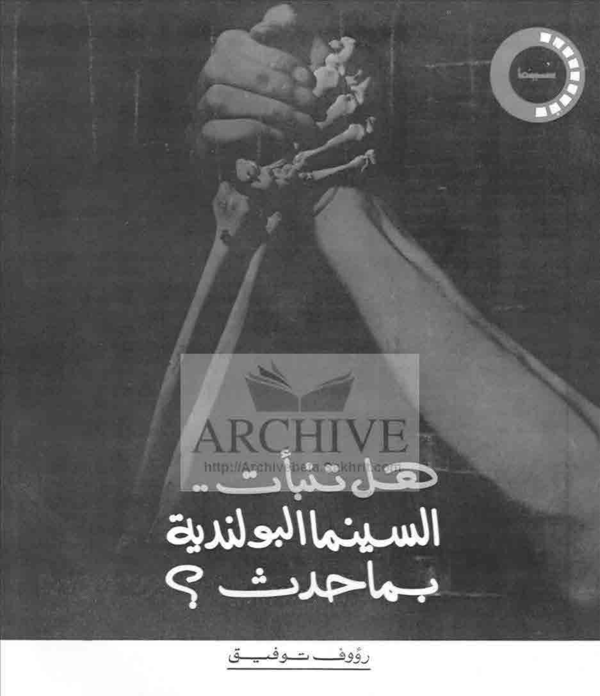
إن علماء الفلك الذين قابلتهم وتحدثت معهم فى هذا الشأن ، وبعضهم عرب ومسلمون ، يؤكدون أن الأخذ بالحساب الفلكي أمر لا غبار عليه ، وأن بزوغ الهلال فى أى قطر من الأقطار الاسلامية يمكن حسابه مقدما .. لا لعام واحد ، بل لأعوام أخرى مقبلة ، ولعل ذلك يجد هوى فى نفوس من يناقضون شرائع الله فى كونه ، وبهذا يستريحون ويريحون ! .

يا قوم .. إن كل شئ يتطور ، والعلم يتقدم ، ونحن اعلم بأمور علمنا ودنيانا ، فأفيقوا يرحمكم اللـــــه .

د. عبد المحسن صالح

الشمس وحولها كواكبها التسعة ، ولبعض هذه الكواكب أقمار ، ولكل منها مداره ومساره الذى قدر تقديرا متقنا ثم إن لكل حركة هنا زمنها ، وهى محسوبة حسابا دقيقا ، فلماذا إذن نأخذ ببعض هذا الحساب ، ولا نأخذ بالبعض الآخر ، كما هو حالنا فى التقويم القمرى ؟





هل تنبأت.. السينما البولندية بما حدث ؟

رؤوف توفيق

من يتامل انتاج السينما البولندية ، فى السنوات الأخيرة ، يتاكد له تماما ان عددا كبيرا من الأفلام التى ظهرت ، عالجت بشكل او باخر ، هموم ومشاكل المجتمع البولندى .. الى الحد المسموح به رقابيا .. ولكن الى الدرجة التى تصل الى حد النبوءة لما وقع بالفعل فى بولندا اخيرا !!

ومازال هذا الفيلم «ثوابت» الذى اخرجه المخرج البولندى الشهير «زانوسى» يشكل بالنسبة لي مفاجاة فنية جريئة ، وأيضا وثيقة اجتماعية وسياسية خطيرة ، لكل ما يحدث تحت السطح فى بولندا !

وبالرغم من ان هذا الفيلم «ثوابت» قد بدأ عرضه عالميا فى مايو الماضى ـ ١٩٨٠ ـ من خلال مهرجان كان السينمائى .. إلا ان شحنة النقد



الشاب بطل فيلم «توابت» ولقطات من الفيلم

المخرج كريستوف زانوس

الاجتماعي المعباة داخل احداث الفيلم .. كانت توحى ، احيانا بطريقة مباشرة ، واحيانا فى رموز مكثفة .. بان شيئا ما سيحدث فى بولندا .

وبالفعل .. لم يات شهر اغسطس .. إلا وهو يحمل معه اضرابات العمال التى تصاعدت وشكلت فيما بعد قوة ضاربة تفرض رأيها ومطالبها .. ولتتحول المواجهة بعد ذلك الى محاسبة شاملة وصريحة لكل اخطاء السلطة الحاكمة وانعكاس هذا على المجتمع .

● نكتة .. وتعليق

ويمكن القول بان السينما البولندية ، كانت احد العيون الكاشفة والمخلصة والامينة على قضايا المجتمع .. وايضا المحذرة بشتى الأساليب الفنية لخطورة الاستمرار فى هذه المشاكل التى تؤرق حياة افراد المجتمع .

حتى انه قيل ــ فيما يشبه النكتة الساخرة ــ انه كلما قدم المخرج البولندى الكبير «فايدا» فيلما .. كلما كانت النتيجة سقوط الوزير المسئول .. وقد حدث هذا بالفعل مع فيلميه : «رجل من رخام» عام ٧٧ ــ و «بدون تخدير» عام ٧٨ ــ .. وقد علق الناقد الفرنسى الشهير «مارسيل مارتان» على هذه النكتة بمزيد من السخرية اللاذعة ، فى بحث له نشر عام ٧٩ عن السينما البولندية .. فقال : «انها حقا لدولة محظوظة التى يسقط فيها الوزراء نتيجة افلام .. فالوضع فى

الصحفي في معركة بالأيدي مع منافسه الشاب الانتهازي ، من فيلم « بدون تخدير »

فرنسا مختلف .. الوزراء يبقون في مناصبهم .. اما المخرجون فهم الذين يسقطون احيانا» !

وفي هذا البحث ، يستطرد الناقد «مارسيل مارتان» في رؤيته للسينما البولندية فيقول : «ان الخلاف الأساسي بين المخرجين والسلطة في بولندا .. يرجع الى موضوعات الأفلام التي يتقدم بها المخرجون للحصول على موافقة العمل بها .. والمعروف أن المخرج «فايدا» اضطر الى الانتظار ١٥ عاما حتى سمحوا له باخراج فيلم «رجل من رخام» .. وبالرغم من ذلك .. لا يمكن ان ننكر دهشتنا للشجاعة النقدية لبعض الأفلام .. ونعترف بأنه لابد وأن يتسم مخرجوها بالكثير من الشجاعة لكتابتها وفرضها .. إلا أن أحد الأصدقاء البولنديين ، علق موضحا ، بأن الذي يتسم بالشجاعة هو المسئول الاداري والسياسي الذي يقبل مثل تلك الأفلام .. حيث انه يخاطر بوظيفته !

«ولكن يبقى بالنسبة للمشاهد الأجنبي الذي يرى تلك الأفلام ، دون أن يعرف بالضرورة ظروف انتاجها .. انها بمثابة شهادة على الواقع الوطني .. وأيضا على الوعي النقدي والموهبة الفنية .. وكما هو الحال بالنسبة للانتاج السينمائي المجري ، فان الانتاج البولندي .. يشرف جميع اولئك الذين

المخرج اندريه فايدا



يجعلونه ممكنا ويبثون فيه الحياة مهما كانت الظروف» .

ويستطرد الناقد الفرنسي «مارسيل مارتان» في بحثه ، مشيرا الى الكلمة التي قالها في المهرجان القومي لمدينة «جدانسك» البولندية :

«إن الفيلم الجيد هو دائما دعاية جيدة .. وعلى هذا ينبغي الا يخشى المسئولون السياسيون في عرض اكثر الأفلام النقدية خارج بلادهم .. حتى ولو

المخرجة اجنيسكا هولندا



الصحفى بطل فيلم «بدون تخدير»

البحث عن البراءة والإخلاص والود والتعاطف



دكتورة الاسنان ـ لقطة من فيلم بدون تخدير

خاطروا بتقديم فرص تستغلها الأصوات المضادة التى ستجد دائما مادة لها سواء فى الأفلام الجيدة او الرديئة» .

● الصدق .. فى الفن

وقد انتابتنى هذه المشاعر من الدهشة والاعجاب بعد مشاهدتى لفيلم «ثوابت» .. وعندما عدت الى القاهرة كتبت بحماس وفرح عن هذا الفيلم البولندى الجرىء الذى يتعرض لأول مرة وبشكل مباشر وصريح ، لبعض الانحرافات فى مجتمع اشتراكى .. وقلت «إن محاولات التعمية ، وفرض الصمت والسرية ، والتكتم .. هى فى النهاية محاولات محكوم عليها بالفشل ، بل تؤدى الى نتائج عكسية واكثر ضررا ، فهى تفتح منافذ للتشكك والشائعات . وفى نفس الوقت تضخم الأخطاء والمشاكل التى حاول النظام الحاكم ان يتستر عليها بالصمت .. وهكذا يزداد الأمر سوءا ! .

«وإذا كان الصدق .. هو الأسلوب الامثل للمواجهة مع هذه الأخطاء والمشاكل .. فان الصدق فى الفن .. هو روح العمل ، ونبض بقائه وازدهاره .. وعالميته ايضا» !

● الأمانة .. النجاح .. الحقيقة

وقصة فيلم «ثوابت» كما كتبه وأخرجه «كريستوف زانوسى» يتناول مظاهر الفساد التى سيطرت على العلاقات الاجتماعية فى بولندا .. نتيجة انتشار الرشوة والوسايط وحمى المصالح الخاصة وما استتبع ذلك وكما يقول المخرج «زانوسى» فى توضيح فلسفته من هذا الفيلم «لقد اردت اعادة الحياة الى كلمات اختفت من قاموس حياتنا المعاصرة .. الكلمات هى : الأمانة .. النجاح .. الحقيقة ..

إننى اشعر .. اننا محتاجون اكثر من أى وقت مضى .. لتأمل هذه الكلمات بمعناها الحقيقى .. فقد ادركنا التعب والألم من فساد العلاقات ، وانهيار الأخلاقيات .. ومن واجبنا ان نبحث أكثر عن البراءة والاخلاص والود والتعاطف .. ان معانى تلك الكلمات .. من الممكن ان نضيف اليها .. ونثريها بطريقة مختلفة.

وهذا الفيلم مثل اغلب افلامى ، توليفة من الأحداث والملاحظات جمعتها من واقع الحياة ، حيث نعيش محاطين بتجارب تفتقد عنصر الأمانة .. وفى رأيى اننا لو انتصرنا فى هذه التجارب .. سننجح فى الحصول على الحقيقة .. الحقيقة التى نحتاجها ـ الآن ـ لاثبات وجودنا وكياننا» !

وعلى هذا الأساس يقدم المخرج «زانوسى» قصة شاب كان فى دراسته «نوعا مختلفا» .. جاء من مدينة صغيرة



هل تنبأت السينما البولندية بما حدث ؟

فى بولندا .. ومن عائلة مستقرة .. كان والده بطلا من ابطال تسلق الجبال ، ولكنه مات فى حادثة اثناء احدى محاولاته لتسلق قمة جبل .. وقد تركت هذه الحادثة فى اعماق الشاب ، احساسا متزايدا بعظمة الاب وبطولته واصراره على المغامرة .. وفى نفس الوقت اصبحت هذه الجبال المكسوة بالثلج ، تمثل له سحرا غامضا ، وتحديا مستمرا يحلم ان يحققه .

اما الام .. فهى نموذج للطيبة والحنان والحكمة .. تعمل فى احدى صيدليات المدينة .. وليس لها فى الحياة من هدف سوى رعاية ابنها واحاطته دائما بجو من الحنان والنقاء والشرف والاخلاق ..

ونشأ الشاب انسانا مثاليا .. لا يعرف الكذب او الالتواء .. عذبا .. رقيقا .. وجادا .. الى ان بدات رحلته الصعبة فى الحياة العملية .. فقد تخرج من المدرسة الثانوية للاليكترونيات ، والتحق بالجيش لتادية الواجب العسكرى .. ولكنه لظروف مادية قاسية .. وجد نفسه غير قادر على مواصلة دراسته .. واصبح عليه ان يبحث عن وظيفة .. ليصطدم باول مشكلة .. ان الوظيفة تحتاج الى «واسطة» ويتدخل اصدقاء والده ليقوموا بهذه «الوساطة» .. ويحصل على الوظيفة فى احدى مؤسسات المعارض التى تقيم معارضها فى الخارج .. ولكنه لا يشعر ابدا انه وجد الوظيفة المناسبة .. فقد حصل عليها بطريق غير شرعى .. ثم يكتشف اثناء العمل ما هو ادهى وامر .. فرئيسه فى العمل يقوم بعمليات غير قانونية ، وغير اخلاقية .. والمصيبة ان كل زملائه فى العمل ــ وهم شباب فى مثل عمره ودراسته ــ يعرفون هذه الحقيقة .. ولا يعترضون .. بل ويشاركون فيها .. وكلهم يستفيدون بشكل او باخر ..

ولأنه نشأ على الامانة والصدق .. فهو يرفض ان يدخل فى هذه الدائرة الملعونة .. ويصمم على كشفها .. وفى نفس الوقت يواجه بمرض امه وضرورة نقلها الى احدى المستشفيات فى المدينة .. ليفاجأ بما هو ابشع .. ان دخول المستشفى يحتاج الى «وساطة» .. وتحرك الطبيب للعلاج يحتاج الى «رشوة» .. وتقرر الام المريضة ان تموت فى بيتها وعلى سريرها .. فهذا افضل وارحم !!

وتموت الام .. وتنتاب الابن حالة من الحزن والاسى المفجع .. وعندما يعود الى عمله .. يجد ان الحالة تزداد سوءا .. فرئيسه فى العمل يدخل فى عمليات جديدة من النصب والسرقة .. ويقرر ان يواجهه بكل الجراة والصراحة .. معتقدا ان زملاءه سيقفون معه ضد هذا الفساد .. ولكنهم ينظرون اليه فى دهشة .. ويسخرون منه .. يقول احدهم «لا تحاول اصلاح الكون .. خذ الدنيا كما هى ..» .. ويصرخ هو فيهم محاولا ايقاظ ضمائرهم: «لماذا تتركونى وحدى .. لماذا لا تقفون معى .. لماذا ؟ اننى فى مثل عمركم .. ودرست معكم فى نفس الدراسة .. واقرا معكم كل يوم نفس الجرائد .. لماذا انا مختلف عنكم» ؟!

ويأتيه الرد بضحكات السخرية .. والتخلى ..

ويقرر هو الاستمرار فى المعركة بمفرده .. وتكون النتيجة .. فصله من العمل .. ومنعه من السفر للخارج وسحب جواز سفره .. والصاق تهمة تهريب النقود به .. وهكذا خسر كل شىء .. ويلتحق باحد الاعمال الصغيرة .. كعامل نظافة .. ثم كعامل هدم للمبانى القديمة .

وفى اثناء عمله الاخير .. نجده مربوطا بالحبال على جدار مبنى قديم يحاول ان يحطم احجاره .. وتتساقط احجار المبنى .. لتصيب طفلا صغيرا كان يجرى بالصدفة تحت هذا المبنى .. ويصاب الشاب بالهلع .. وتتمثل امامه حادثة سقوط والده من فوق قمم جبال الثلج .. ويمتزج الحادثان .. لينتهى الفيلم على صوت صرخة حادة مدوية !

.. وفى هذا الفيلم يضع اثنين من العلماء فى مواجهة بعضهما .. احدهما استقر فى مدينة صغيرة فى بولندا ، ووهب حياته للعمل الروتينى ، واقامة علاقات انسانية صحيحة مع زوجته ، ومع جيرانه .. وانغمس فى القراءة والمعرفة الخاصة .. اما العالم الاخر الذى يعود الى هذه المدينة بعد غياب طويل ، قضاه فى عمل ناجح بالخارج ، فهو يرفض هذا السكون والتعود ويؤمن بالحركة والكفاح المستمر .. وبين هذين العالمين يتحدد الصراع وكل منهما يحاول البرهنة على صحة اختياره وموقفه .

اقدر الناس شوقا للحقيقة

وهذه النهاية الفاجعة ، المحملة بمعانى الماساة والانهيارات .. يؤكدها عنوان الفيلم الذى اختاره المخرج من وحى المعادلات الرياضية عن القوانين الثابتة غير المتحركة .. فكان «ثوابت» هى الحقيقة المؤكدة والوحيدة بكل هذه الاخطاء والمشاكل واهتزاز القيم .. ونتيجة المعادلة .. الماساة .. والانهيار !

واذا كان هذا الفيلم ، هو اخر ما قدمه

تلك النهاية الفاجعة المحملة بمعاني المأساة والانهيارات

لقطة من فيلم «ممثلون ريفيون»



المخرج زانوسي ـ المولود عام ١٩٣٨ ـ قبل اندلاع الأزمة البولندية .. فان اعماله السابقة كانت تشير الى نفس القضية ، حيث يواجه الانسان المثالى بضغوط وصراعات مدمرة ، وعليه ان يختار بين التخلى عن مبادئه الأخلاقية .. أو احتمال كل هذه الضغوط .. وغالباً ما كانت تنتهى موضوعات افلام «زانوسى» بعزلة واغتراب هذا الانسان المثالى .. إما بسبب عدم قدرته على المواصلة .. وإما بسبب إحساسه انه مجرد فرد واحد ، ولا يستطيع ان يحقق حلمه «باصلاح الكون» ولهذا يقرر ان يغلق الباب على نفسه .. ويعتزل المجتمع !

واغلب ابطال أفلام «زانوسى» من فئة العلماء الذين يتعاطون مع العلم فى ادق تفاصيله ، ولكن اهتماماتهم اعم واشمل .. وتساؤلاتهم دائما انسانية واخلاقية .

ويفسر المخرج «زانوسى» هذا المنهج فى اختيار نوعية ابطاله فيقول :

«حيث انني أكتب جميع سيناريوهاتى ، فانى اميل للاستفادة من تجربتى الحقيقية والبيئة العلمية التى نشأت ودرست فيها (درس الفلسفة والطبيعة فى جامعة وارسو) .. وفى اعتقادى أن تلك البيئة مهمة نسبيا خاصة فى ثقافتنا وفى بلدنا .. حيث يكون العلماء ، أشخاصا أكثر انفتاحا ، ولهم حرية فكر أكبر ويتحملـــون مسئوليات أكبر من الآخرين .. وتلك مسالة معروفة فى بولندا ، وتعود جذورها الى عصر النهضة ، حيث كان من يهتم بالعلم مضطرا للاهتمام بالكون كله .. لأن العلم هو دائما البحث عن الحقيقة .. ومن يبحثون عن الحقيقة ، هم أشخاص عليهم أن يتحملوا مسئولياتهم وان تكون افاقهم أوسع» !

● الحلول الوسط .. لا تفيد !

وبهذا المنهج الفكرى .. قدم المخرج «زانوسى» فيلم «بناء الكريستال» عام ٦٩

وفى فيلم «تمويه» ـ عام ٧٦ ـ يقدم المخرج نوعا من الصراع العلمى داخل نطاق الجامعة من خلال شخصية شاب جامعى يحاول ان يدخل بحب واخلاص الى دائرة الأصدقاء من أساتذة الجامعة والطلبة .. ولكنه يفجع فى نائب الجامعة الذى ارتقى منصبه على حساب بحث سرقه من زميل شاب .. وهذا الزميل الشاب ارتضى هذا الوضع مادام سيستفيد هو شخصيا .. وتاتيه الفجيعة الأخرى فى صديقته وعلاقتها العاطفية المرتبكة .. وهكذا تهتز كل القيم والمبادىء فى نظر هذا الشاب ، بالاضافة الى تركيبته الشخصية ، من انه شخص لا يملك النفس الطويل فى المواجهة .. فيسقط فى براثن الحلول الوسطى !..

ويدين المخرج «زانوسى» هذا الموقف بقوله «لا يمكن ان يعيش المرء بدون مبادىء واضحة جدا .. اى ان الحلول الوسط لا تساعد .. بل تؤدى الى التدمير الذاتى .. وكذلك قبول الشر الذى يختاره البطل الاخر فى الفيلم ....!

وبين فيلم «بناء الكريستال» وفيلم «تمويه» .. قدم المخرج فيلم «حياة عائلية» عام ٧٠ ـ «خلف الحائط» عام ٧١ ـ «التنوير» عام ٧٣ ـ «التوازن» عام ٧٤ .

وقد وضع المخرج فى هذه الافلام .. افكاره الخاصة عن الاخلاق ومعنى الحرية والتناقض بين المادة والروح .

وفازت أغلب افلام «زانوسى» بجوائز عالمية .. ومن داخل بولندا نفسها .. وانطلق اسمه شامخا كأحد أعلام السينما البولندية المعاصرة ..

● «فايدا» .. وفيلمه الأخير

يأتى اسم المخرج «اندريه فايدا» كقطعة الماس الأصلية المتوهجة التى تتلألأ فى السينما البولندية .. مفكرا .. ومبتكرا .. وأستاذا لأجيال متلاحقة من السينمائيين الشبان .. حتى استحق أن يكون رئيسا لاتحاد السينمائيين فى بولندا .

ومن المثير أن نتأمل أخر فيلم أخرجه «فايدا» وكان بعنوان «بدون تخدير» وقد عرض عام ٧٩ .. ففى هذا الفيلم قرر المخرج «فايدا» ان يعدل من أسلوبه السينمائى ، وأن يقدم فيلما بسيطا ، بأقل قدر من الرموز والايحاءات ، ولكن فى نفس الوقت فيلما جريئا وشجاعا يناقش فيه قضية فقدان الثقة بين الأجيال .. والتى تصل الى حد المعركة السافرة والتى تستخدم فيها كل وسائل التشهير والكذب والخداع !



لقطة من فيلم «ممثلون ريفيون»

حيث نجد هذا الصحفى المتخصص فى فرع السياسة الدولية ، والأستاذ الجامعى الذى يلتف حوله الطلبة فى شوق واحترام .. فى مأزق مفاجىء بعد رحلة عمل فى الخارج .. انه يعود ليجد زوجته التى قضى معها ١٥ عاما من الحياة المشتركة ، تفاجئه بقرارها بالانفصال عنه .. ويكتشف الزوج المذهول أن زوجته اختارت لها عشيقا شابا من بين زملائه فى الجريدة .. ويكتشف ايضا انه اصبح غير مرغوب فيه للعمل .. لآراء سياسية كان قد اعلنها .. وعلى هذا سحبوا منه كل امتيازاته ابتداء من المكتب الذى يجلس عليه .. الى مجموعة الجرائد التى كانت تصله .. وهكذا يواجه هذا الصحفى بجو مريب وفاسد فى عمله ، وكذلك فى حياته الشخصية .. ولا يدرك سر هذه العاصفة المسمومة التى احكمت عليه كل منفذ .. ولكنه مازال يامل ان يعيد زوجته اليه ، فهو لا يتصور كيف تتركه فى هذه الظروف .. ويحاول اللقاء بها .. ولكنها تسرع الى المحكمة وتستجلب شهود الزور .. وليواجه هو بكمية هائلة من التهم الكاذبة .. يمزقونه بكلمات قاسية ، كاذبة ، وشديدة البشاعة .. وبصفاقة لا حدود لها .. ويلوذ هو بالصمت .. وكأنما بشاعة ما يراه وما يسمعه قد أصابته بالذهول ..

ويبرع المخرج «فايدا» فى تصعيد المأساة اللاأخلاقية ، ليقدم فى مشهد سينمائى فريد .. حادث موت ذلك الصحفى .. إننا لا نعرف كيف حدث الموت .. ولكننا نرى زحاما .. وسيارة اسعاف .. والبيت الذى كان يسكنه .. وزوجته تجرى ملهوفة وكأنما أدركت بشاعة ما تمادت فيه .. ثم بعض المارة يعلقون أن انفجار غاز قد حدث فى بيت ذلك الصحفى !

هل كان قضاء وقدرا .. أم انه حالة



هل تنبأت السينما البولندية بما حدث ؟







لقطة من فيلم «ممثلون ريفيون»

انتحار ؟! .. لا اجابة محددة .. ولكن النتيجة نهاية انسان ! .

انها حالة انتزاع من الحياة .. بكل الام الانتزاع .. وبدون تخدير !!

وهكذا ربط المخرج «فايدا» بين فساد العلاقة الزوجية ، وفساد العلاقة بالمجتمع ككل .. حيث جاء الانفصال منهما معا ! .

وقد لقى هذا الفيلم نجاحا هائلا ومدويا فى بولندا .. واثار ردود فعل عنيفة .. وامام زحف الجماهير البولندية على دور العرض التى تعرض هذا الفيلم .. قال المخرج «فايدا» تعليقا على هذه الظاهرة «إننى ولأول مرة منذ ثلاثة وعشرين عاما (هى عمرى فى حقل الاخراج السينمائى) اتجه الى مثل هذه النوعية من الموضوعات .. واعترف اننى اكتشفت مدى أهميتها ومدى اقترابها من المتفرجين .. ربما لأنهم يعانون من نفس المشكلة فى حياتهم الخاصة أو فى عملهم .. ويريدون أن يشاهدوا انفسهم على الشاشة !!» .

● نهاية التستر وراء الأفلام التاريخية

وهذه الكلمات للمخرج «فايدا» توحى بتلك الفترة من عمر السينما البولندية ، حينما كانت تلجأ الى المواضيع التاريخية والأحداث القديمة ، تلافيا للصدام مع السلطة ، وهربا من مشاكل الرقابة .. اذا ما تعرضت الأفلام لمشاكل وقضايا معاصرة ..

ولكن مرحلة المواربة انتهت ، وأصبح الموضوع حيا ، والنقد شجاعا وجريئا ..

وربما كان المخرج «فايدا» من أكثر المخرجين الذين تحملوا مضايقات الرقابة فى بولندا .. وهو أيضا من أكثر المخرجين شجاعة ووعيا واصرارا على التمسك بموقعه فى السينما البولندية .. رغم كل الاغراءات الخرافية التى قدمت له للهجرة الى امريكا ..

ولم يفعل مثل ما فعل المخرج البولندى الأصل «رومان بولانسكى» الذى هاجر الى امريكا .. ثم اتهم فى قضية اخلاقية .. واضطر بعدها الى الهجرة الى فرنسا وحمل الجنسية الفرنسية .. ومازال حتى الآن رغم نجاحه الفنى والتجارى لفيلمه الأخير «تيس» فى موقف لا يحسد عليه .

● جيل جديد من الشباب .. يعمل

وتشهد السينما البولندية الآن .. حركة شابة .. قوامها عدد كبير من المخرجين الشبان .. رجال ونساء .. يواصلون العمل بايمان خاص كى يعيدوا الثقة الى سينما اوربا الشرقية .. وان يكون لهم دور فى حركة الاصلاح داخل بولندا ..

من هؤلاء المخرجين : كريستوف كيسلوفسكى الذى اخرج فيلم «الهاوى» والكاتبة والمخرجة اجنيسكا هولندا التى اخرجت فيلم «ممثلون ريفيون» والمخرج جانوز كيبوفسكى الذى اخرج فيلم «كونج فو» .

ومن الجميل ان يقف جيل «فايدا» وجيل «زانوسى» فى خدمة هؤلاء المخرجين الشبان الذين لا تتجاوز اعمارهم حدود الثلاثين .. ولكنهم ممتلئون بالموهبة والحماس والنظرة الاجتماعية المخلصة ..

● وفى النهاية ..

ربما كانت كل هذه السطور عن السينما البولندية .. مثالا واقعيا لما يجب ان تكون عليه السينما التى تحاول قياس نبض الجماهير .. وتقديم ما يساعدهم على التامل والتفكير الهادىء .

واذا قيل – فى يوم من الأيام – ان السينما البولندية ساهمت بشكل او باخر فى حركة اصلاح المجتمع .. فان هذا سيكون تأكيدا جديدا للمعنى الحقيقى للسينما ودورها الانسانى العظيم .. وهو المعنى الذى يضيع كثيرا فى طوفان أصحاب المصالح الخاصة من تجار الفن .. فى كل زمان .. ومكان ! .

رءوف توفيق



قال المخرج العالمي « بازوليني » يجب أن يعرف العالم كله أن الفيلم الديني أصبح من أهم ضروريات العصر ، فهو أخطر الوسائل الفكرية والاعلامية والثقافية والتربوية ، فالجماهير الآن أصبحت ظامئة ومتعطشة الى معرفة الحقائق الروحية النابعة من ظروف العصر ، لذلك لابد أن يرتبط الفيلم الديني بالناس لكي يوضح لهم هذه الحقائق الهامة وسط طوفان الأيدولوجيات المتعددة .





مجموعة لقطات من الافلام الاسلامية . الى اعلى لقطة من فيلم الرسالة ، والى اليسار لقطة من فيلم القادسية .. هل يمكن أن يصبح لدى السينما العربية اكثر من مائة فيلم اسلامي فى خلال عشر سنوات .



الفيلم الاسلامي

ولكن وللاسف الشديد ، السينما العربية أصبحت بلا استثناء غارقة فى الافلام العاطفية التى تبعد الانسان عن الواقع العربي الاسلامى ، وإذا خرجت هذه الافلام من الاطار العاطفي ، فهى ترتمي فى أحضان رموز غريبة ، بحجة تقليد وملاحقة فنون السينما الغربية ، التى تجعلها بعيدة تماماً عن قيم وحياة الانسان المتطلع الى حياة افضل ..

والغريب فى الامر ، أن اغلب الدول العربية والاسلامية ومنذ عشرة اعوام لم تقم باخراج فيلم عربي اسلامي واحد باستثناء فيلمي الرسالة للمخرج « مصطفى العقاد » وفيلم القادسية ، اخراج المخرج « صلاح ابو سيف » ، وهذا ليس بالمعقول ، فنحن في اشد الحاجة الى افلام تستجيب الى رغبات الجمهور وتوضح لهم تراثنا وتاريخنا وفكرنا العربي الاسلامي ، لكي نستخلص القيم النبيلة التى تخلق المواطن القادر على مواجهة كل الظروف الصعبة التى يعيشها عالمنا الحاضر !

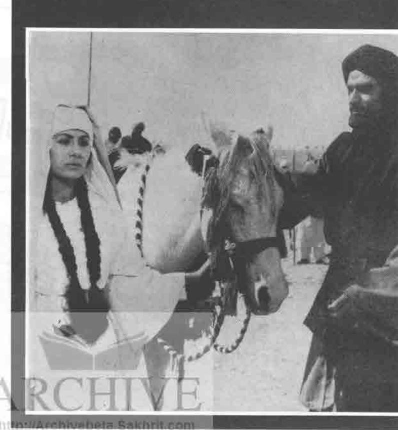
وهنا اتساءل : اين الفيلم الديني الذى يشرح للشباب والشيوخ والأطفال والمرأة المسلمة تقاليد وعادات وافكار وبطولات الانسان العربي ؟!

وفي كل مرة خلال شهر رمضان المبارك او أية مناسبة دينية ، اجد نفس الافلام تتردد دون تقديم اى جديد : صلاح الدين الايوبي ، ظهور الاسلام ، وا اسلاماه ، خالد بن الوليد ، الشيماء ، بلال مؤذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فجر الاسلام ، السيد البدوى ، هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، الله اكبر ....

ورغم أن هذه الافلام بعضها توفرت له كل السبل الفنية ، إلا أن بعضها الآخر يعتبر فنياً غير صالح لمخاطبة الجماهير ومحشو باخطاء فنية عديدة واخطاء تاريخية تشوه كل ما عرفناه من حقائق عن العروبة والاسلام ..

وارجو ان لا يوحي للمتفرجين ان الحرب والقتال عمود فقرى للفيلم الاسلامي ، فنحن نستطيع فى مثل هذا الفيلم أن نقدم حياة صحابي جليل ، له باع كبير في الفقه والحديث ويتنقل من بلد الى آخر لطلب العلم والفقه ..

ويمكن أن نرى من خلال الفيلم بعض التعاليم الاسلامية ولكن بصورة غير مباشرة ، وخير مثل فى ذلك ما حدث فى الحقبة الأولى من التاريخ الاسلامي حين اختلف الحسن والحسين ابنا علي ابن ابى طالب «رضى الله عنهم » على كيفية الوضوء « لانهما رأيا رجلا مسناً يتوضا خطأ » ويتوضان امام الرجل الذى ظل يراقبهما كيف يتوضآن ، ويقول لهما احسنتما .. الخ ولأن



النصيحة عندما تكون غير مباشرة تكون ابلغ فى النفس واعمق أثراً .

وبامكاننا ايضاً أن نتناول ترجمة حياة احد الخلفاء الأمويين او العباسيين ونتحدث عن سيرة حياته وما حدث من وقائع اثناء حكمه .. وكذلك نستطيع أن نقدم فلاسفة الاسلام والعلماء العرب لتدرك الدنيا كلها الأيادى البيضاء للعرب فى مجال العلوم وقت أن كانت الجهالة تسيطر على عقل وفكر الانسان الأوربي !

الموضوعات كثيرة ، والتعاليم عديدة والمهم ايجاد الدولة المنتجة للأفلام الاسلامية أو المنتج الذى ينتج الأفلام التى تجمع بين الموضوعات والتعاليم ، والقلب والقالب ، بحيث تقدم فى النهاية شيئاً جيداً يناسب روح العقيدة السمحة ولا يخرج عن اهدافها وما تقدمه للبشرية كلها من قيم مبادىء

فرغم ان الافلام الدينية التى انتجتها السينما العربية تكاد تعد على اصابع اليد ، إلا انها كثيراً ما احدثت هزات عنيفة فى قلب وعقل المسلم المؤمن الخالص لوجه اللـه ، وقد حكى لي احد الأصدقاء من الدبلوماسيين القطريين وكان فى زيارة للفيلبين واندونيسيا انه حضر عرضاً سينمائياً لفيلم «وإسلاماه» وسط الف متفرج تقريباً من المسلمين ، وقال لي أنه فى كل المشاهد التى كان يحقق فيها المسلمون الانتصارات اثناء عرض الفيلم ، كان يسمـع هدير المتفرجيـن وهتافـاتهم الصادرة من القلب .. وقال لي انه بكى من روعة ما رأى اثناء عرض الفيلم ، وعندما انتهى العرض خرج المتفرجون الى الشوارع فى جماعات وهم يرددون اللـه اكـبر فى صوت مؤثر وعميق !

وصديق آخر من السفارة القطرية فى السودان انتقل وتجول في معظم القارة الافريقية ولاحظ ندرة وقلة الفيلم الاسلامي فى دول غرب افريقيا وشرقها ، وسط مئات بل آلاف البعثات التبشيرية التى لديها احدث اجهزة العصر ، ابتداء من الطائرات الخاصة الى الكتب والمطابع ، والهدايا ، والأفلام ، والأموال والقدرة على ارسال المئات للتعليم فى جامعاتهم فى اوربا وغيرها .

إننى بعد انتهاء كل مؤتمر اسلامي عالمي اتوقع دائماً أن يصدر ضمن توصياته وقراراته توصية بانتاج ملحمة اسلامية خالدة فى السينما ، ولكن للأسف لا اجد ضمن هذه التوصيات ولو اشارة واحدة الى اهمية هذا العمل الاعلامي الكبير ..

إن مسؤولية الأفلام الاسلامية تقع بالدرجة الأولى على الحكومات العربية والاسلامية وليس على الأفراد ، لأن نوعية هذه الأفلام تحتاج الى ملايين من الريالات والدولارات ، وتحتاج الى جهد فى المتابعة والتنفيذ والرؤى وتحتاج ايضاً الى اناس علي درجة من الكفاءة الفنية العالية .

ويكفى القول أن هناك عشرات من الأفلام تعرض في القارة الأوربية وبعض بلدان أمريكا ، أو تعرض فى مناطق أخرى محاطة بالأسوار العالية ، لتمجيد الأديان الأخرى على حساب الدين الاسلامى العظيم ، الذى يملك الامكانات الهائلة الكفيلة بانتـاج أضخم واعرق وأرقى الأفلام العالمية .

وفي النهاية اتمنى أن يكون فيلم (القادسية) الذى اخرجه المخرج صلاح أبو سيف ، وانتجته الجمهورية العراقية ، هو بداية لمساهمة الدولة فى هذا المجال الحيوى الهام ، فلو قامت كل دولة عربية واسلامية بانتاج فيلم واحد كل عام أو على الأقل كل عامين لأصبح رصيد السينما العربية والاسلامية فى عشر سنوات أكثر من مائة فيلم اسلامي ولما أصبح هناك مبرر للسؤال القائل : اين الفيلم الاسلامي ، ولماذا اختفى من الحياة الفنيـــة ؟

عبد اللـه السعدى

الأشباح الملونات

شعر: محمد المهدي المجذوب



يصبغني الاعـلان*
مختلف الأصواتِ والاضاءه
مختلف الألـــوانْ

●

وجهي مراة معلقـه
ليس لها رأي تقوله تحدثت مصدقه
من يا ترى قلَّبَ سطحَها تجُولُ فى ابعادِه المدينةُ المؤنَّقه
فراغهـا المشع والفتـون
تنكفيء السماء فوقها ناثرة نجومها المؤرَّقـه
ضوَّاها الليلُ سَجَا ولم يضيء نفوسىَ المفرَّقـه
تسألُ طيفى من انـا ؟
تذكـر تلك الرؤيـة القصيـّـه ؟
صاحـوا غـلام صالح زكـيّ
ميـلادُهُ فى مولـد النبـيّ
يعيشُ عَيْشَ المؤمنِ الرَّضيْ
وبَشَّروا الخلْوَةَ بالمهدىْ
وكتبوا ميلادَهُ مؤرَّخا فى المصحفِ الوضيْ
ورجع الطيف الى زمانه الخفـي

ولدت أم تدفقت نفسىَ بين يدىْ قابلتى
خطاى فى خُطَى غيرى
تحملُنى الى مراقِص الشموعِ أزْهَرَتْ مصنوعةَ الينوعْ
أسالها عن الربيعْ
تُشكتُ أدمعى تنظمها قلادةً من زيفها البديعْ
تختصمُ الحروفُ والقراءه
فى ذاتـى المعـدَّده
وانهارت السطور عُمُداً مُمَدَّدَه
من الهياكِلِ المشيَّده

●

ما أصدقَ الكوفىَّ صَاحَ فى عذابه الأشَمْ
أُفْسِدَت الأقوالُ حتى أُحْمِدَ الصَّمَمْ
العيدُ لا جديد فيه
بين الذى كان وما اريد أن أكون



مسافةٌ ضوئيــةٌ
تَبلَّجَتْ فى موتها القاصى
يُقبِلُ من اداهرٍ على اداهرٍ مقبلةٍ من غَيْبِها الكَنينْ
لا تَلُم المجنونَ قد رأى
فى حانةِ الجنونِ ما رأى
يجتاز امسَه وغدَه الى حقيقةٍ سخيَّةٍ مجردَه
لُمنِيَ وحدى ما رايت ساريا مفرّقا بين حواجب المدينةِ الممرَّدَه ..
تغمز للأشباح فى ظلالهـا المشرَّدَه
وغابةُ الضوء توتّرت حيَّاتُها المسدَّدَه

●

الضوءُ وشمٌ ينسخ العُقُولَ صار عاده
وامَّحت الإرادَه
فى قَمَرِ الاعـْلانْ
الناسِ اذن واحدةٌ على محيّا قبلةٍ صمَّاءْ

تَدِقّ فيها النشرةُ المعادَه
لكل نفسٍ وحدها عباده
تنتظر الاقبالَ والسعاده
جُنّت بها وانتظرت دواءها المجهولَ فى العياده
تسمع وعداً دار حول محورٍ لا شىء حوله يدورْ
غير طيورِ الأعين السجينه

●

هـذى حيـاة النـاس
غُثَاؤُها ينتظر الكنَّاس

●

من يا ترى يُخرجنى من مسرح المراة
والوشائج العابرة المردده
من صور العدوان فى المصالحـه
والكَذِبِ المفترسِ العريان
ويسدل الستارْ
يُعيدنى الى حقيقتى الموحَّده
القى نفوس الناس حرةً فى بلدى
يا بلـدى يا بلـدى !
أمَـا رايتِ كمـدى ؟

هكذا تكلم أمين الريحاني

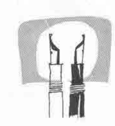
تحرر

● إن الذين يتاجرون بحريتهم كما لو كانت ثوباً من الخام .. إن هم إلا قبور متحركة .

● حريتي من الله . فاذا فقدتها فانني المسئول عنها .

● تتأوه الروح في قيود السلطة .. كما تتأوه في قيود العبودية .

● علينا الا نكون عبيداً لمن فوقنا . ولا نستعبد من هم دوننا .



أدب وعلم

● إذا كنت كاتباً .. لا تحرك قلمك لتعزيز الباطل على الحـق .

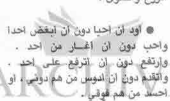
● الجمود في اللغة كالجمود في الشرايين .. يورث الشـلل .

● خير الكتب : كتاب لا يتركنى بعد مطالعته فى الحال التى الفتها . كتاب يحرك في عاطفة شريفة او فكرا ساميا . يزحزحني من مكاني او يدفعنى لأزحزح من هم حولي . كتاب يوقظنى من سباتي العميق .

● المستقبل للعلم الذى فيه خير الناس أجمعين .

● من كتب المستقبل لا يجازى فى الحاضر . ومن كتب للحاضر نسيه المستقبل .

● موت الجاهل هو المحطة الأخيرة فى رحلة الحياة ، وموت العالم هو المحطة الأولى فى رحلة الفكـر .





فى الأخـلاق

● إن الذين يضحون من مالهم ويومهم ووجاهتهم فى سبيل الناس .. هم صفوة الناس .

● الانتصار للحق اجمل مظاهر الورع والتقوى .

● أود أن أحيا دون أن أبغض احدا واحب دون أن أغـار من أحد . وارتفع دون أن أترفع على أحد . وأتقدم دون أن أدوس من هم دوني ، أو أحسد من هم فوقي .

● حاولت مرة أن أكره رجلا يحبه قلبي ، فركبت اليه مركب الغش والخداع . وكنت أظنني أبغضه وظللت كذلك إلى أن ثارت على نفسي فانبتني وطلبت الي أن أكفر عن ذنبي . ولما جئته مستغفراً وجدته جثة باردة .

● الحكيم هو من يترفع عن الضغائن والأحقاد .

● من الناس من لا يرى غير الطيب فى أعمال الغير .. فهذا كريم فاكرموه . ومنهم من لا يرى غير الخبث .. فهذا زنيم فانبذوه .
ومنهم من يرى الطيب والخبيث معاً .. وهذا حكيم فاتبعوه .

● النفوس اتربة ، منها البيضاء .. ومنها السوداء . ومنها ما لا لون له وهذه اخبثها .

الحق والحقيقـة

● أن نعرف اللـه .. أن نتامله ونستشعر بـه فى سلوكـنا الانساني : هي الحقيقة الكبرى فى كل الأديان .

● الحقيقة قد تتجلى للأمي .. كما تتجلى للعالم .

● الحقيقة متعددة موزعة مبعثرة نثرها الله فى العالم فاثمر منها حتى فى قلب نيرون ، وفى صدر أبي لهب .

● ليس الجمال فى الحقيقة دائمـاً .

● من كان خصما للحق فالحق لا يفتقر لـه .

فى التفـاؤل

● محنة مضحكة خير من نعمـة تبكيـك .

● مد يـدك الى السماء .. تدن من نجومهـا .

● النبت الذى تلويـه الرياح اشد عوداً من نبت ينمو فى بيوت من زجاج .

● إن فى المصائب ينبوعاً للقوة ومصدراً للوحي . ولولا ذلك لما كان المصلحون والأنبيـاء .

● وراء كل معركة ميدان لمعركة ثانية

● يقول المتشائمون : إن النفس أمارة بالسوء .
ومن الحق أن نقول : وبالخير كذلك .

الفاتح إبراهيم أحمد



معاوية وبليك

العبقري والشهرة

.. هل الشهرة ضرورية للعبقري ؟ يجيب الشاعر الانجليزي وليم بليك على هذا السؤال قائلا :

« إن الشهرة ليست ضرورية لصاحب العبقرية لأن الانسان يعيش وحيداً ويموت وحيداً فلا ينبغي أن ينسى وحدته الأساسية ويعيش في وهم علاقاته الاجتماعية » ..

واجابة بليك تنبع من سيرته الذاتية وحياته الشخصية وتعكس الظروف التي واجهها في موطنه .. فبالرغم من أن بليك من أكبر شعراء الانجليز ، فانه عاش مغموراً ولم يعترف له بالنبوغ حتى من بعض أصدقائه .. بل اعتبره البعض مجنوناً ، ولم يكترث بليك وواصل انتاجه الشعري وقال في إحدى قصائده إنه يمتلك كل ما يحتاج اليه في حياته ..

عدد بليك مايملكه وهو الغبطة العقلية والصحة العقلية وأصدقاء العقل وزوجة تحبه ويحبها ..

قال إنه بذلك يملك كل ما يريد في الحياة بالرغم من انه لا يملك شيئاً من ثروات الجسد .

ولا ينبغي ان يؤخذ ما حدث لوليم بليك برمته حتى يطبق على غيره من الأدباء لأن بليك كان محظوظا بوقوف زوجته الى جانبه تلك الفتاة التي عرفت برزانتها ونبلها غمرته بحنانها ولم تكف عن تشجيعه والاعتراف له بالنبوغ ، فقد كان دورها رائعا بحق في حفظ التوازن النفسي لهذا الشاعر الذي صار من أكبر شعراء الانجليز . فالعبقري يحتاج الى من يقف بجانبه ، يدعمه ويشجعه ، وإلا فان التجاهل وعدم الاعتراف له بالنبوغ يصيبه بالعقم والانزواء والجنون وهذا بعض ما حدث للأديب السوداني معاوية محمد نور الذي عاش مغموراً ومات مغموراً ، ومايزال حتى الآن مجهولا من القراء ، بالرغم من كتاباته المتنوعة الجريئة في الصحف المصرية في الثلاثينات ..

والكتابة عن هذا الأديب العبقري تعيقها ندرة المعلومات عن سيرة حياته الغامضة .. ..

تخرج معاوية نور من كلية غردون بالخرطوم ثم ذهب الى مصر ليكمل تعليمه فلم يستطع، غير انه أكمله في جامعة بيروت الأمريكية عن طريق بعثة دراسية على نفقة الأمير عمر طوسون .. وبعد فترة قضاها في مصر رجع الى السودان وأثر في نفسه ما لقيه من ظروف صعبة بسبب مواقفه الوطنية إبان الاستعمار الانجليزي ..

معاوية وبليك
العبقري والشهرة

كان على الطريق الصحيح
لارساء نهضة أدبية متكاملة



معاوية محمد نور

سلامة موسى

لاحت العبقرية فى شخصية معاوية فى وقت مبكر جداً من عمره ، وخلال الفترة التى قضاها فى مصر .. بعد عودته من بيروت اتصل بالأوساط الأدبية فى مصر وغمر الصحف المصريــة بكتاباته فى السياسة الأسبوعية (١٩٢٧ـ١٩٣٣) . وفى المقتطف والبلاغ وفى جريدة الجهاد (١٩٣٤ـ١٩٣٧) .. كما عمل محرراً فى جريدة « الاجيبشيان غازيت » التى تصدر باللغة الانجليزية . وتناول معاوية فى كتاباته نقد الشعر ، والقصة والنثر .

وكانت لمعاوية صلة صداقة قوية بالعقاد الذى رثاه بقصيدة نشرت فيما بعد فى ديوان العقاد « اعاصير مغــرب » ، وقد ارسلها لتلقى فى تابينه بالخرطوم ، يقول فيها :

اجل هذه ذكــرى الشهيد معاويـــه
فيالك مــن ذكـرى على النفس باقيه
بكائى عليـــه من فــؤاد مفجــع
ومن مقلة ما شوهدت قــط باكيـــه
تبينــت فيــه الخلد يــوم رايتـــه
وما بان لــي أن المنيــة اتيـــه
وما بان لي انى اطالـــع سيـــرة
خواتيمها مــن بدنها جــد دانيـــه

نهضة أدبية

وإذا تتبعنا نماذج من مقالات معاوية النقدية نجد انه تلمس الطريق



ليس الأدب هو الشعر فحسب..
إنه فرع من فروع الأدب

الصحيح لارساء نهضة أدبية متكاملة فى تلك الأيام الباكرة من تاريخنا الأدبي الحديث وذلك بالرغم من قصر حياته والاضطراب الذى عاش فيه .. يقول فى إحدى مقالاته عام ١٩٣٩م :

« ليس الأدب هو الشعر فحسب ، وما اظن كائنا من كان يقول بذلك .. وإنما الشعر فرع من فروع الأدب ، فهناك الرواية ، وهناك القصة القصيرة ، والدراما .. وهناك البحوث الفكرية والأدبية ذات الصبغة الاجتماعية والفلسفية التقدمية » ..

.. وقد وجه معاوية ثورة عنيفة على مسالة حصر الأدب فى نطاق ضيق من الانتاج الأدبي وعول على ضرورة التنويع وولوج كل جوانب الانتاج الأدبي كالرواية والقصة والمسرح ..

ونعى معاوية فى مقالاته على زعماء النهضة فى ذلك الوقت حصر انتاجهم فى المقالات الأدبية فقط . يقول :

« ويحزننى أن اقول ان زعماء نهضتنا الى الآن لم يحاولوا الرواية ولم ينتجوا فيها شيئاً يذكر . ويتلخص عمل كتابنا الناثرين فى عدة مقالات نقدية وصفية تنشر بالصحف السيارة ثم تجمع فى كتاب وتقدم للجمهور .

واعجب من هذا . إذا اردت ان تعرف شيئاً عن فلسفتهم الادبية أو الفكرية الأساسية كما هو الحال عند كبار الكتاب !!

ومن ليس له فكرة اساسية يصدر عنها قمين به الا يعد من زعماء النهضة

ويمضى معاوية نور يوضح مفاهيمه حول أسس النهضة المطلوبة :

« نحن نطلب منهم مقاييس ادبية مبتكرة ونظرة خاصة للحياة والآداب . والآن انظر معي الى مؤلفات الأستاذ «سلامة موسى» والدكتور « هيكل » والدكتور « طــه حسين » واحزابهــم . فهل ترى فى جميع كتاباتهم شيئا مثل هذه الفكرة الأساسية ؟ ف « اوقات الفراغ » للأستاذ هيكل ما هو إلا مجموعة مقالات وليس فيه اى فكرة اساسية ..

ويتساءل معاوية فى مقاله : ماالذى عمله الدكتور طــه حسين الى الآن ؟ أعترف بانه حينما يحلل القصص الفرنسية وينقدها يلذ للقارىء كثيرا ، أو يدل على قوة نقدية رائعة ، ولكن هل هذا كل ما نطلبه من زعيم نهضة ؟ وقد يقول قائل ان الدكتور طه حسين مؤرخ آداب وناقد وليس باديب فمالك تطلب منه ذلك ؟ فاقول : أين هى مقاييسه المبتكرة فى نقد الآداب وكتابة تاريخها ؟ فاننا نعلم إن كبار مؤرخي الأدب لهم فلسفة خاصة بهم امثال « تين » و





محمد حسين هيكل



د. طـه حسين



عباس محمود العقاد

«سانت بيف» و « هالام » ، فاين الدكتور طه من هؤلاء ، واين هى تاليفه . ؟ « حديث الأربعاء » وما هو إلا حديث عن الشعراء ليس فيه فكرة أساسية ..

« الشعر الجاهلي » نعم فيه فكرة اساسية ولكنها منقولة من المستشرقين امثال « نواكره » الالماني و « نيكسون » الانجليزى . « فلسفة ابن خلدون » هو الآخر ليس فيه فكرة اساسية وانما تحليل فقط وتطبيق لنظرية « تين » فى دراسة الرجال فهل مثل هذا الاحتكار لآراء علماء الغرب يجدر بزعماء النهضة . ؟

وكتاب سلامة موسى « حرية الفكر وابطالها فى التاريخ » الذى كتب عنه بعض النقاد فاسماه كتاب السنة وما إلى ذلك من مثل هذا الهراء المحصن ، ماخوذ من كتاب تحرير الانسانية للأستاذ « فان لون » وتاريخ الحركة الفكرية لمؤلفه « ج . ب . برى » فاى فضل له سوى فضل الترجمة والنشر ؟!

هذا نموذج من مقالات معاوية النقدية التى اوردها هنا للدلالة على ثقافته الواسعة وثقته فى نفسه المتطلعة لمكان لها فى الأوساط الأدبية فى ذلك الزمان ويظهر ذلك جليا فى تصديه لقضايا اساسية فى الأدب ونقده حتى لكبار الكتاب والأدباء والشعراء .

ذكي جداً .. لا يصلح

وقد كتب معاوية ايضا سلسلة مقالات فى أوائل الثلاثينات فى مجلة «الرسالة» بعنوان « اصدقائى الشعراء هذا لا يؤدى » نقد فيها ابراهيم ناجي ، وعلى محمود طه المهندس .. كما نقد ابو شادى فى ديوان « الشفق الباكي » فى « السياسة الأسبوعية » عام ١٩٣٠ قال فيه :

« لايمكننا ان نعوض له فى شىء من الجد إلا حينما يكون للشاعر شعر وموضوعات شعرية » ..

وقد حفلت مقالات معاوية بمختلف المواضيع ، إذ كتب فى الاجتماع ، والسياسة كما كتب فى الثقافة العامة ، وكتب سلسلة مقالات كانت عبارة عن خواطر يومية ، وكتب مجموعة من الاقاصيص المليئة بالصور السودانية ..

وقد لاقى معاوية من الصعاب وضنك العيش من خلال حياته القصيرة بسبب موقفه الوطنى ونبوغه الذى ضاقت به البيئة السودانية فى ذلك الوقت .

يقول الاستاذ مختار عجوبة فى كتابه « القصة القصيرة فى السودان » : ومعاوية الذى طارده الانجليز وحرموه الاستقرار فى السودان وخذله ابناء وطنه ولم يتيحوا له فرصة النمو فى داخل بلاده ، بل إنهم كانوا يتجاهلون ادبه وصدقه . لقد كانوا دونه طرا فحسدوه فعاش غريبا كطائر يغرد يحمل وطنه بين جناحيه ومع نبضات قلبه باحثا « عن سودانه » .. وما ذنب معاوية إذا كان ذكيا حتى يكتب عنه احد الحكام الانجليز بانه « ذكي جدا لا يصلح » ..

وقد كان معاوية فى ذلك الوقت يكتب مقالات مسلسلة بعنوان « سوداني يبحث عن سودانه » . كما كتب فى السياسة الاسبوعية مقالا تحت عنوان « احاسيس الحياة فى الخرطوم .. خواطر وذكريات محزونة » . وتعكس هذه المقالات مدى ارتباطه الوجداني بالوطن وهو مازال طالبا فى جامعة بيروت فى ذلك الوقت .

لقد تركت الظروف الصعبة المريرة التى واجهها آثارها على صحته النفسية والجسدية خاصة بعد موت ابيه فقد واجه اليتم والفقر واسلم الروح وهو فى ريعان شبابه فى حوالي الثلاثين من عمره . مات معاوية قبل ان يكمل مشوار العبقرية الذى بداه بكل هذا التوهج والجراة .

وهكذا قضى ذلك الأديب . حاربه الاستعمار وصرعه الفقر واليتم والمـرض ، ولم يجد ما وجده « بليك » شاعر الانجليز لينقذه من الجنون ويعيد إليه التوازن النفسي .

الفاتح ابراهيم احمـد

رامي

كان شاعر الشباب في التسعين

بقلم : محمد فتحي

القيمة الكبرى لاحمد رامي هي انه بلا مبالغة ، صاحب الحق الاول فى رفع الأغنية العربية من وهدة ازقة « العوالم » إلى اسمى مكان فى العقول والاذهان .

ولقد كان رامي « الشاعر » عزوفا عن مجال الجدل . احتدم النقاش واستشرى فى دنيا الشعر بين القدامى والمحدثين . لكنه بالرغم من إيمانه بالتجديد ظل صاحباً من اصحاب شوقي وحافظ والمدرسة الكلاسيكية التى نشأ في احضانها .

لم يكن عبثاً ان اسموه شاعر الشباب منذ أن عرفه مجتمع الأدب والشعر فى مطلع العشرينات ، عندما نشر اولى قصائده التى غنتها له أم كلثوم :

الصب تفضحه عيونه
وتنم عن وجد شجونه

حتى آخر نبضة غنائية فى حياته غنتها له ايضا ام كلثوم ، وشعره لم يعرف الوهن او البهوت او دبيب الشيخوخة .. بل ظل متالقا يقطر عذوبة وسلاسة ورقة وجدان .

قالوا انه جاوز فى صياغته المدى ، وحمل قاموس الحب فوق ما يحتمل ، وحمل العاطفة ذاتها ما لا تحتمل ، وذهب بها مذاهب لا يسيغها المزاج الأصيل ..

بيد أن دوره هنا كان دور الصانع الماهر . الخبير بتقنيات فنه الجميل ، الذواقة المتفنن الذى يستقى من معين الجمال العريق .. ذلك الذى يطلق عليه الأفرنجة الفير تووزو ، ومثله لا يخدش الذوق الشعرى ، ولا يزرى بشموخ العاطفة العارمة المتفانية ، وشعر رامي الوجداني كله نابع من حب الشغف وهو أعلى درجات الحب – إذا اخذنا بنظرية ابن حزم الاندلسى فى الحب .

اساءة المقلدين

مقلدوه هم الذين اساءوا فى فترة من الفترات الى الأغنية .. الى قوامها ومضمونها وعاطفتها . ذلك أن رامي منذ اللحظة الأولى اقتاد فن الأغنية . رسم طريقها ، وشكلها وأعطاها الحياة . ورفعها من وهدتها الموروثة من عصور الاضمحلال ، عهد الجوارى والحريم الى ذروة الشعر المرموق الذى يدرج فى عداد النتاج الأدبي . سرعان ما جب عشرات المؤلفين للأغاني من زجالين وغير زجالين ، مشوا وراء الرائد ، وتملكوا قاموسه وراحوا يرددون عباراته والفاظه فى غير حس او نبض ، حتى انفلت العيار ، ومج الناس القاموس الغنائى كله الذى اصبح نوعاً من الاصطلاح الفني مجرداً من اية مزية من مزايا الشعر .

ربما كان ذلك خيراً للأغنية ومسارها، فرد الفعل الطبيعي ان الاغنية راحت تتلمس اشكالا ومضامين جديدة ، نهجاً جديداً غير النهج الراموى . ظهر بيرم التونسى ووجدت الأغنية فى تصاويره الساخرة اللاذعة ، اجتماعية كانت أو عاطفية ،متعة شعرية بليغة . وظهر أيضاً أحمد شوقي ، كان شوقي بالطبع ظاهرة ملء الأسماع والأبصار . لكن الذى اعنيه ان الأغنية راحت تنهل من غزلياته العذبة ، ودينياته ، التى تحرك أعماق المشاعر ، ووصفياته ، وتاريخياته ، ووطنياته ، وسياسياته ، كلهاتقطر بالجمال الشعرى الذى يحلق فى أعلا سماء .

ومع بيرم وشوقي راحت الأغنية عن طريق « مختارات الاذاعة » تنقب فى ديوان الشعر كله منذ الجاهلية حتى العصر الحديث . وفى هذه الفترة تغنى أهل المغنى بسبحات احمد فتحي وعلى محمود طه و محمود حسن اسماعيل ومحمود ابو الوفا ، وإيليا ابو ماضى ، وذلك الطابور الطويل الوضاء من شعراء العربية .

أم كلثوم وصحبة العمر

كل ذلك لم يخفت صوت رامي . وكيف يخفت صوته وكوكب الشرق أم كلثوم تشدو وتملأ الدنيا باهازيجه ووجدانياته السائغة. ؟! لقاؤه بأم كلثوم وصحبة دامت طوال العمر ، كان ضربة من ضربات الحظ السعيد ، له ولها ولدولة الغناء .

كان رامي عائداً لتوه من بعثة فى باريس يدرس فيها اللغات الشرقية وهى التى فتحت له الباب الى الشعر الفارسى ، الى الشيرازى وإلى عمر الخيام . وكان بحكم طبيعته الشاعرية قد قرأ والتهم شعر الرومانسيين الفرنسيين ، لامارتين ، ودى موسيه ودى فيني و الرومانسيين الانجليز بيرن ووردسورث وكيتس وشيلي وبليك . فعندما عاد وصدره يموج بكل هذا الزخر المتالق المتدافع ، والتقى بصاحبة العقال التى تغنى وسط بطانة معممة من الدراويش المنشدين ، فاضت نفسه انهاراً من العذوبية والصفاء والحب



ارخى الستارة اللى فى ريحنـــا
هات الأزازة واقعـد لاعبـــنى ،
لا حبكها واشبكها بمتين دبوس
واعض وابوس ..

أصبحنا مع احمد رامي نستمع الى ام كلثوم تغني ..

والموجـة تجرى ورا الموجة
عايزة تطولهـــا ..

هذا المقطع بالذات ولد فى خياله ورده على شفتيه ذات مساء ونحن نتجول ، أنا وهو فى صيف بعيد على شاطىء البحر عند راس البر ..

كنا نخرج معاً فى المساء يلتقط الأصـداف وخياله المتحرك يلتقط الصور والمعاني ويقنصها قنصاً ..

وكان رامي نعم الانيس ونعم الرفيق ، خفيف الظل ، رشيق الدعابة . دعابته تصويرة حلوة . وفى مجالس الصفاء مع اخوان الصفاء يرق ويرق ، كالنسيم ينثر نسماته الرطيبة فى ذوق عال واناقة ..

قليلون يعرفون أن رامي ساهم مساهمات جليلة فى الدراما والمسرح فقد ترجم لفرقة فاطمة رشدى مسرحية النسر الصغير عن الفرنسية وترجم لشكسبير . وكتب شعراً « غرام الشعراء » وهى مشاهد درامية تسيل رقة وعذوبة عن حب ابن زيدون لولاده .

رامي .. والأغنية

وكان رامي الشاعر عزوفاً عن مجال الجدل . واحتدم النقاش واستشرى فى دنيا الشعر بين القدامى والمحدثين ودب فيه كل دباب .. إلا رامي ! فقد ظل رغم إيمانه بالتجديد صاحباً من أصحاب شوقي وحافظ والمدرسة الكلاسيكية التى نشا فى احضانها . وصادق رجالاتها .. عبد العزيز البشرى واسماعيل صبرى والمويلحي وخليل مطران .

اجل سيظل تاريخ الغناء العربي يذكر احمد رامي كباعث النهضة فيه ، وواضع الأغنية على خريطة الفن الرفيع السائغ .

المجنح ، الذى قدر له أن يظل مدى العمر طائراً لا يحط !

ولا اخفت صوت رامي فى الغناء المدرسة الحديثة التى جاءت من بعد شوقي وحافظ وشعراء ابوللو ، وهى مدرسة الفولكلوريين ، التى يتزعمها عبد الرحمن الأبنودى وصلاح جاهين ، والذين يستقون كما استقى المعلم التونسى من الموال ومعين الحكمة والجمال الشعبى ..

بل ظل رامي مسيطراً على سوق الأغنية عن طريق ام كلثوم والاذاعة والسينما وشركات التسجيل .. الى ان وافته نائبة الاكتئاب ، قبل رحيله عن الدنيا التى احبها واحتسى لذائذها وشرب كل كئوسها حتى الثمالة .

صاحب الحق الأول

القيمة الكبرى لاحمد رامي هي انه بلا مبالغة ، وبلا تزويق ، صاحب الحق الأول فى رفع الأغنية العربية من وهدة أزقة العوالم فى شارع محمد علي الى اسمى مكان فى العقول والأذهان . حين كان الأدباء والأجداد تشنف آذانهم فى مجالس الأنس .



ونستون نتشونا وجون كانيا

« بانتظار جودو » فى ظل التفرقة العنصرية

مسرحية « بانتظار جودو » لصامويل بيكيت عمل مسرحى فذ وعامر بامكانيات تفسيره وقد عادت الى انجلترا بعد ما يقرب من عقدين بفضل تفسير جديد لها قدمه ونستون نتشونا وجون كاني من جنوب افريقيا ، حيث نقلا الخلفية التى تجرى فيها احداث المسرحية من الصحراء السيريالية المجردة التى ارادها بيكيت الى الواقع الوثيق لحقيقة التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا .

إن الفكرة الأساسية فى المسرحية هى العبث وانعدام المعنى ؛ والشخصيات الرئيسية بها هى « ديدى » و « فوفو » اللذان يجلسان تحت شجرة فى طريق مهجور وكئيب بانتظار جودو الغامض الذى لا يجيء .. وينضم اليهما متشردان اخران ، « لاكى » و « بوزو » ، يقومان « بتمثيل صامت » يمثل علاقة السيد والعبد . وبهذا الشكل تعالج المسرحية مسالة العبث . ولكن ماهو الأكثر عبثا من الحياة فى جنوب افريقيا حيث يتفوق السود على البيض عدداً ، وبصورة لا مجال فيها للمقارنة ..

ومع ذلك يقاسون من المهد الى اللحد تحت ظل التفرقة العنصرية .. ويقبرون في مدافن محكومة بقانون التفرقة العنصرية ايضاً . فالأسود بهذا الشكل هو الوجودى الحقيقى لانه هو وحده الذى فرض عليه ان يخلق المعنى فى عالم يحاول فى تامر ابيض متصل ان يجعله يرضى بعدم وجوده ، ويلغى وجوده بقوة القانون والنار إن هو رفض مطاوعته فى تقبل عدم وجوده .

وقد استقبلت المسرحية عندما قدمتها هذه الفرقة فى جنوب افريقيا بعداء سافر - فالمسرحية لم تكتب لممثلين سود - هكذا ترى العنصرية - ولكن كاتبها ايرلندى ادرك معنى الاستعمار على حقيقته ، ومازال شعبه ينافح عن حقه .. وبالتاكيد لم يجد « جون كانيا » و « ونستون نتشونا » اية صعوبة فى التعامل مع شخصيات عليها ان تمثل بلا امل ومع ذلك تحرص على الحب بالرغم من انها لا تجد سوى الاقل كل يوم ، وبذلك استطاعا ان يشحنا الادوار بالوضوح الدافيء والشعور .. ولكن المخرج « دونالد هوارث » كان غير واضح فى تحديد توجه ورسالة المسرحية اجتماعياً او سياسياً ، فاختار موقفاً نتج عنه بعض الغموض في احايين ، لانه لا يريد من المشاهد ان ينظر الى الممثلين باعتبارهم سوداً .. وربما كانت تلك تقيته تحت ظروف جنوب افريقيا والتى ما كانت لتسمح لكانيا ونتشونا ان يعرضا مسرحية من ابداع كاتب اسود .. ولكن المشكلة هى ان جنوب افريقيا لم تعد مجرد موقع جغـرافي . إنها حالة ذهنية .. ولذلك فهى افضل موقع وخلفية لاعطاء « بانتظار جودو » معناها الاعمق ..

ولكن .. إلى متى تظل جنوب افريقيا بانتظار جودو ؟ .

المخرج الايطالي فرانسيسكو روزى

يقول المخرج الايطالي فرنسيسكو روزي : (كل افلامي تنتهي بعلامة استفهام .. كالحياة والهدف من افلامي هو المساهمة في نقاش حقيقي وجاد لقضايا وطني .. »

وهو نقاش مستمر ، لايقدم اجابات ناجزة لان صاحبه يحتفظ بشكه ، ولا يحجم عن الافصاح عنه واظهاره ، ويامل ان يقف الجمهور على هذه الثنائية فيه .

إن بحثه المستمر والسخي هو قوته ، كما تقول الناقدة بولين كيل . إنه يطرح مشاعر لا يستطيع الفريق المؤدي للفيلم ولا النقاد ان يتفهموها بشكل كامل .. ومع ذلك فانها تجتذب اليها المشاهدين ، وتوقظهم عليها ، وتبقى معهم .. لأن اسلوب تقديمها يعبر عن رؤية للحياة اكبر وأرحب من شخصياتها .

لكن فريقا آخر من النقاد لا يرى في اعمال روزي اكثر من افلامتسجيلية وثائقية، لان معظمها يعالج مشاكل الحياة الايطالية المعاصرة ، ويدور حول اناس حقيقيين مثل رجل العصابات الصقلي سلفاتور جوبليانو ، وإمبراطور النفط الايطالي إنريكو ماتيا ، وسيد المافيا ليوشيانو المحظوظ .. ويرد روزي « إنني احاول ان افهم .. وان انبىء .. أن انبىء . في بعض الحالات قمت بتحريات لاقف على بعض الحقيقة .. لا بفرضية ان اعرف ما هي الحقيقة . فافلامي كلها تنتهي بعلامة استفهام .. كالحياة .. وآخر افلامه ، وهو فيلمه الثاني عشر ، « الاخوة الثلاثة » . وهو خليط رائع بين ما هو خاص وما هو عام .. إذ يحكي قصة عائلة فى ايطاليا اليوم . فيلم مؤثر للغاية ، ومعاصر . وهو اول فيلم ايطالى يعالج مشكلة الارهاب بشكل مباشر . ومثل كل افلام روزى فهو عن الموت والحياة ..

وقصته مستقاة من قصة روسية قصيرة تعود الى عام ١٩٣٦ .. وهى عن ستة اخوة ، واخت صغيرة ، يعودون الى قريتهم لدى موت امهم . وقد جعلهم روزى ومعاونه فى كتابة الفيلم ، طونيو قويرا ، ثلاثة اخوان ، وجعل مسرح القصة قرية فقيرة من قرى جنوب ايطاليا والتى يضطر شبابها الى البحث عن عمل فى مكان ما .. بعيد .

احد الاخوة قاض فى الخمسين من عمره ، يعيش فى روما تطارده تهديدات الارهابيين . واخر مدرس فى الاربعين ، يعمل في اصلاحية نابولي ، والثالث عامل بمصنع فى تورين ، فى الثلاثين من عمره - كلهم إذن بعيدون عن مسقط راسهم . ولا ينتمون ، بالرغم من ان المهنة تضع كل منهم فى تماس مع اكثر القضايا الحاحاً فى

ايطاليا اليوم : العدالة الشباب ، والعمل . ولمدة اربع وعشرين ساعة يجمعهم موت الام .. فتساءل كل منهم عن ماضيه وحاضره ومستقبله . ويبكى كل واحد منهم حين يخلو لنفسه ، فعندما يتعلق الامر بموت الام ، يبكى كل امرىء وحيداً .. لنفسه ، كما يقول روزى .. لأن موت الام ليس هو المناسبة التى تجمع وتوحد ، بل هو مناسبة تتخذ وتغم ، وتفيض .

والاخوة مذعورون ، غير مستقرين على امر ، ودوافعهم ، مثل معظم الناس ، مضطربة ، غير صافية . ووالدهم ، الذى يقوم بدوره الممثل الفرنسى شارلز فانيل ، عظيم فى حزنه الصامت الموحش . وقد اراد روزى ان يقول من خلاله « لا تنسوا جذوركم » فالأب يمثل قيم ثقافات فلاحية قديمة .

وجذور روزى نفسه تشمل جدا كان غنيا ثم افلس ، واصبح موظفا فى ناد للقمار فى نابولى ، وعما كان قائداً للمطبلين فى دار اوبرا نابولى .

وابا كان مصورا فوتغرافيا فاز بجائزة تصوير كان ابنه هو الموديل فيها . وقد درس روزى الطب الشرعى لفترة قصيرة . وهو مثل المخرج فيلليني موهوب فى رسم الصور المتحركة .. ويقول إنه تعلم بلاده عن طريق الافلام التى اخرجها .

ويتمتع روزى بحاسة دقيقة للتفاصيل .. والايماءات البسيطة .. لأن هذه المظاهر البسيطة توطر بالنسبة له قاموسا لقراءة الشخصية وجذورها .. وهو يرى أن الحقيقة فى اى فيلم هى محصلة تجميع عدد معين من العناصر ، ولا يستطيع مشاهد ان يتنبا بان منظراً ما سيختلج بالحقيقة .. ويكفى ان يبدو الموقف المعين وكانه محتمل الحقيقة ليجعله المرء يبدو ـ فيما بعد ـ كحقيقة .

لقد فازت افلام روزى بجوائز كبرى فى عدد من المهرجانات الاوروبية ، ولكنها لم تحظ بعد بالحفاوة فى امريكا .. فهى تعرض فى عدد من الأندية والجامعات . ولئن كان سعيداً بوقوف المثقفين معه ، فهو حزين .. لان الافلام انما تنتج للجمهور .. كما يقول .

ومع ان افلامه لا تظهر ميلا او انحيازا سياسيا فالناس تحاول ان تعثر فيها على نظرة وخط حزبيين . ويقول : «تجتاحنى رغبة جامحة لاكون موجوداً وحاضرا فى حياة بلادى ..»

ولذا فهو يدعو الجمهور ، عبر اعماله ، الى المشاركة فى معالجة وحل بعض القضايا والمشاكل المتصلة بالحقيقة اليومية .. ويرفع الستار كما لو كان يدعو الناس الى حلقة نقاش .

وفى (الاخوة الثلاثة) فان البطل ، كما يقول روزى ، هو الزمن . فالفيلم قد قصد به ان يكون فعلا يجسم الثقة والأمل من اجل الحياة ، وفى وجه الموت . وقد يبدو ذلك للمتعمق كنوع من التبسيط الخارق ، ولكن روزى يحتج بأن من يحيا فى مجتمع يسيطر عليه الارهاب والعنف يعى ذلك ، وقد حاول ان يقوله فى كلمات بسيطة واذا ما فكر المرء بالعنف الذى اصبح متفشيا فى العالم ، ومكثفا فى ايطاليا ، فان القضية لن تدار حول البساطة او التبسيط .. فالأمر حقيقة وحسب .

وفى الفيلم يقول الاخ القاضى :

«علينا ان نقاتل من اجل التغيير .. ولكن تلك المعارك يجب الا تهدد الديمقراطية .. ويجب ان نختار الديمقراطية . ولكن علينا ان نتذكر ان هناك اخرين يختارون الموت» .

●



موسيقى النيل فى واشنطن

تحت رعاية المؤسسة الثقافية العربية الأمريكية ، قدم الموسيقار النوبي السوداني حمزة الدين وعالم الموسيقى المصرى حليم الضبع فى « ورشة عمل » وندوة بواشنطون اعمالا موسيقية تفصح عن اصالة الموسيقى النيلية وذلك امام جمهور كبير وعارف بالموسيقى .. وبذا اتاحا للمشتغلين بالموسيقى فرصة نادرة وتجربة حية فى التعرف المباشر على الإلات الموسيقية واساليب التراث الموسيقى العربى الافريقي الأصيلة .

وحمزة الدين مشهور فى الولايات المتحدة كعازف عود مبدع ، وعارف بموسيقى موطنه (نوبيا) شمال السودان وجنوب مصر التى غمرت مياه السد العالى جل اراضيها ، وقد كتب موسيقى فيلم « الجواد الاسود » الذى اخرجه فرانسيس فوركوبولا عام ١٩٧٩ ، ولاقى نجاحاً جماهيرياً كبيرا . ومنذ حلوله الولايات المتحدة عام ١٩٦٣ ظل حمزة الدين يعرف الجمهور الامريكي بتراثه من الموسيقى العربية الافريقية ، وذلك عن طريق التسجيلات العديدة التى قام بها ، والرحلات العديدة فى البلاد . وقام بتدريس التذوق الموسيقي ونظرية الموسيقى واساليبها فى كل المراحل التعليمية من رياض الأطفال الى الجامعات .

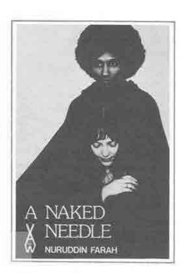
وفى مزاوجة بين اساليب الغناء النوبي التقليدى ، والطبل والعود ، فجر حمزة الدين ايقاع دورات الحياة فى تراث الارض النوبية فقدم « اغنية عمل » و « الساقية » و « اغنية حب » باللغة النوبية ، وانشودة دينية يؤديها عادة الرجال مصفقين فى توافق حميم مع ضربات (الطار) .. وقد ركز على النماذج الايقاعية وابراز امكانيات الصوت . وقد استحث الحضور فشاركوه فى اداء مقطوعة تعتمد على التصفيق بالاكف ، وبها ٤٨ تصفيقة ، وكانت تؤدى تقليديا فى بلده من اول الليل الى الفجر بمصاحبة ايقاع ارجل الراقصين ورنين حلى النساء .

اما حليم الضبع ، المصرى المقيم كمؤلف فى جامعة ولاية كنت الامريكية ، حيث يعمل كاستاذ لموسيقى الشعوب ، فقد شرح للحضور الالات التقليدية المستخدمة فى ارض النيل ، من آلات نقر ، وطبول . والات بوص ، والدف والدربكة والة (السلامية)

وكان الضبع قد كتب دراما راقصة لهذا الحدث الثقافي هي « الاغتراف من الأزل » وهى دراما للاصوات بمصاحبة الات النفخ والات النقر والقرع الأفريقى العربي . وموضوعها كما فسره المؤلف الموسيقى بمشاركة اربع مغنيات امريكيات من اصل افريقي يقيم رابطة بين مصر القديمة وامريكا المعاصرة ، وتذكر الصور التى استخدمها بالاحتفالات الفرعونية .

وقد نجحت المؤسسة الثقافية العربية الأمريكية التى رعت هذا الحدث الثقافي في حشد اكبر عدد ممكن من طلاب كليات الموسيقى وعلماء الموسيقى ، ورؤساء شعب الموسيقى بالجامعات الامريكية ، وممثلين عن الدوائر الثقافية بواشنطون ..

وقد انشئت هذه المؤسسة فى اواخر عام ١٩٨٠م للعمل على عرض اوجه من الثقافة العربية بامريكا تساهم فى خلق تفهم افضل للعالم العربي ، كما قال رئيسها الدكتور هشام شرابي ، الاستاذ بجامعة جورج تاون ، والذى يرى فى هذين الفنانين افضل من يمثل هذا النوع من الموسيقى ، لا لقدرتهما على ابراز النماذج والصور التقليدية فحسب وإنما بجدة الابداع الفني لديهما .. فهما اكثر من مجرد عازفين .



روائى من الصومال

يعتبر نور الدين فرح نفسه بدويا وانسان مدينة فى أن واحد ، ولا يرى تناقضا فى ذلك لأن البدوى الحقيقي يحمل عالمه معه اينما حل .

« لماذا افكر بالاشياء التى تتداعى ؟ اتراها ابدأ كانت كاملة ؟ » .. قضية شغلت جيلا كاملا من كتاب افريقيــا ، ولكن نور الدين القادم من ركن بافريقيا ينظر الى كثير من الامور بطريقة مختلفة لتشربه عالم الاسلام والعربية ، استطاع أن يحرر نفسه من اسار هذا الهوس بالماضى الذى يتداعى قطعا صغيرة .. فالماضى لم يكن يوما كاملا .. وستظل مسالة البحث الدائم عن الكمال واحدة من مهام الكتابة والانسانية .. انطلاقا من الحاضر ، كما يرى نور الدين :

«ماالماضى على اية حال ؟ إن ماضيك هو حاضر لآخر . فاذا كان غير ملم بمجريات الامور بشكل كامل ، إذا كان لا يدرى ما يجرى فى ايران مثلا وهو يعيش فى الصومال ، فكيف له ان يخبرك عن الماضى ؟ فالمرء لا يستطيع ان يفهم الماضى دون ان يعي الحاضر »

وهكذا يعبر نور الدين فرح عن تاملاته وافكاره فى قصصه ورواياته المليئة بالحوار المديد والمناقشات التى تشرح وتوضح . وكما فى ايام البداوة ، حين يجد المرء وقتا للراحة ، فانه يحكي قصصا تهم الحاضر وتثير التامل ..

ومنها روايته الأولى « من ضلع معوج » التى نشرت عام ١٩٧٠ ضمن سلسلة الكتاب الافارقة (هاينمان) فبهرت النقاد بسحر اسلوبها الروائى المشرق وتعمق كاتبها العاطفي فى عالم تعصف به رياح التغيير ، ووصفت بانها من قلائل الأعمال الروائية فى الأدب الافريقى الحديث التى تتعامل مع بطلة امراة وتهتم بعقلها وكرامتها ..

وما ذلك إلا لأن نور الدين يؤمن بان المراة فى افريقيا المعاصرة وصراعاتها الجمة هى المفتاح الى المستقبل .. وإن من لا يقدر كرامة المراة لا قدرة به على تقدير كرامة الرجل ، وان تحرير المراة هو ركيزة تحرير افريقيا والعالم .

فى روايته الثانية « الابرة العارية » (١٩٧٦) يكتب نور الدين عن شاب افريقي درس فى بلد اوروبى وعاد الى وطنه تصحبه زوجة بيضاء . وهو موضوع حي بالنسبة للمجتمعات الأفريقية فــى زمن التحول .. كان فى بلدها يــرى العالم بعينيها .. ويريدها فى بلده أن تشق طريقها في عالمه الغريب بالنسبة اليها بعينيها ايضا .. ولكن الكاتب لا يحاول ابراز اى صراع ، بل يدع القصة ـ الغرابة ـ التمزق بين عالمين تتفتح .. وتعينه الفكاهة والبساطة فى كسب القارىء .

اما روايته الاخيرة « ملكية عامة » فهى خليط من قصيدة النثر والرواية السيكولوجية والاثارة السياسية . فالقصة حول توأمين ـ سويان ولويان ـ يموت الأول إثر علة غامضة ، لاعنا السلطة فتحتفل السلطة به ، بين استغراب عائلته واصدقائه ، كبطل قومي وشهيد ثورى . ويصف الجزء الباقي من الرواية محاولات توأمه « لويان » لاكتشاف حقيقة اخيه ، فيعيد بناء حياته ليستعيد النصف الآخر من نفسه والذى فقده بموت توامه .

وتتداخل مواضيع الفرد والهوية السياسية والعائلية والدولة بطريقة توحي بامكانيات لم تتم الاستفادة منها . ويضطر « لويان » الى اتخاذ موقف سياسى ليحل سر موت اخيه بعد ان كان يتعامل معه من منطلق شخصى بحت .

وربما كان اجمل ما في هذه الرواية هو قدرة الكاتب فى خلق توتر بين ما يتوقعه القارىء وما يسجله الكاتب بالفعل .. وفى لغته الشاعرية .

وقد ترجمت هذه الرواية من الانجليزية الى عدة لغات ، منها اللغة الالمانية ، كما ان مجموعة قصص « السردين » تم نشرها بالالمانية .

والكاتب مقيم بايطاليا .. لا يشغله غير الكتابة شاغل .

●

شللي طليقا

اثار احد خمسة كتب جديدة عن الشاعر الانجليزى شللى نقاشا مفيدا وحيويا حول ثورية صاحب « بروميثيوس طليقا » ذاك هو مؤلف بول فوت الصادر عن دار نشر سيدويك وجاكسون بعنوان « شللى الاحمر » ، والذى يبدأ من فرضية نظرية بان شللي كان ضحية مؤامرة اهملت افضل اعماله او قدمتها بصورة مشوهة ، لانها فى حقيقتها اعمال ثورية هدامة .

فالمختار من قصيده لمقررات الدراسة لا يشتمل على قصائده السياسية ، والتركيز ينصب على خصائصه اللغوية والغنائية بدلا من افكاره .. والنقاد يوجهون هجومهم على غموضه ، وإن كان غرضهم ، كما يرى بول فوت ، هو الاعتراض على الوضوح الخطير الذى يتحدى وضعهم الصفوى الذى يدر عليهم كل امتيازاتهم . وبما انه ما من شاعر يمكن ان يكون « موضوعيا » من ناحية سياسية ، يقول فوت ، فانه مامن ناقد يمكن ان يكون « موضوعيا » .

ويطرح المؤلف في البداية الخلفية السياسية التى تؤطر زمان فعالية شللى الشاعرية ، حيث كانت الحكومة البريطانية بقيادة كاسترلي تشن

حربا شعواء ضـد الشعب العامل فى بريطانيا . ثم يحاول في فصول لاحقة ان يصب اعمال شللي فى مواقف نضالية ثورية .. ويكاد ان يجعل منه اشتراكيا لولا انه لم يقل بملكية الدولة للصناعة . ومع ذلك نجد الكاتب يتساءل عما إذا كان شللي ثوريا او مجرد صاحب دعوة للاصلاح .. خاصة وقد كان العنف السياسي يرعبه ، وكان معارضا لمبدأ حق الاقتراع للجميع ، ولئن كان شيللى فى قصيدته « الملكة ماب » يقف ضد مؤسسة الزواج ، ويدعو فى قصيدة « ثورة الاسلام » الى منح المراة حق المبادرة السياسية ، فهو لم يثبت على ولائه لحركة تحرر المراة . ويمكن اتهام سلوكه تجاهها خاصة وقد هجر زوجته حبلى ليفر مع معشوقة له ، مما اصاب الاولى بانهيار انجرفت معه الى اخذ حياتها بيدها .

وفى نهاية كتابه يحمل السيد فوت على الناقد ف . ر . لويس لأنه فضل ت . س . اليوت على شللي .. دون أن يقر بان موقفه هذا يقوم اساسا على انحيازه الى محافظة اليوت الجافة فى وجه راديكالية شللي الشجية .

والكتاب فى معظمه مثير .. ويفتح باب الجدل المطول حول قدرة الشعر على تغيير افكار الناس . ولكن واحدة من النتائج التى يصر عليها كاتبه لا يمكن انكارها .

إن النظر الى شللي كمحرض سياسى ومفكر شق طريقه الى الاحتجاج باعماله ، يلقى ضوءا جديدا على استخدام الشاعر للغة ، ويظهره بانه كان استخداما قويا ومبينا .. ومتجددا .







اليوت

وربما كان كتاب دوسن عن « شللي والسياسة » اقل اثارة ، ولكنه بحث جاد ويقدم تفسيرا جديدا لقصائد شللي الشهيرة مثل « بروميثيوس طليقا » و « ادونيس » و « انتصار الحياة » . ويرى الكاتب ان استخدام شللي للغة بشكل يحمل اكثر من معنى كان نوعا من التكتيك من جانبه .. فهو كان ينصح بالاعتدال كيما يحمل القوى الحاكمة وقتها على التخلى عن سلطتها على مراحل .. وما كان من الممكن دون التعاون مع تلك القوى ان تتم اجازة « قانون الاصلاح » ــ الذى تنبأ شللي بانه بداية لسلسلة من الاجراءات التى بلغت بالمطالبين بالاصلاح شـط مرادهم فى عام ١٩٢١ .. ولكن « بينما كان المتظاهرون يذبحـون فى شوارع مانشستر ، كان شللي نفسه ينام امنا فى ايطاليا .. ، كما اعترف هو نفسه فى « قناع الفوضى » » ، تلك القصيدة التى يحض فيها الشعب على ان ينتفض مزمجرا كالليوث .. والقصيدة نفسها تعترف بان ابن الطبقة العليا المتمرد لا ينتمى الى عامة الشعب . وهذه الملاحظة من كتاب ريتشارد كرونين « افكار شللي الشاعرية » الذى يركز على استعمال شللي للغة والاشكال الشعرية ، ويبرز فيه ذكاء شللي حين اصر على ان الحديث عن عالم جديد باستخدام المفردات القديمة لن يكون سهلا، إذ يجب ان تقلب الايحاءات والمعاني المحافظة فى اللغة التقليدية ، ولكن بشكل لا يشعر القارىء بالغربة بسبب القفزة المفاجئة الى استخدام اللغة الجديدة .

اما الكتابان الاخران فهما عن سيرة حياة شللي ، احدهما بعنوان « شللي وعائله » ويحفل بصور وتصاوير عن شخصيات واماكن من زمان شللي ، والآخر بعنوان « شللي .. قصيدة رومانسية » .

بعد مرور ٨٠ عاما : رد الاعتبار لرواية أمريكية

● تعتبر قصة « الاخت مارى » لتيودور درايسر واحدا من المعالم الادبية المهمة فى تاريخ الرواية الأمريكية فى القرن العشرين ، وحين صدرت قبل ثمانين عاما كان قد حذف منها ما يقرب من ٣٦ الف كلمة .. لانها حسب المعايير الاخلاقية فى بداية القرن العشرين كانت تعتبر صارخة جنسيا وسوداوية مشحونة بالاظلام والياس ، وغليظة فى لغتها .

وقد اعيد نشرها الآن كاملة لاول مرة من دار نشر جامعة بنسلفانيا بعد أن وجد العلماء الذين قاموا بدراساتها ان شخصياتها لا تبرز بشكل واضح ومتكامل دون نشر الرواية كاملة ، وان لهجتها ، كاملة ، تصبح اكثر واقعية ، وان خاتمتها التى كانت قاتمة تفصح عن شيء من الاشراق .

والقصة تحكى عن فتاة ريفية من الغرب الأوسط بريئة الى حد ما ، وعن رجال فى حياتها ، فى خلفية من القسوة الاقتصادية الحادة فى مدينتى شيكاغو ونيويورك انذاك .

وقد اتضح للناشر الجامعى ان التغييرات الاساسية التى تمت فى الرواية قد قامت بها زوجة المؤلف ، وصديق له اقنعه بان يستبعد فصولا كاملة لما تحويه من (تفلسف) كما أن الناشر انذاك قد أجرى تعديلات كثيرة فى بناء الشخصيات ، وحاول قتل الرواية عن طريق حجبها فى التوزيع ، إذ إن العدد الذى بيع منها لم يتجاوز الخمسمائة نسخة . ولم يحصل كاتبها إلا على ٦٨٠ دولارا فقط .. مما سبب له انهيارا عصبيا دام عامين !

●

جائزة « الحياة والحركة »

● فاز الكاتب الارجنتينى جورج لويس بورجيس ــ ٨١ عامــا ــ بجـائزة الابداع التى خصصتها الحكومة المكسيكية لافضل الاعمال المكتوبة باللغة الاسبانية ، وقدرها ٧٥٠٠ دولار امريكيا . وقد انشئت هذه الجائزة للمرة الاولى منذ عام ، وكانت من نصيب الشاعر المكسيكى اوكتافيو باز ، واسمها الأصلى ماخوذ من لغة الهنود وهو « اولين يوليتزلى » اى الحياة والحركة ..

وسيقدم الرئيس المكسيكى الجائزة الى بورجيس فى حفل تكريم خاص يقام فى وقت لاحق هذا العام .

أربعون عاماً على رحيل عزيز عيد



- رائد المسرح الذي ارتضى الجوع والتشرد من أجل مبادئه الفنية
- أول من نادى بتربية التذوق الفني للمسرح منذ مراحل الطفولة
- تنكر له تلاميذه وعطفت عليه راقصة!
- بسبب "الغيرة" اشتغل "عمر يحيى" في السينما!

في شهر اغسطس القادم تمر اربعون عاماً على وفاة الفنان العظيم عزيز عيد، الذى يعتبر أستاذ جيل كامل من رواد النهضة المسرحية ، فهو استاذ نجيب الريحانى ويوسف وهبى وزكى طليمات وحسين رياض واحمد علام وفاطمة رشدى وعزيزة امير ، وغيرهم من اعلام المسرح الذين قامت على اكتافهم نهضة المسرح فى العشرينات من هذا القرن ..

وكان عزيز عيد اكبر مشجع للشباب من هواة التمثيل على احتراف الفن فى مستهل هذا القرن ، وهو الذى شجع نجيب الريحانى أن يستقيل من وظيفته فى بنك التسليف الزراعى ليتفرغ للعمل الفنى ، وهو الذى جمع حوله الشبان المثقفين وكون منهم فرقة تمثيلية عمل بها على مسرح خشبى فى حي «الفجالة» بالقاهرة ، ولم يكن هذا المسرح تتوفر فيه شروط العرض المسرحى السليمة بل كان ـ كما يقول الرواة الذين عاصروه ـ عبارة عن قطعة ارض واسعة بها مجموعة من الكراسى الخشبية الكبيرة (الدكك) وكانت أشبه بمقهى ، يجلس عليها بعض هواة

المشروبات «والمكيفات» ، فجاء عزيز عيد وغطى هذا المكان بقماش ، واعد سرادقاً مزوداً ببعض الموائد التى جعل منها مسرحاً ، وقدم فوق هذا المسرح ، بعض المسرحيات الكوميدية ، وقام ببطولتها نجيب الريحانى ومختار عثمان وروز اليوسف ويوسف وهبى وغيرهم من أعلام الفن ، وصادف اقبالا كبيراً

اصرار على العمل

ولكن شاء حظ عزيز عيد ، ان تسود القاهرة وقتئذ موجة برد شديدة جعلت المتفرجين ينصرفون عن هذا المسرح ، الذى كانت الأمطار تهطل عليه بشدة ، فيغرق الجمهور من ماء المطر ، ورغم ذلك فقد ظل عزيز عيد واعضاء الفرقة يمثلون كل ليلة حتى وصل عدد المتفرجين الى اقل من اصابع اليدين ، وكان اعضاء الفرقة لا يتقاضون اجوراً ، بل كان ايراد الفرقة يوزع عليهم بطريقة الأسهم ، وكان نصيب الممثلة العظيمة روز اليوسف يصل فى بعض الأيام الى ثلاثة قروش بينما كان نصيب نجيب الريحانى يزيد بضع مليمات على نصيب روز اليوسف .. ومع ذلك فقد أصر عزيز على استمرار الفرقة فى عملها بالرغم من انه لم يكن يتقاضى مليماً واحداً !! ..

كان عزيز عيد مثالا للفنان الذى استغرقه الفن الى حد الفناء فيه ، فهو قد عاش للمسرح وبالمسرح ومن اجل المسرح ، الذى كان دنياه ، ولم تكن له غاية فى الحياة سواه ، ولقد تعذب فى سبيله حتى عرف المجد والشهرة ، ولكنه لم يعرف الثراء قط .. كان يلاحقه



عزيز عيد كان من عشاق لعبة الشطرنج

سوء الحظ دائما .. فاذا عرف اليسر حيناً ، عاوده العسر واستبد به الفقر فى اغلب الأحيان ، حتى تبلغ الحال به ان تراه قابعاً فى مقهى ، أو ماشياً فى الطريق ، وقد رثت ثيابه الأنيقة ، وظهرت الفتوق فى رباط عنقه ، واسودت اطراف طربوشه الأحمر الطويل ، وانتشر الاصفرار فى وجهه ، ونطقت عيونه الغائرة ، وملامحه الذابلة بأن الجوع عضه بنابه ، ولكنك لا تتحدث اليه ، حتى تجده على حالة من الايمان بنفسه ، والايمان بفنه والايمان ... بالجمهور ! .

ولعل عزيز عيد هو الفنان الوحيد الذى صادف من مناواة الحظ له ، ما لم يصادفه فنان اخر من جيل الرواد وعمالقة المسرح ، وليت الحظ اكتفى بما كان يوجهه اليه فى حياته من سهام وضربات بل تعقبه حتى بعد مماته ، وحاول أن يهيل على اثره البالغ فى نهضة المسرح العربى غبار النسيان ..

أين من يتذكر عزيز عيد من الذين احترموا نبوغه وصفقوا لفنه من تلاميذه وجمهوره ، لقد تناسوه جميعاً وهم فى قمة الشهرة التى يدينون بها لفضل عزيز عيد الذى علمهم ودربهم ، ونفض الغبار عن مواهبهم ، واضاء بفنه السامى ارواحهم ، وذللت لهم تعاليمه وتوجيهاته طريق الشهرة والمجد .. لقد نسوه او تعمدوا نسيانه وجاءت أجيال الشباب بعدهم ، وليس من بينهم من يعرف عزيزاً اللهم إلا قلة منهم عرفوا عنه بعض المعلومات السطحية التى جاءتهم عن طريق الصدفة وحدها .. !

اصالة الفنان

كان المرحوم عزيز عيد فناناً تتوفر فيه كل الخصائص التى يمتاز بها الفنان الأصيل ، من وفرة الاحساس وقوة التخيل ودقة الابراز وسعة الأفق وتعدد جوانب الذهن وكان ممثلا عظيماً بقدر ما كان مخرجاً عظيماً ، ولم تقف براعته فى التمثيل عند نوع معين ، بل كان يؤدى مختلف الشخصيات فى مختلف انواع التمثيل ، بنفس البراعة والتفوق ، فلا تقل براعته فى تمثيل شخصيته «الكابورال سيمون» أو «الملك لير» أو «ياجو» فى رواية عطيل ، عنها فى تمثيل شخصية (حسن الشحاذ) فى رواية (ألف ليلة وليلة) أو (الباشا) فى رواية (لوكاندة الأنس) بل كان يسمو فى تمثيل أدواره فى المسرحيات الكوميدية والفودفيل الى حد الاعجاز والعبقرية التى لا تجارى ...

وقد أخرج عزيز عيد للمسرح أروع ما ظهر عليه من روائع المسرح الأوربى ، وعشرات المسرحيات المؤلفة ، وأخرج كافة أنواع المسرحيات من التراجيدى الى الكوميدى الى الدراما الأخلاقية الى الفودفيل ، ويضيق المقام عن حصرها ولكننا نذكر منها على سبيل المثال روايات (الممثل كين) و (تيمورلنك) و (الشعلة) و (النسر الصغير) ، و (كرسى الاعتراف) و (مجنون ليلى) و (مصرع كليوباترا) و (الفاكهة المحرمة) و (شهرزاد) من الحان سيد درويش ، وكذلك أوبريت (العشرة الطيبة) لسيد درويش أيضاً ! ..

أربعون عاما على رحيل عزيز عيد



عزيز عيد فى مناقشة حول مسرحية الملك لير التى اخرجها للمسرح القومى فى الثلاثينات

وكان اسلوبه فى الاخراج اسلوب الفنان المتمكن من فنه، والمستوعب لكل دقائقه، وكانت هوايته للتصوير، ودراسته للألوان ونوقه السليم تعينه فى الاختيار والمشاركة فى عمل المناظر الملائمة للجو النفسى للمسرحية التى يخرجها وعصرها التاريخى .. وكانت طريقته فى توجيه الممثلين هى شرح الشخصيات من الناحية السيكولوجية ثم ايجاد التناسق والمواءمة بين الحركة والاشارة والقول حتى تبدو المسرحية وحدة كاملة، وكلا منسجما كالسيمفونية الرائعة التى تغزو القلوب وتستولى على المشاعر والاحساسات .

الفن للفن

وكان كذلك من عشاق المثل الأعلى وطلاب الكمال، يتعشق الفن للفن، ولم يتخذه أبداً سبيلا للاثراء، وكان هذا سبباً فيما يقع بينه وبين تنفيذ ما يراه، فاذا وجد صاحب الفرقة يضن عليه بما يبرز عمله الفنى فى الاطار اللائق به فسرعان ما يضيق ذرعاً، ويفضل أن يضحى بنفسه ولا يضحى بفنه، فيترك العمل، ويفضل شقاء التعطل والآمه على النعيم الذى لا يحقق فيه مثله العليا فى الفن ! ..

ويعتبر عزيز عيد أول فنان عربى سافر الى أوربا لاستكمال دراسته الفنية فى أكبر معاهدها، على حسابه الخاص بعد البعثة التى سافر فيها جورج أبيض موفداً من الخديو عباس الثانى لدراسة الفن على حساب هذا الخديوى. وعندما وصل الى باريس أرسل لصديقه يوسف وهبى ومختار عثمان يدعوهما للحاق به لنفس الغرض، وكان الثلاثة طوال مدة اقامتهم فى فرنسا وايطاليا لدراسة الفن لا يملكون ثمن رغيف عيش، وكانوا فى بعض الأحيان يزاولون أعمالا بسيطة للحصول على أجر اللوكاندة، التى يقيمون فيها، وشراء الكتب التى تزيد من ثقافتهم

● بسبب الغيرة

اشتغل عمر يحيى

في السينما !

المسرحية . وهكذا عاشوا قرابة أربع سنوات بتشجيع من عزيز عيد حتى صقلت مواهبهم ، ثم شاءت الظروف أن يموت والد يوسف وهبى ، فاستدعته اسرته ليتسلم ميراثه ، وبهذا الميراث قام يوسف وهبى بتكوين فرقة رمسيس التى كانت بداية نهضة مسرحية حقيقية ، فقد انطلق عزيز عيد ليحقق افكاره عن المسرح ، وتصبح فرقة رمسيس شيئاً خالداً فى تاريخ المسرح العربى !! ..

مع اعظم ممثلة عربية

وفى هذه الأثناء التقى عزيز عيد بفاطمة رشدى .. وكانت يومئذ فتاة يافعة تلقى المنولوجات فى الملاهى الشعبية بروض الفرج ، ولكن عزيز عيد لمس فيها باحساس الفنان موهبة عريضة ، فقرر أن يتبنى مواهبها ، ووقع فى غرامها وتزوجها ، وكان لهذا الزواج اثره فى اتجاهاته الفنية بعد أن خضعت كل تصرفاته ومشروعاته الفنية لعواطفه الشخصية ... واستطاع عزيز عيد أن يجعل من فاطمة رشدى أعظم ممثلة وقفت على خشبة المسرح العربى، فى سبيل هذا عرف الحرمان والجوع ، ولما بلغت فاطمة رشدى اقصى ما تتمناه ممثلة لنفسها ، طلبت من عزيز عيد الطلاق ، وانطلقت هى فى الحياة الفنية تتنقل بين اضواء المجد والشهرة ، بينما كان هو يمضغ الجوع والفقر والحاجة ! فلما انشئت الفرقة القومية سنة ١٩٣٥م (المسرح القومي الآن) كان عزيز عيد من أوائل الفنانين الذين انضموا إلى هذه الفرقة ، وتقرر له مرتب قدره (٣٥جنيهاً) شهرياً ، وكان من الممكن أن يكون عمله فى هذه الفرقة ، بداية استقراره المادى وفرصة لتحقيق افكاره الفنية ، ولكن تمسك عزيز بوجهات نظره الفنية ، وأرائه خلقت بينه وبين المسئولين عن الفرقة صدامات متكررة انتهت باقالته من الفرقة ، وقد فصل من هذه الفرقة عدة مرات ، حتى استغنت عن جهوده الفنية عام ١٩٤١ ، بعد أن اصر على أن يسند دور البطولة فى احدى المسرحيات لتلميذته الممثلة القديمة «زيزى عثمان»، ولم تكن مواهب هذه الممثلة تؤهلها لبطولة هذه المسرحية ، فعارضته اللجنة المسئولة فى هذا الترشيح ، ولكنه اصر على رأيه ، وكانت النتيجة أن خرج من الفرقة ليستانف حياة التشرد من جديد ، وقد ظل قرابة عامين يعانى من الجوع والحرمان حتى اضطر الى ان يعمل «كومبارس» فى الأفلام ، وقد ظهر فى دور (عربجى) فى فيلم قضية اليوم الذى اخرجه المخرج كمال سليم !! .

وقيل يوماً ان كمال سليم أراد أن يسخر من عزيز عيد (الفنان) بسبب «الغيرة» فقد كان كمال سليم قد تزوج من فاطمة رشدى ، وضاق ذرعاً من احاديثها عن عزيز عيد الفنان والزوج ، فاصيب بعقدة نفسية منه ، فاراد أن يحطم أسطورة عزيز عيد فى نظر فاطمة رشدى ، التى كان كمال سليم يحبها من أعماقه ، فاسند الى عزيز عيد دور (كومبارس) فى هذا الفيلم ، ووافق عزيز على تمثيل هذا الدور لأنه كان فى حاجة الى ما يسد به رمقه !! ..

وحدث بعد ذلك ان التقت به المرحومة ببا عز الدين التى كانت تملك ملهى ليليا فى شارع عماد الدين ، وعز عليها أن ترى عزيز عيد الفنان العظيم على هذه الصورة من الفقر والحاجة ، وكانت فى بداية حياتها الفنية قد حاولت الاشتغال بالتمثيل فى احدى الفرق المسرحية التى كان عزيز عيد يديرها من الناحية الفنية ، وقارنت بين زمان واليوم ، فتاثرت غاية التاثر ، وفى نفس الوقت تذكرت انها امام منافسة شديدة من بديعة مصابنى ، وانه يمكن لعزيز عيد المخرج المسرحى الكبير أن يعمل مخرجا للاستعراضات التى تواجه بها منافسة بديعة مصابنى ، فعرضت عليه ان يعمل مخرجاً فى صالة الرقص التى تملكها باضعاف المرتب الذى كان يتقاضاه من مسرح الدولة ، وقبل عزيز على الفور ، واخرج عدة استعراضات ناجحة ، ولما بدأت ظروفه المادية تستقر نوعاً ما أصابته الذبحة الصدرية ومات بعد أن عمل بضعة شهور فى صالة ببا عز الدين .

الجيل الجديد .. وحب المسرح

وكان عزيز عيد ينادى طوال حياته بوجوب تنشئة حب المسرح للجيل الجديد ، منذ المراحل الأولى فى المدارس ، وكان عندما يتولى تدريب احدى الفرق التمثيلية بالمدارس ، يشجع العناصر الموهوبة على صقل مواهبها ، والعمل بالمسرح . كذلك كان عزيز عيد أول من اظهر المرأة المصرية ثم المرأة العربية بعد ذلك على المسرح كممثلة ، فقبل ذلك كانت الأدوار النسائية يقوم بها رجال جميلى الصورة أو ممثلات من اليهوديات ، وكان عزيز عيد يحاول أن يضرب عرض الحائط بالتقاليد التى تحرم المرأة العربية من الاشتغال بالفن ، فوجد فى منيرة المهدية ضالته المنشودة ، فعلمها الالقاء والتمثيل ، وقدمها فى احدى المسرحيات .. وقامت يومها ضجة كبرى ضد منيرة المهدية وعزيز عيد ، ولكنه مضى فى طريقه ، ونجح بعد ذلك فى ان يغذى المسرح بعشرات من تلميذاته أمثال دولت ابيض وفردوس حسن وعلوية جميل وغيرهن ممن كن رائدات النهضة النسائية فى المسرح العربى ! .

رحم الله عزيز عيد الذى كانت حياته ألواناً من الكفاح الفنى من اجل نهضة المسرح ، تخللتها صور قاسية من الجوع والحرمان ، وقد تعرض لهما لأنه كان فناناً صادقاً عاشقاً للمسرح .. عاش له ومن اجله .. يرحمه الله .

حسين عثمان





بـدون كـلام .. !!

ـ .. يارب أنجح .. !!

OUT IN

بـدون كـلام .. !!


ـ .. كلما أخرجت يدى
لأحس الجو الخارجي ..
الناس يتصوروني متسول .. !!
بـدون كـلام .. !!
بـدون كـلام .. !!
« حاملـة طائـرات » !!


ضحكات الشهر
نجوم
بـدون كـلام .. !!
ـ .. سواح جايين ..
البس الجزمة بسرعـة ..!!
ـ .. ديجول الله يرحمه كان ١٩٥ سم ..
والرئيس الفرنسي الجديد .. متران .. !!





مجلة علمية أدبية صناعية زراعية
تصدر مرة في الشهر
العدد الثالث - أغسطس آب ١٨٨١
لمنشئها ومحررها : صلاح الدين المقريزي

شاعر الربابة ـ قارىء الملاحم العربية فى القرن الماضى .

في هذا العدد:



عزيزي القارئ ..

ذلك النوع الذي يبصم .. ولا يوقع

من كفر الشيخ عاصمة البرارى بدلتا النيل كتب الكاتب اللبناني « امين شميل » يعارض مقال عبد الله النديم « اضاعة اللغة إضاعة للذات » ، فعنده ان اللغة مجرد واسطة لنقل نبض المجتمع فاذا ضعفت الأمة ضعفت لغتها والعكس صحيح

ومن هنا بدأت مناقشة علمية رصينة بين الرجلين .

النديم يقول إن إضاعة اللغة إضاعة للذات . وشميل يقول إن إضاعة الذات إضاعة للغة ، ويشكو من ان التخلف الاجتماعي العام جعل اللغة العربية عاجزة عن التعبير عن كثير من علوم العصر وفنونه وفلسفاته ، وهى مناقشة قديمة جديدة تعكس نوعا من الهموم الراقية التى كانت تشغل جيل الآباء .

ومن « الاقطار السودانية » ارسل « مير قناوى عمورى » إعلانا بانه فقد ختمه وليس مدينا لأحد . وإلى عهد قريب كانت زاوية إعلانات « فقد الاختام » اطول الزوايا الاخبارية فى الصحف العربية ، والدلالة الوحيدة لاتساع نطاقها هو ان الامية قد اصبحت وباء عربيا حتى اصبحت الاختام لا التوقيعات وسيلة التعامل والاعلان المدوى بأن الأغلبية العظمى من العرب يبصمون ويختمون ولا يكتبون او يوقعون .

وهكذا بينما كان « النديم » يدافع عن اللغة العربية ، و «شميل» يدافع عن اللغات الاوربية باعتبارها من وسائط التقدم كان « عمورى » الذى لا يعرف عربية ولا افرنجية يرثى ختمه الضائع ويندب حظه الذى حرمه من القراءة والكتابة .

وبعد مائة عام من هذا وذاك مازال المثقفون العرب يختلفون حول اهلية لغتهم للتعبير ، وينسون تلك الكتل البشرية العريضة ، صلب الوطن وترابه وزرعه ، التى اصبحت تتستر الآن من نشر إعلانات بفقد اختامها ، حتى لا يخجل ابناؤهم الذين تعلموا فى « السربون » او فى « الحي اللاتينى » ، حين يعرف الناس ان اباءهم من النوع الذى « يبصم » ولا يوقع .

وقبل سنوات قليلة صرخ الكاتب الكبير « يوسف إدريس » بان نسبة الأمية فى الوطن العربي اكثر من تسعين بالمائة ، ولان اعظم الكتاب العرب لا يطبع من كتبه اكثر من ثلاثة الاف او خمسة الاف نسخة باللغة العربية التى ينطق بها اكثر من مائة وعشرين مليونا ولا يقرأ او يكتب بها منهم سوى نسبة تدعو لليأس من كل كتابة ، إذ الواقع اننا نحن المثقفين نكلم انفسنا ، حين نكتب فلا يقرؤنا إلا نحن وهذا هو السبب فى ذلك السعي الحثيث الذى يقوم به بعض الكتاب لترجمة اعمالهم الى اللغات اللاتينية واحيانا الى العبرية ، كان من يقراون بتلك اللغات بشر والعرب ليسوا كذلك .

إن بقاء زاوية إعلانات « فقد الاختام » مائة عام امر يدعو للخجل . خجلنا نحن لا خجل ابائنا .. فمتى نمحو الامية العربية .. بعد قرن اخر ؟

« صلاح الدين المقريزى »

إعــــلان

ليلة بتاريخه حصل فقد الختم تعلقي المبصوم عليه اسمي الواضح إمضائي على هذا ، وحيث أني ماحضرت من جهة الأقطار السودانية إلى مصر المحروسة إلا من عهد قريب ، فقد التزمت بتحرير هذا ليكن في علم الجميع حتى إذا وجد فيما بعد كمبيالات أو سندات أو خلافه ممهورة بالختم المفقود فلا يعمل بها .

مير قناوي عموري
١٥ شوال سنة ٩٨





التنكيت والتبكيت

لصاحبها ومحررها عبد الله النديم

أمين شميل يرد على عبد الله النديم : كلمة غيور على لغته

رسالة لحضرة الأديب المتفنن امين افندى شميل نثبتها ليتذكر من يتذكر إذ جاءه النذير قال اعزه اللـــــه .

لا اظنك صاحبي تابى نشر هذه الكلمات ولو كانت اعتراضاً على قولك اضاعة اللغة تسليم للذات لأن الحقائق انما تنجلي بالبحث ولا باس به .

اللغة عبارة عن الة مادية تقوم بها مبادلة الأفكار بالمعاني بين افراد الانسان عموماً وخصوصاً وهى من جهة كونها بين افراده عموما لا وجود لها إلا بالقوة . اما وجودها بالفعل فهو بطريق التخصص كاللغات المتفرقة في امم العالم التى تبلغ ما بين حية وميتة نحو خمسة الاف ثم من كون اللغة الة فقط فهي لا فضل لها في ذاتها فعزتها وانحطاط مقامها انما يكون نتيجة صفات قومها من قوة وضعف وعلو فكر وسقوط همة وما هم عليه من استقلال وحرية واستبداد وعبودية وتقدم وتاخر ونحو ذلك فهي مراة تتكسر فيها صور شعوبها ومن ثم كانت تتاثر تاثراً فعلياً من الطوارىء التى تطرا عليهم كما نرى في اليونانية واللاتينية والسريانية والكلدانية والعبرية والقبطية والهندية والايرانية والعربية ايضاً ونحوها فان كلامن هذه المركبات الهجائية اذا فحصت علم ما كان لشعوبها من القوة والتقدم فى العلوم والصنائع والتمدن على درجات متفاوتة الى ان حلت علل الانحلال فادي الأمر الى ما هي عليه الآن وإذا ثبت ذلك علمت الاسباب التى لاجلها تموت اللغات وتحيي مما لا علاج له وباختصار فان في ضعف كل امة فقدان لغتها مهما كانت تامة الالفاظ واسعة المعاني والمبانى إذ اكل شي ء دور ولا فرق فيه بين جامد ومتحرك .

يموت راعى الضان فى جهله
ميتة جالينوس فى طبــه

على ان بعض اللغات قد يكون لها وسائط طول البقاء لما فيها من التاليف الجليلة وافتقار العالم الدينى والدنيوى اليها فهى اشبه بحي فى صورة ميت فاذا ايها الأخ المتعصب للضاد ليس لك ان تلومنى اذا تركت لغتي الى غيرها وانت تعلم ان الانسان مفطور على طلب التقدم

ومن لم يكن ذا همة عاش خاسرا
وكان له ان يلزم الجهل ماربا
واى فتى يبقى عظامى فخــره
عليه عصامياً فقد ذل مطلباً

فباى شيء ترغب الى الالتصاق الى لغتى دون غيرها بحسن كلام' لم بلطافة لفظ ام بكثرة مواد لغوية وفصاحة عبارة اليس ذلك كله كثيراً فى لغات القوم السابق ذكرهم ومثل العربية مثل اللغات اللاتينية واليونانية والهندية فى اختصار التعبيرات والقوانين الراسخة لنسج كلمات جديدة فى كل شيء وعلم حديث فى عالم الوجود ومع هذا فلم يق هذه اللغات من موتها شيء . لعلك تحمسنى لاكون خيرا من اصحاب هذه اللغات في احياء ما قضت الحوادث بموته فهل ظننتنى غير انسان من صفاته العجز فمن يقدر على ذلك وخلفه مهلم هذه الحياة فى طلب الرزق حفظا له وذويه ولا طاقة له على الأمرين فى وقت واحد فيلتزم بالأهم أولا ثم بتحسين حاله إذا امكن . لعلك تعدنا انا نجد خبزاً فى عملنا هذا فنحصل على الامرين معاً فلا اظنك باصلح تجهل الواقع ولا أريد ان تذهب بعيداً لتعلمه . اذهب الى دوائر احكامنا ومراكز تجارتنا وانظر بكم يؤجر الكاتب الضادى والكاتب الدالي ثم الف لك كتباً واجعله كله ضاداً واصرف فيه عمرك واعرضه على قومك فترى ما لبضاعتك من رواج او انك توملنى باللذة العقلية التى احصلها من درس لغتى العربية تماماً لافهم كتب علمائها الجليلة واكلاً صدرى من فرائد اقوالهم البديعة . فانك تعلم اولا أن كل لذات علوم الدنيا لا تملأ بطن جائع ولا لذة عقلية لمن لا يحسن غذاء جسده وقد نسيت ثانياً ان مؤلفاتنا التى نفتخر بها قد نهبت لفظاً ومعنى الى مراكز الأمم النامية فزادوا عليها اموراً كثيرة فهى حية فى تلك الأمم ميتة عندك لاسباب منها عدم صحة النسخ فكتبنا كلها اغلاط ومنها عدم وجود من يفهمها الآن وقد مات من كان يعرف معانيها . ومنها ان كثيراً قد نسخ بما اظهرته التجارب وقام غيره مقامه . ومنها الزيادات الجوهرية التى حدثت بعدهم ويجب معرفتها مما لا وجود له فى هذه الكتب ومنها عدم وجودها كلها إذ لم يبق منها إلا الطفيف .

لقد هزلت حتى بدا من هزالهــا
كلاها وحـــتى سامها كل مفلس

وهذا الهزال الباقى إذا كنت سعيداً وعثرت عليه تلتزم بدفع اثمانه مالا جزيلاومن اين لك المال ياأخى وانت تتجر ببضائع اكلها العث وبدلتها المودة أو « الزى الحاضر » اما هو أجدر بك ان تترك هذه اللغة وشانها التى لا تفيدك سوى حطة الشان بعد تعب ونصب وجوع لا



أمين شميل يرد على عبد الله النديم :

مزيد عليه وتختار لنفسك غيرها وإن كتبت بها راجت كتابتك وإن طلبت تحصيل علم فيها وجدت لك كتباً لا تحصي فى غاية الضبط والكمال امتلأت منها خزانتك منها من اقوال اجدادك ومنها ممن تصفحها ونقحها وعلمها وشرحها وزاد فيها من اضدادك بثمن « ارخص من الفجل » فاذا اشتبه عليك معناها وجدت الوفا يكشفون لك غوامضها ويحلون لك عقدها ، نعم ان فى لغة الطفولية لذة ووطنية إلا ان الوطنية الحقة « دعنا من الكلام الفارغ » قائمة فى المعاني لا فى الالفاظ . اعنى فى صيانة حقوق الافراد واحكام العدل والتسوية والالتفات الى الامة ولغتها وعدم اعطاء خبز البنين لغيرهم فاذا فعلت هيئتنا ذلك هان علينا كل شيء وإلا فانت تضرب فى حديد بارد وكانت الوطنية قولهم ضرب زيداً عمراً اشتعل الراس شيباً وما اشبه .

فانت تدعونا عن غير قصد منك الى البقاء فى الجهل الى القناعة بفتات الخبز الذى يسقط من مائدة الغني الى مبالة الهمم بالبلادة وترك الهمم الى اضاعة الحس الانساني والموت بغدة بعير فى بيت سلولية وهذا لا يرضى به ابن الحرة فاقلع جزاك الله فان الحكمة ضالة المؤمن يطلبها حيث وجدها فان اهملنا فكتنا عليه حين نكون ممن ابتدا بهم فخرهم لا ممن انتهى فخرهم بهم واعذر كاتباً عرف الحياة واختبر فرحم الله من فهم وعرف والسلام .

عن كفر الشيخ ـ عاصمة البرارى
فى ٢٤ يونيو سنة ٨١ بحروفها (انتهى)

أخبار آخر ساعة

من التغالى فى التمدن ان احد الاوروباويين وقف بالمنشية امام اوتيل دوروب فى الساعة الثالثة ليلا والموسيقى تصدح والناس مزدحمةثم حل زرار البنطلون ووقف يبول والسجارة فى حنكه فلم ندر ايعتقد ان الشرقيين بهائم لا يحتشم منهم ام هو البهيم لا يعقل ما يصدر منه . وقد سرى هذا الطبع فى بعض شبابنا فهم يبولون من قيام ولكنهم يلتصقون بالحائط ويرفعون احدى رجليهم لئلا يتلوث البنطلون لا لئلا يتنجس استغفر الله .

اعتراض على التبكيت

ضرب الامثال بنا ونشر عيوبنا لا يليق لئلا تقف الافرنج على احولنا .

الجواب

الافرنج تعرف من امرك ما لم تهتد اليه ولها مؤلفات فى سيرنا اشتملت على مخباءت يظن صاحبها انه لايعلمها إلا هو والقصد تقبيح حال الجهلة وابطال دعاوى المخرفين وتحريك طباع الكسالى لتطهر العقول من دنس الجهالة حتى لا نرى احداً من المغفلين ولا المضلين او الضالين امين .

● ●

من وكيلنا فى بغداد

غب الخ .... الطاعون لا اثر له عندنا والحمد لله وكما انكم تسمعون عنا وعن غيرنا نحن نسمع عن نجف وكربلاء والمشهد وكذا نسمع عن البصرة وليس له فى البصرة اثراً قطعاً واهل البصرة يسمعون انه فى بغداد . ومن العجيب انه كل سنة فى مثل هذه الايام يحدث فى بغداد ما يقلق الافكار كمرض العيون والحمى ولكن لم يحدث شيء من ذلك هذه السنة والحمد لله ، دجلة فاض هذه السنة فيضاناً جيداً فسقى الاهالي الاراضى كلها حتى المعروفة عندهم بالديمية اى التى تشرب من ديم السماء لا غير ، وكان الطقس كثير التقلب كل هذه المدة وليلة تاريخه وقع شيء من المطر وبرد الطقس قليلا .

● ●

نلتمس من النبهاء كتبة الرسائل الادبية وغيرها عذراً فاننا سننشرها على التتابع ولا يعجل كاتب بالغضب إذا تصور انه لم يكتب غيره فقد ورد لنا من الرسائل البديعة ما يملأ عشرة اعداد من جريدتنا فنحن نلحق محرراتنا فى كل عدد برسالة او رسالتين قياماً بخدمة الادب والوطن وابنائه حفظهم الله .

وردت لنا رسائل شتى تتضمن حل المسالة الحسابية المندرجة بالعدد الثالث من صحيفتنا وسندرج منها طرق الحل فانها تزيد عن اربعين رسالة ويتعذر نشرها بجملتها .

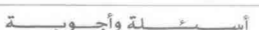
● ●

جناب منشئي المقتطف المحترمين .

ذكرتم فى جوابكم على عدد الجرائد العربية وجه ٣١٠ من السنة الخامسة ان عدد ما تعلمون به ثمان وعشرون جريدة . وعلى ماأظن انه يوجد عشر جرائد اخرى لم تذكر وهى جريدة رسمية للحقانية في الاسكندرية . والصدى والاتحاد وابو نظارة وابو الهول فى باريز والخلافة فى لندن . ومفرح القلوب في الهند . وصنعاء فى اليمن . والمبشر فى الجزائر والاستقبال (عربية تركية) فى ايطاليا

محمد البحيرى
منوف (مصر)





أسئلة وأجوبة

(١) من بيروت . يقال ان كثيراً من الاكتشافات العظيمة كشف اتفاقا لا قصداً فهل لكم ان تعدوا لنا بعض هذه الاكتشافات . ؟

الجواب . قيل ان كيماويا كان يركب بعض الاتربة ليصنع منها بوالق جيدة فاكتشف عمل الخزف الصيني بتركيبها وقيل ان اولاد زجاج كانوا ينظرون الى برج امام دكان ابيهم من عدسيات يضعونها امام عيونهم . فاتفق ان ولداً منهم وضع عدسية تجاه اخرى فرأى البرج قريبا جداً فاخبر والده بذلك ففطن والده الى ما ينجم عن صفة التكبير هذه واكتشف النظارة لكشف ما فى السماء من فوق وما فى الأرض من اسفل . وقيل ان زجاجا اخر من نورمبرج نقطت عويناته اتفاقا بنقط من الحامض الهيدروفلوريك فاكلت . ففطن من ذلك الى الحفر على الزجاج . وان الحفر على النحاس لتقليد التصوير بالحبر الهندى اكتشف من اكتساء حديد البنادق بصدأ الندى .

(٢) من المدرسة الكلية . ذكرتم وجه ٣٣٣ من السنة الخامسة ان الزواج (الشرعي) يطيل العمر . فما تعليل ذلك؟

الجواب . زعم الدكتور ستارك ان العزوبة في حد ذاتها تضر اكثر من اشد الصنائع ضرراً بالصحة وتميت اكثر مما تميت الأماكن الفاسدة الهواء التى لم يلتفت الى نظافتها البته وان الزواج يقلل عدد الموتى بما يستلزم من العيشة المرتبة والعوائد الحسنة . على انه يقر بان اكثر الذين يعيشون بالطيش والبطر ممن يغلب عليه الموت باكراً لا يتزوجون فلا يكون موتهم من عدم الزواج . وكذلك الذين اختل عقلهم وانهكت عافيتهم يابون الزواج وان راموه لم يجدوا من يقبلهم . وذهب الدكتور فر ووافقه العلامة دارون أن سبب طول العمر في المتزوجين هو كون اكثرهم ينتفى انتفاء من جيل الى جيل فيكون اكثر الأصحاء بينهم واكثر الاعلاء خارجاً عنهم ولذلك يزيد الموت بين العزاب . وقال دارون اما الصحيحو البنية الحميدو السيرة الذين يمتنعون عن الزواج مدة لداع حميد فلا يكثر الموت فيهم .

مطبوعات جديدة

(١) تاريخ بابل وأشور
للفتى الأديب النبيل
جميل افندى نخلة المدور

وهو سفر صغير الحجم كبير النفع ضمنه زبدة تاريخ بابل وأشور مقتطف من تواريخ الأقدمين وتحقيقات المتاخرين يتقدمها خلاصة شافية من جغرافية المملكتين المذكورتين . ونحن لا نكاد نحتاج أن نزيد على ذكر هذا التاليف شيئا لانه قد شاع فى البلاد العربية قبل أن يجمع كتابا وانتشر فى جميع الأقطار بجريدة المقتطف الغراء فقراه الجمهور وراوا فيه من آثار التحقيق والتدقيق ما يشهد لمؤلفه الذكي بدقة النظر وحسن التحقيق والتدقيق . ويباع هذا الكتاب فى مطبعة الأمريكان ببيروت بنصف ريال مجيدى .

(٢) كتاب علم الدين

لصاحب السعادة على
باشا مبارك ناظر
الأشغال

كتاب جمع كتب بل حكاية شملت حكايات ، جعلت فى صورة سياحة عالم مصرى وولده فى البلاد الأوروبية بصحبة عالم انكليزى والغرض منه تربية الفتيان وتهذيب اخلاقهم وتوسيع نطاق مداركهم واستمالتهم الى الاطلاع على غوامض هذا الكون العجيب والخلق البديع للاستدلال على قدرة الخالق وعجائب مخلوقاته وان يعلم الانسان قدر نفسه وانه مهما بلغ من العلم وعاش من السنين عاملا على الاكتشاف مجتهداً فى استيضاح مستويات الطبيعة ومكوناتها ، لا يصل الى امر ما وضع الخالق سبحانه من الأسرار فى اقل جزء من اى شيء فى عالم الوجود . ومهما تعلم واكتسب لا يتجاوز حد علمه انه جاهل . قصير النظر والادراك .

وابدع ما فى هذا الكتاب وضعه على شكل حكاية تستوقف النظر وتجذب الفكر وتميل بالانسان الى استقرائها تفكها بحوادثها وتنقلاتها فذلك على نحو ما حيلة لطيفة تستدرج القارىء الى المثابرة على المطالعة من غير ما ملل او ضجر ، كما لو طالع في كتاب مقصود على غير علم او فن يدور فى دائرته ولا يخرج منه .

فلله در واضعه صاحب التاليف العديدة والتصانيف المفيدة ، حضرة صاحب السعادة علي باشا مبارك ناظر الأشغال العمومية ، فانه وضعه على اسلوب لم ينسج على منواله واودعه كل ما رق وراق من نوادر اخبار ومن اعظم فوائد هذا الكتاب ، حسن عبارته وسلاستها وسهولتها ورقة انسجامها ، وقد حصل ذلك بعناية حضرة ذى الفكرة الرائقة والمعرفة الفائقة سعادة عبد الله فكرى باشا فى تنقيح عبارته وسبك أساليبه مما اوجب شكر المؤلف وثناءه عليه .

(العصر الجديد)

الورقة الأخيرة



كلمات لها أظافر



بقلم : عبدالله الشيتي

● قرات ذات مرة ، ان بعض الناس فقراء لأنهم طيبون وبعضهم الآخر طيبون لأنهم فقراء . وفي ذلك اقول : ان بعض اصدقائك ومعارفك ، تتمنى لهم الفقر الدائم حتى لا تفقدهم .

● ●

● من المفرح ، في تصوري ، ان تجيد السباحة ! ولكن من المحزن ان تغرق في الديون . والطريف أن من الناس من يعاند ولا يبالي او يحجم عن الغوص في مستنقع الاستدانة ، ولسان حاله : أنا الغريق فما خوفي من البلل ... ؟

● ●

● متادب مغمور ومغرور ـ على وزن جار ومجرور ـ زارني يسالني :

ـ أريد أن اطبع كتابا ، فبم تنصحني ..؟

قلت : وهل يعرفك احد حتى تخرج على الناس بكتاب من تاليفك .. ؟

اجاب من فوق انفه : لا يهم . يكفي انني أعرف نفسي ..

قلت من فوري : مادام الأمر كذلك ، انصحك ان تطبع نسخة واحدة .. !

● ●

● تابع لما قبله : في يقيني أن الغرور هبة من الله ، ولكن لذوي النفوس الصغيرة . وتصور معي ذلك الديك الذي يعتقد أن الشمس لا تشرق ، إلا لكي تسمع صياحه . وما اوجعها من حقيقة ، حين تكون مقابر الأدب والفن ملأى بالمغرورين ولو مازالوا احياء يرزقون ، او يلزقون بالادب والفن والثقافة ، زاعما واحدهم انه في الميدان « حديدان » وانه وحده « ابن جلا وطلاع الثنايا » !

● و .. سئلت مرة : كيف نستطيع ان نعرف المغرور ؟

قلت : حين يتظاهر بانه لا يعرفك .. !

● ●

● سمعت زوجة تهمس في اذن زوجها وهما يرقصان في حفل « مخملي » ، وفي مكان عام : ابتسم قليلا ياعزيزي ، حتى لا يظنونا .. متزوجين .

وتذكرت من فوري مقولة ساخرة موجعة لبرناردشو في اطار الملل الزوجي او (الرتابة السعيدة) إن شئت ، : يقول الزوج لزوجته قبل الزواج ، اني على استعداد ان اطرح قلبي عند قدميك ، لكنه بعد الزواج يصعب عليه ان يطرح الجريدة جانبا ليكملها ... !

ومع ذلك ، لا « أحد مرتاح » ، لا العازب ولا المتزوج ، من الجنسين طبعا إذا كنا حريصين على مبدأ المساواة ، حتى في سوء الطالع ...

هل تريدون ان تبتسموا وسط عبوس أخذ بخناقنا في ايامنا السود هذه .. لقد اكتشف العريس في ليلة الدخلة أو ليلة (الحنة) كما يسميها البعض ، ان العروس التي انتقاها أهله له قبل أن يراها ، « جيكرة » بمعنى انها من القبح بمكان ، وسالته في اليوم التالي : يازوجي ، على من أظهر من أهلك وممن اختبيء ؟ فاجابها على الفور :

ـ أظهري على كل الناس واتخبي مني ...

● ●

● سئلت في مقابلة صحافية : قبلة الرجل على جبين المرأة التي يحبها ، ماذا تعني ... قلت : « شيك بدون رصيد ...